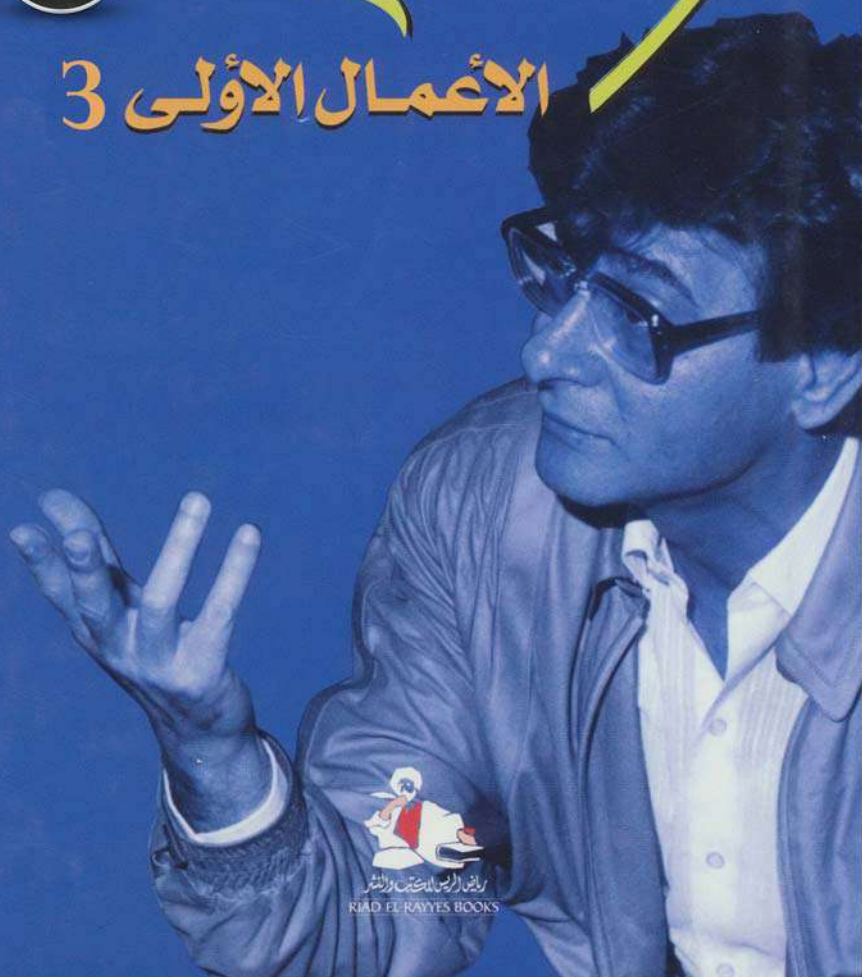


محمود درويش



الأعمال الأولى 3



محمود درويش

مديح

الأعمال الأولى ٣



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

محمود درویش



الأعمال الأولى ٣

محمود درویش

درویش

الأعمال الأولى ٣



رايڤن (البيصير) بوكس
READ EL-BAYYES BOOKS

AL-DIWAN

3

(Poems)

By Mahmoud Darwich

First Published in June 2005

Copyright © Riad El-Rayyes Books S.A.R.L.

BEIRUT- LEBANON

elrayyes@sodetel.net.lb • www.elrayyesbooks.com

ISBN 97 89953 21207 4

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publishers

تصميم الغلاف: محمد حمادة

الطبعة الأولى: حزيران/يونيو ٢٠٠٥

المحتويات

١٣	هي أغنية، هي أغنية ١٩٨٦
١٧	سنخرج
٢١	نزل على البحر
٢٦	غبار القوافل
٣٠	عزف منفرد
٣٥	هذا خريفني كُلُّه
٣٩	أربعة عناوين شخصية
٤٩	أنا العاشق السيئ الحظ
٥٤	عند أبواب الحكاية
٥٨	في آخر الأشياء
٦٢	فانتازيا الناي
٦٦	محاولة انتحار
٧٢	آن للشاعر أن يقتل نفسه

- أوديب ٧٦
- يكتب الراوي: يموت ٨١
- أسميك نرجسة حول قلبي ٨٧
- من فضة الموت الذي لا موت فيه ٩٣
- ورد أقل ١٩٨٦ ١٠٥
- سأقطع هذا الطريق ١٠٧
- وما زال في الدرب درب ١٠٨
- إذا كان لي أن أعيد البداية ١٠٩
- على هذه الأرض ١١١
- أنا من هناك ١١٣
- عناوين للروح خارج هذا المكان ١١٤
- تضيّق بنا الأرض ١١٥
- نسير إلى بلد ١١٧
- نساfer كالناس ١١٩
- مطار أثينا ١٢٠
- أقول كلاماً كثيراً ١٢١
- يحق لنا أن نحب الخريف ١٢٣
- القطار الأخير توقف ١٢٥
- على السفح، أعلى من البحر، ناموا ١٢٦
- يعانق قاتله ١٢٧
- تخالفنا الرّيح ١٢٨
- صهيل على السفح ١٣٠

١٣٢	سيأتي برابرة آخرون
١٣٤	يحجونني ميتاً
١٣٦	عندما يذهب الشهداء إلى النوم
١٣٨	هنالك ليل
١٣٩	ذهبنا إلى عدن
١٤٠	وفي الشام شام
١٤١	بكي الناي
١٤٢	أفي مثل هذا النشيد
١٤٤	نخاف على حلم
١٤٦	هنا تنتهي رحلة الطير
١٤٧	رأيت الوداع الأخير
١٤٨	وداعاً لما سوف يأتي
١٤٩	لديني... لديني لأعرف
١٥١	لُصُوص المدافن
١٥٢	قريباً من السور
١٥٣	هنا نحن قرب هناك
١٥٥	لأول مرّة يرى البحر
١٥٧	يمثل دوري الأخير
١٥٨	بقاياك للصقر
١٥٩	أنا يوسف يا أبي
١٦٠	يطول العشاء الأخير
١٦١	إلهي لماذا تخلّيت عني؟

- ١٦٢ أريد مزيداً من العمر
 ١٦٣ ألا تستطيعين أن تطفئي قمراً
 ١٦٤ خريف جديد لسيدة النار
 ١٦٥ سيأتي الشتاء الذي كان
 ١٦٦ يعلمني الحب ألا أحب
 ١٦٧ خسرتنا ولم يربح الحب
 ١٦٩ سأمدح هذا الصباح
 ١٧٠ سماءً لبحر
 ١٧٢ أستطيع الكلام عن الحب
 ١٧٤ ونحن نحب الحياة
 ١٧٦ نورخ أيا منّا بالفراش
 ١٧٧ أرى ما أريد (١٩٩٠)
 ١٨١ رباعيات
 ١٩١ رَبِّ الأَيَّامِ يا أُمِّي .. رَبِّهَا
 ٢٠٣ هدنة مع المغول أمام غابة السنديان
 ٢١٣ جملة موسيقية
 ٢١٩ مأساة الترجس ملهاة الفضة
 ٢٤٧ الهدهد
 ٢٦٧ أحد عشر كوكباً (١٩٩٢)
 ٢٦٩ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً عَلَى آخِرِ الْمَشْهَدِ الْأَنْدَلُسِيِّ
 ٢٧١ I في المساء الأخير على هذه الأرض

٢٧٣	II كيف أَكْتُبُ فوقَ السَّحاب؟
٢٧٥	III لي خَلْفَ السَّمَاءِ سماء
٢٧٧	IV أنا واحد من ملوكِ النِّهاية
٢٧٩	V ذات يوم، سأجلس فوق الرِّصيف
٢٨١	VI للحقيقةِ وجهان والثَّلجُ أسود
٢٨٣	VII مَنْ أنا... بعدَ ليلِ الغربة؟
٢٨٥	VIII كُنْ لجيتارني وترًا أبها الماء
٢٨٧	IX في الرحيل الكبير أحبك أكثر
٢٨٩	X لا أريد من الحُبِّ غيرَ البداية
٢٩١	XI الكمنجات
	خطبة «الهنديّ الأحمر» - ما قبل الأخيرة - أمامَ
٢٩٣	الرَّجل الأبيض
٣١١	حجر كنعانيّ في البحرِ الميت
٣٢١	سنختارُ سوفوكليس
٣٣١	شناء ريتا
٣٤٣	فرس للغريب

هي أغنية

هي أغنية

١٩٨٦

على قَلْبِي كان الريح تَحْتِي..
«المتبي»

سنخرج

سنخرج،

قلنا: سنخرج؛

قلنا لكم: سوف نخرج مِنَّا قليلاً، سنخرج مِنَّا
إلى هامش أبيض نتأمل معنى الدخول ومعنى الخروج
سنخرج للتو. أب أبونا الذي كان فينا إلى أمه الكلمة
وقلنا:

سنخرج. فلتفتحوا خطوة لدمٍ فاض عثا
وغطى مدافعكم. أوقفوا الطائرات المغيرة خمس دقائق أخرى
وكفوا عن القصف، براً وبحراً، ثلاث دقائق أخرى
لكي يخرج الخارجون وكي يدخل الداخلون..
سنخرج؛ قلنا سنخرج،
فلتركوا حبراً للوداع الأخير. سلام علينا، سلام علينا.

سنجمع أعضاءنا في الحقائق، فلتوقفوا القصفَ خمسَ دقائق
لكي تغسلَ السيداتُ الأنيقاتُ أئداءَهُنَّ من القُبَلِ السابقة.
سنخرج؛

قلنا: سنخرجُ مئاً قليلاً.. سنخرجُ مئاً
رَمِينَا على حافةِ البحرِ ساحلَ أجسادنا، وانكسرنا
كعاصفةِ النخلِ، حين انتصرنا عليكم وحين انتصرنا علينا.
وزِدْنَا الشوارعَ ظِلًّا يُسمِّي المدينةَ شكلاً لمعنى
يُذَكِّرُ بالأبِ والابنِ والروحِ، مهما رحلنا ومهما ابتعدنا.
سنخرج؛ قلنا: سنخرج،

فلتدخلوا في أريحا الجديدةِ سبعَ ليالٍ قصارٍ فقط،
فلن تجدوا طفلةً تسرقون ضفيريها، أو فتى تسرقون فراشاته
ولن تجدوا حائطاً تكتبون عليه أوامرَ تنهي عن الزنلِحتِ وعناً
ولن تجدوا جُنتَ تحفرون عليها مزاميرَ رحلتكم في الخرافةِ
ولن تجدوا شرفةً كي تطلُّوا على الأبيضِ المتوسطِ فينا
ولن تجدوا شارعاً للحراسةِ
ولن تجدوا ما يَدُلُّ عليكم، ولن تجدوا ما يَدُلُّ علينا.
خرجنا قبيلَ الخروجِ، فلا ترفعوا شارةَ النصرِ فوق الجثثِ.
هنا نحن. نحن هناك. ولسنا هناك، ولسنا هنا.

هنا نحن تحت العناصر. نحن دمّ كامنٌ في الهواء الذي
تذبحونه.

سنخرج؛

قلنا: سنخرج. فلتقصّوا ظِلّنا.. ظِلّنا
نُحذوه أسيراً إلى أمّه الأرضِ أو علقوه على شجر الكشتا
تكونون أو لا تكون! ادخلوا وهمكم، واحرثوا وهمنا.

سنخرج؛

قلنا: سنخرج من أوّل البحرِ

بعد قتيل، وخمسة جرحى، وخمسين دقائق
وبعد سقوط الطوائف حول اشتباك الحديد المدوّي مع
العائلة.

سنخرج من كل بيت رأنا نُدمّر دبابة قُربته أو علينا
سنخرج من كلّ متر، ومن كلّ يوم، كما يخرج البدو مثلاً.
سنخرج؛

قلنا سنخرج مِنّا قليلاً إلينا: سنخرج مِنّا
إلى بقعة البحر - أبيض أزرق - كنا هناك، وكنا هنا.
يدلّ علينا الغياب الحديديّ. بيروت كانت هناك وكانت هنا
وكُنّا على رُقعة البرّ ساعة حائط
ويومَ قرنفُل.

وداعاً، لمن سوف يأتون من وقتنا صامتين،
 ومن دمنا واقفين، لندخل
 سنخرج؛
 قلنا: سنخرج حين سندخل.

نُزْلٌ عَلَى الْبَحْرِ

نُزْلٌ عَلَى بَحْرِ: زيارتُنا قصيرة
 وحديثُنا نُقْطٌ مِنَ الْمَاضِي الْمَهْشَمِ مِنْذُ سَاعَةٍ
 مِنْ أَيِّ أَيْضٍ يَبْدَأُ التَّكْوِينُ؟
 أَنْشَأْنَا جَزِيرَةً
 لْجَنُوبِ صَرَخَتْنَا. وَدَاعاً يَا جَزِيرَتَنَا الصَّغِيرَةَ.



لَمْ نَأْتِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ
 جَعْنَا مِنَ الرُّمَّانِ، مِنْ سَرِيْسِ ذَاكِرَةٍ أَتَيْنَا
 مِنْ شَطَايَا فِكْرَةٍ جَعْنَا إِلَى هَذَا الزَّبَدِ
 لَا تَسْأَلُونَا كَمْ سَنَمَكْتُ بَيْنَكُمْ، لَا تَسْأَلُونَا
 أَيُّ شَيْءٍ عَنْ زِيَارَتِنَا. دَعُونَا

نفرغ السفن البطيئة من بقيّة روحنا ومن الجسد
 نُزّل على بحر: زيارتنا قصيرة
 والأرض أصغر من زيارتنا. سنرسل للمياه
 ثقّاحة أخرى، دوائر من دوائر، أين نذهب
 حين نذهب؟ أين نرجع حين نرجع؟ يا إلهي
 ماذا تبقى من رياضة روحنا؟ ماذا تبقى من جهات
 ماذا تبقى من حدود الأرض؟ هل من صخرة أخرى
 نُقدّم فوقها قربانَ رحمتك الجديد؟
 ماذا تبقى من بقايانا لنرحل من جديد؟



لا تُعطنا، يا بحر، ما لا نستحقّ من النشيد.



للبحر مهنته القديمة:

مدّ وجزر،

للنساء وظيفة أولى هي الإغراء؛

للشعراء أن يتساقطوا غمّاً

وللشهداء أن يتفجروا حُلماً
وللحكماء أن يستدرجوا شعباً إلى الوهم السعيد.



لا تُعطينا، يا بحر، ما لا نستحقُّ من النشيد.



لم نأتِ من لُغة المكان إلى المكان
طالت نباتاتُ البعيدِ وطالَ ظلُ الرملِ فينا وانتشرَ
طالت زيارتنا القصيرة. كم قمرٌ
أهدى خواتمه إلى مَنْ ليس مثلاً. كم حجرٌ
باض السنونو في البعيد. وكم سنة
سنام في نُزُلٍ على بحرٍ ومنتظر المكان
ونقول: بعد هنيهة أخرى سنخرجُ من هنا.
متنا من النوم، إنكسرنا ههنا
أفلا يدوم سوى المؤقت يا زمان البحر فينا؟



لا تُعطينا، يا بحر، ما لا نستحق من النشيد.



ونريد أن نحيا قليلاً، لا لشيء

بل لنرحل من جديد.

لا شيء من أسلافنا فينا ولكننا نريد

بلاد قهوتنا الصباحية

ونريد رائحة النباتات البدائية

ونريد مدرسة خصوصية

ونريد مقبرة خصوصية

ونريد حرية

في حجم جمجمة .. وأغنية.



لا تُعطينا، يا بحر، ما لا نستحق من النشيد.



.. ونريد أن نحيا قليلاً كي نعود لأي شيء

لم نأت كي نأتي ..

رمانا البحرُ في قرطاجِ أصدافاً ونجمة
من يذكر الكلمات حين توهجت وطناً
لمن لا باب له؟

من يذكر البدو القدامى حينما استولوا على الدنيا.. بكلمة؟
من يذكر القتلى وهم يتدافعون لفض أسرار الخرافة؟
ينسوننا، ننساهم، تحيا الحياة حياتها.
من يذكر الآن البداية والتمتة؟

ونريد أن نحيا قليلاً كي نعود لأي شيء
أي شيء
أي شيء

لبداية، لجزيرة، لسفينة، لنهاية
لأذان أرملية، لأقبية، لخيمة.

طالت زيارتنا القصيرة،

والبحر فينا مات من ستنين.. مات البحر فينا.



لا تعطينا يا بحر، ما لا نستحق من النشيد.

غبار القوافل

نحن للنسيان. قد جئنا لتقديم المدائح
 لإلهٍ فرَّ من خيمتنا
 واختفى حين خرجنا نجمع الصيدَ له.



لا تخافوا يا أهالي الجبل العالي
 فلن نمكثُ إلا ليلتين
 معنا ماءً، وخبزٌ، وهواءٌ. معنا أصواتنا،
 معنا ما يقطع الريح إلى نصفين .. يا أهل الجبل.



نحن لم ندخل ولم نخرج. ولكن سوف نرمي

قُوَّةَ الأشياء في الأشياء. هل مُتْنَا كثيراً لتخافوا موتنا
 هل رسمنا صورة الوحش على الكهف لكي نألفه؟
 فاحرسوا أشجاركم من غيمة طارت وراء القافلة
 نحن لا ندخل أو نخرج.. يا أهل الكهوف.



نحن لا نُشبه أسلاف القصص.
 نحن للنسيان. حاربنا كثيراً خوفكم في خوفنا
 تابعوا، يا أهل هذا الساحل المكسور، حرب الاعتذار
 عن نبات شَبَّ في قاماتنا حينَ مَرَزْنَا بينكم.
 تابعوا سهرتكم، أو زوّجوا عذراءكم للجنرال
 فلقد تنجب جنساً ثالثاً للكرنفال.



نحن للنسيان. لن نبقي طويلاً ههنا،
 لن نُدَقَّ الطبل، لن نزعجكم، لن تسمعوا أحلامنا
 لن نُطِيلَ النومَ في قريبتكم، لن نقطف الورد من بستانكم
 لن نُصَلِّيَ معكم، لن نُفَلِّقَ الربَّ الذي يختاركم شعباً على
 صورته

نحن لن نترك في ساحاتكم قطرة دم
وسنمضي قبل أن تستيقظوا من نومكم
قبل أن يدخل كسرى أو سواؤه.



لا تخافوا يا أهالي هذه الصحراء منا
نحن لا نشد شيئاً. نحن لا نبعث فيكم مرةً أخرى نبياً
هذه أصنامكم فلتعبدوها مثلما شئتم. كُلُوا التَّمْرَ. كُلُوا
أسماءنا.

نحن لا نأتي لنبقى. نحن لا نمضي لكي نرجع. لكنَّ الرياح
أوقعتنا خطأً في حَيِّكُمْ، فلتذبحوها بالسيف الصدئة
واحرصوا زوجاتكم من طائر الفينيقي في أجسادنا
واحفظوا الرمل من العشب الذي يسقط من أفاظنا سهواً
عليكم،

واحرصوا نخلتكم من ظلِّنا الطائر، وانسونا، وناموا آمنين.



نحن للنسيان. قد جئنا لتقديم الذبائح
إِلَيْهِ فَرَّ من خيمتنا

واختفى، حين خرجنا نُوقد النار له.
نحن للنسيان. إن جئنا إلى النهر حملناه يداً للأغنية
وإذا جئنا إلى الحقل فتحناه مدى للأغنية
كُلُّ صوتٍ يحفر الصخرة - نحن
كُلُّ نايٍ لم يجد أنثاه - نحن
كُلُّ حلمٍ لم يجد حالمه الأول - نحن
نحن جمهوريّة النسيان، لم ندخل ولم نخرج، وللنسيان نحن.



عزف منفرد

لو عُذْتُ يوماً إلى ما كان، هل أجِدُ
 الشيء الذي كانَ والشيء الذي سيكون؟
 العزف منفرد
 والعزفُ منفردُ



من أَلِفِ أُغْنِيَةٍ حاولْتُ أن أُولِّدَ
 بين الرماد وبين البحر. لم أجِدِ
 الأمُّ التي كانت الأمُّ التي تَلِدُ
 البحرُ يبتعدُ
 والعزفُ منفردُ



صَدَّقْتُ رُوحِي لَمَّا قَالَتِ التَّصَقُّ
 بِالْحَائِطِ السَّاقِطِ، اسْتَسَلَمْتُ لِلشُّبْقِ
 وَلَوْ كَتَبْتُ عَلَى الصَّفَصَافِ نَوْعَ دَمِي
 لَجَاءَتِ الرِّيحُ عَكْسَ الرِّيحِ فِي وَرَقِي
 الصَّفَصَافِ، وَالصَّفَصَافُ يَنْقُذُ
 وَالْعَزْفُ مَنْفَرْدُ



لَوْ عُذْتُ يَوْمًا إِلَى مَا كَانَ لَنْ أَجِدَا
 غَيْرَ الَّذِي لَمْ أَجِدْهُ عِنْدَمَا كُنْتُ
 يَا لَيْتَنِي شَجَرٌ كِي أَسْتَعِيدَ مَدَى
 الرَّاوِي. وَأَسْنَدَ أَفْقِي حَيْثَمَا مِلْتُ
 وَلَيْتَنِي شَجَرٌ لَا يَسْتَطِيلُ سُدى..
 صَدَّقْتُ حُلْمِي؟ لَا. صَدَّقْتُ مَا يَرِدُ
 وَالْعَزْفُ مَنْفَرْدُ



بَحْرُ أَمَامِي، وَالْجَدْرَانُ تَرْجُمْنِي
 دَعُ عَنْكَ نَفْسَكَ وَاسْلَمْ أَيُّهَا الْوَلَدُ.

البحر أصغرُ منِّي كيف يحملني؟
 والبحر أكبرُ مني كيف أحمله؟
 ضاقت بي اللغة، استسلمتُ للسفنِ
 وغصُّ بالقلبِ حين امتصُّ الزبدُ
 بحرٌ عليّ.. وفي الأبيض - الأبدُ.
 والعزفُ منفردُ



بغْدَ البعيد بعيدُ كُلِّما ابتعدا
 صارَ البعيدُ قريباً من خطوطِ يدي
 أحشهُ وأراه واحداً أحداً
 علي هواءٍ لَهُ إيقاعُ أغنيتي.
 أَكَلِّما اتسعتْ خطواتنا وَقَعَتْ
 سماءُنا فوقنا واستجمعتْ بَدَدَا؟
 لو عدتُ يوماً إلى ما كان من بلدِ
 الزيتون، صحتُ: تباطأَ أيها البلدُ.
 والعزفُ منفردُ



لو عُذْتُ يوماً إلى ما كان، لن أجد
 الحب الذي كان والحب الذي سيكون.
 من ألف زنبقة حاولت أن أعد
 القلب القديم بقلب توأم، وجنون
 حبيتي! يا امتثال الروح للجسد
 ويا نهاية ما لا ينتهي أبدا
 قطعت شريان مؤجبي يا ابنة الزبد
 قطعت صوتي عن تاريخ أغنيتي.
 وددت لو أجد الإيقاع، لو أجد.
 والعزف منفرد



قلت: الوداع لما يأتي ولا يصل
 ورحت أبحث عمّا غاب من قمري.
 دُع عنك موتك، وارحل أيها الرجل
 وارحل وهاجز وسافر داخل الشفر
 ليس المكان مكاناً حين تفقده،
 ليس المكان مكاناً حين تنشده.
 وكلما حطّ دُوري على حجر

بحسب القلب عن حواء تُرشدُه
 وكلما مال غصنٌ صحت: كم عددُ
 الهجرات؟ كم عددُ الأموات يا عددُ.
 والعزف منفردُ



.. وعابر في بلاد الناس، لا ذكرى
 تركتُ فيها ولا ذكرى حملتُ لها
 كأنني لم أكن فيها ولم أرها.
 خرجتُ أدخل أسمائي، فبعثها
 النسيانُ، وانقسمت نفسي لشهرها.
 أمرُ بالشيء كاللاشيء.. لا أجدُ
 الشيء الذي يُوجدُ
 من ألف أغنية حاولت أن أولدُ
 لو عدت يوماً إلى نفسي فهل أجدُ
 النفس التي كانت النفس التي كانت؟
 يا ليتني ولدُ، يا ليتني ولدُ،
 والعزف منفردُ



هذا خريفي كله

فَتَشْتُ عَنْ نَفْسِي، فَأَرْجِعُنِي السَّوَالُ إِلَى الْوَرَاءِ
 لَا شَيْءَ يَأْخُذْنِي إِلَى شَيْءٍ. وَيَنْسَدُّ الْفَضَاءُ
 عَلَيَّ مَشْنَقَةً، وَيَنْدَسُّ الْمَدَى
 فِي ثَقْبِ إِبْرَةٍ عَاشِقَةٍ
 فَتَشْتُ عَنْ نَفْسِي: سَلَامٌ لِلَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ
 عَبَثًا؛ سَلَامٌ لِلَّذِينَ يُضَيِّثُهُمْ
 جَرَحِي .. هَوَاءٌ لِلْهَوَاءِ. وَأَيْنَ نَفْسِي بَيْنَ مَا
 يَسْطُو عَلَى نَفْسِي وَيَرْفَعُهَا رُخَامًا لِلْهَبَاءِ.
 هَذَا خَرِيفِي كُلُّهُ

أَعْلَى مِنَ الشَّجَرِ الْمُذْهَبِ، أَيْنَ أَذْهَبُ حِينَ أَذْهَبُ؟
 فِي حَضْنِ سَيِّدَتِي مَكَانٌ وَاسِعٌ لِقَصِيدَتَيْنِ
 وَلَمَوْتِ كَوَكَبٍ.

كُلُّ الشوارع أوصلت غيري إلى طرف السماء
فأين أذهب، أين أذهب؟

كُلُّ الشوارع أوقعتهم في يياض خادع بين البداية والنهاية.
أُمِّي تُعَدُّ لِي الصَّبَاحَ على طَبَقٍ
من فِضَّةٍ أو سَنَدِيَانٍ. ليس في أُمِّي سوى
أُمِّ هَنَالِكَ تَنْتَظِرُ

وهنا يَدُّ تَسْطُو على يومي وتَسْرِقُ ما أُعِدُّ من الكلام
يَسَّ الكلام، وطارَ مَوَالُ الحمام،
وَنَامَ مَنْ أَعَدَدْتُهُمْ لِسَمَاعٍ أُغْنِيَنِي.
وَنَامَ النُّومُ، نَامَ،

ولا جَدِيدَ لَدَى النَشِيدِ ولا وِصَايَا لِلضَّحَايَا،
لا بَدَايَةَ لِلنَّهَايَةِ، لا نَهَايَةَ لِلبَدَايَةِ

أَيُّهَا الشَّجَرُ ارْتَفِعْ أَعْلَى وَأَعْلَى. أَيُّهَا الشَّجَرُ اسْتَمِعْ
لِتَحِيَّتِي مَكْسُورَةً كِبَارِقِي الْأُولَى. وَيَا.. يَا أَيُّهَا الشَّجَرُ التَّمِغْ
لَأَرَاكَ فِي فَجْرِ الرَّمَادِ.

وَبَحْثْتُ عَنْ نَفْسِي فَأَرْجَعُنِي السُّؤَالُ إِلَى بِلَادٍ لَا بِلَادَ لَهَا.
بِلَادٌ لِلْبِلَادِ.

لا. لَمْ أَكُنْ مَا كُنْتُ لَكِنْ كُئِلْمَا وَقَعْتَ عَنِ الْأَشْجَارِ غِيْمَةً
فَتَشْتُ عَنْ أَرْضٍ لِأَسْنَدَهَا.. بِلَادٌ لِلْبِلَادِ.

لا. لم أكن ما كنتُ لكن كُلتُما ضيَّفتُ نجمة
 ضاع الطريقُ إلى النجومِ. وضعتُ في نفسي، ولكن أين من
 كانوا معي؟ أين انفجارُ اليأس في جسدين؟ أين الأنبياء؟
 يا أيها الشجرُ إندثر في.. اندثر
 لأصوغَ روعي من حطامي؛ أيها الشجرُ انكسر
 لأرى شطاي مداي في. وأيها الشجر انفجر
 كي أفتح الشباك للشباك في.. وأنفجر
 حررتي - لغتي
 سلامٌ للذين أحبهم عبثاً
 سلامٌ للذين يضيئهم جرحي
 سلامٌ للهواء.. وللهماء.

أربعة عناوين شخصية

١ - متر مربع في السجن

هو الباب، ما خلفه جنة القلب. أشياءنا - كُلُّ شيء لنا -
 تنماهي. وباب هو الباب، باب الكناية، باب الحكاية. باب
 يهذب أيلول. باب يعيد الحقول إلى أول القمح. لا باب
 للباب لكنني أستطيع الدخول إلى خارجي عاشقاً ما أراه وما
 لا أراه. أفني الأرض هذا الدلال وهذا الجمال ولا باب
 للباب؟ زنزانتي لا تضيء سوى داخلي.. وسلام علي، سلام
 على حائط الصوت. أَلْفَتْ عشرَ قصائد في مذبح حرّيتي ههنا
 أو هناك. أحبُّ فُتاتَ السماء التي تتسلل من كوة السجن
 متراً من الضوء تسبح فيه الخيول، وأشياء أمّي الصغيرة..
 رائحة البن في ثوبها حين تفتح باب النهار لسرب الدجاج.
 أحبُّ الطبيعة بين الخريف وبين الشتاء، وأبناء سجاننا،
 والمجالات فوق الرصيف البعيد. وألْفَتْ عشرين أغنية في
 هجاء المكان الذي لا مكان لنا فيه. محرّيتي: أن أكون كما

لا يريدون لي أن أكونَ. وحرיתי: أنْ أوسّع زنزانتي: أنْ
أواصل أغنية الباب: بابٌ هو الباب: لا بابَ للبابِ لكنني
أستطيع الخروج إلى داخلي، إلخ.. إلخ..

٢ - مقعد في قطار

مناديلُ ليست لنا. عاشقاتُ الثواني الأخيرة. ضوءُ المحطة.
 وردٌ يُضللُ قلباً يُفتش عن معطفٍ للحنان. دموعٌ تخونُ
 الرصيفَ. أساطيرُ ليست لنا. من هنا سافروا، هل لنا من هناك
 لنفرح عند الوصول؟ زنابقُ ليست لنا كي نُقبلَ خط الحديد.
 نسافر بحثاً عن الصُّفر لكننا لا نحبُّ القطارات حين تكون
 المحطات منفى جديداً. مصابيحُ ليست لنا كي نرى حُبنا
 واقفاً في انتظار الدخان. قطارٌ سريعٌ يُقصُّ البحيرات. في كُلِّ
 جيبٍ مفاتيحُ بيتٍ وصورةٌ عائلية. كُلُّ أهلِ القطارِ يعودون
 للأهل، لكننا لا نعودُ إلى أي بيت. نسافرُ بحثاً عن الصفو
 كي نستعيد صواب الفراش. نوافذُ ليست لنا، والسلامُ علينا
 بكلِّ اللغات. تُرى، كانت الأرضُ أوضح حين ركبنا الخيولَ
 القديمة؟ أين الخيول، وأين عذارى الأغاني، وأين أغاني
 الطبيعة؟ أيننا؟ بعيداً أنا عن بعيدي. ما أبعد الحب! تصطادنا

الفتيات السريعاتُ مثل لصوَصِ البضائعِ. ننسى العناوين فوقَ
 زجاج القطاراتِ. نحن الذين نحبُّ لعشر دقائقَ لا نستطيع
 الرجوعَ إلى أي بيتٍ دخلناه. لا نستطيع عبور الصدى مرتين.

٣ - حجرة العناية الفائقة

تدور بي الريح حين تضيق بي الأرض. لا بُدَّ لي أن أطيّر وأن
 ألجم الريح، لكنني آدمي.. شعرت بمليون ناي يُمزّق
 صدري. نصيبتُ ثلجاً وشاهدتُ قبري على راحتِي. تبعثرتُ
 فوق السرير. تقيأتُ. غبتُ قليلاً عن الوعي. مٲ. وصحتُ
 قبيل الوفاة القصيرة: إني أحبك، هل أدخل الموت من
 قدميك؟ ومٲ.. ومٲ تماماً، فما أهدأ الموت لولا بكائك!
 ما أهدأ الموت لولا يدك اللتان تدقان صدري لأرجع من
 حيث مٲ. أحبك قبل الوفاة، وبعد الوفاة، وبينهما لم أشاهد
 سوى وجه أُمي.

هو القلب ضلّ قليلاً وعاد، سألتُ الحبيبة: في أيّ قلبٍ
 أصبتُ؟ فمالَتْ عليه وغطَّتْ سُؤالي بدمعتها. أيها القلب..
 يا أيها القلبُ كيف كذبت عليّ وأوقعتني عن صهيلي؟

لدينا كثير من الوقت، يا قلب، فاصمُدْ
ليأتيك من أرض بلقيس هدهدُ.
بعثنا الرسائل.

قطعنا ثلاثين بحراً وستين ساحلُ
وما زال في العمر وقتٌ لنشرُدْ.

ويا أيها القلب، كيف كذبتَ على فرسٍ لا تملُّ الرياحُ.
تمهَّلْ لنكملَ هذا العناقَ الأخيرَ ونسجُدْ.
تمهَّلْ.. تمهَّلْ لأعرفَ إن كنتَ قلبي أو صوتها وهي
تصرخ: خُذني.

٤ - غرفة في فندق

سلام على الحب يوم يجيء، ويوم يموت، ويوم يُغيّر أصحابه
في الفنادق! هل يخسر الحب شيئاً؟ سنشرب قهوتنا في
مساء الحديقة. نروي أحاديث غربتنا في العشاء. ونغضي إلى
حجرة كي نتابع بحث الغريبين عن ليلة من حنان، [إلخ..
إلخ..].

سننسى بقايا كلام على مقعدين، سننسى سجائرتنا ثم يأتي
سوانا ليكمل سهرتنا والدخان. سننسى قليلاً من النوم فوق
الوسادة. يأتي سوانا ويرقد في نومنا، [إلخ.. إلخ..] كيف كُنّا
نُصدّق أجسادنا في الفنادق؟ كيف نُصدّق أسرارنا في
الفنادق؟ يأتي سوانا، يُتابع صرختنا في الظلام الذي وَحَدَ
الجسدَيْن، [إلخ.. إلخ..] ولسنا سوى رَقَمَيْن ينامان فوق
السريّر المشاع المشاع، يقولان ما قاله عابران على الحب
قبل قليل. ويأتي الوداع سريعاً سريعاً. أما كان هذا اللقاء

سريعاً لننسى الذين يحبوننا في فنادق أخرى؟ أما قلتِ هذا الكلام الإباحي يوماً لغيري؟ أما قلتِ هذا الكلام الإباحي يوماً لغيرك في فندقٍ آخر أو هنا فوق هذا السرير؟ سنمشي الخطي ذاتها كي يجيء سوانا ويمشي الخطي ذاتها.. [إلخ..]

أنا العاشق السيئ الحظ

تمرّد قلبي عليّ.

□

أنا العاشق السيئ الحظ
نرجسة لي وأخرى عليّ

□

أمرّ على ساحل الحبّ. أُلقي السلام
سريعاً. وأكتب فوق جناح الحمام
رسائل منّي إليّ.

□

كم امرأة مزقتني

كما مَزَّقَ الطفلُ غيمه
 فلم أتألَّم، ولم أتعلَّم. ولم أخمِ نجمة
 من الغيم خلف السياج القصي



أمرُّ على الحب كالغيم في خاتم الشجرة
 ولا سقفَ لي، لا مَطَرُ
 أمرُّ كما يعبر الظلُّ فوق الحجز
 وأسحب نفسي من جَسَدٍ لم أَرَهُ
 وأحمل قلبي قميصاً على كتفي



أخاف الرجوع إلى أيِّ ليلٍ عرفته
 أخاف العيون التي تستطيع احتراق ضيفافي
 فقد تبصر القلبَ حافي
 أخاف اعترافي
 بأنني أخاف الرجوع إلى أيِّ صدرٍ شربته
 فألقي بنفسي في البئر.. في.



أنا العاشق السيء الحظ. قلتُ كلاماً كثيراً
وسهلاً عن القمع حين يُفَرِّخُ فينا السنونو.
وقلتُ نبذ النعاس الذي لم تَقْلُه العيونُ
ووزَّغْتُ قلبي على الطير حتى تَحُطَّ وحتى تطيرا
وقلتُ كلاماً لألعب. قلتُ كلاماً كثيراً
عن الحبِّ كي لا أُحِبَّ، وأحمي الذي سيكونُ
من اليأس بين يدي.



.. ويا حُبَّ، يا من يُسَمُّونه الحبَّ، مَنْ أَنْتَ حتى تعذب
هذا الهَوَاءَ

وتدفع سَيِّدَةً في الثلاثين من عمرها للجنون
وتجعلني حارساً للرخام الذي سال من قدميها سماء؟
وما اسمُك يا حُبَّ ، ما اسمُ البعيدِ المعلقِ تحت جفوني
وما اسمُ البلاد التي خِيَّمت في خطي امرأة جَنَّةً للبكاءِ
وَمَنْ أَنْتَ يا سَيِّدي الحب حتى نُطِيع نواياك أو نشتهي
أن نكون ضحاياكَ؟

إِيَّاكَ أَعْبُدُ حتى أراك الملاكَ الأخيرَ على راحتي.



أنا العاشق السيء الحظ. نامي لأتبع رؤياك، نامي
 ليهرب ماضي مما تخافين. نامي لأنساك. نامي لأنسى مقامي
 على أول القمح في أول الحقل في أول الأرض. نامي
 لأعرف أنني أحبك أكثر مما أحبك. نامي
 لأدخل دغل الشعيرات في جسد من هديل الحمام
 ونامي لأعرف في أي ملح أموت، وفي أي شهيد سأبعث حيًا.
 ونامي لأحصي السموات فيك وشكل النباتات فيك.
 وأحصي يديًا
 ونامي لأحفر مجرى لروحي التي هربت من كلامي
 وخطت على ركبتك.. لتبكي عليًا.



أحب، أحب، أحب. لأستطيع الرجوع إلى أول البحر.
 لأستطيع الذهاب إلى آخر البحر. قلني
 إلى أين يأخذني البحر في شهوتك
 وكم مرة سوف تصحو الوحوش الصغيرة في صرختك؟
 خذيني لأخذ قوت الحجل
 على ركبتك.



أُحِبُّ، أُحِبُّ، أُحِبُّ، أُحِبُّكَ. لكنني لا أريد الرحيلَ على موجتك
دعيني، اتركيني، كما يترك البحر أصدافه على شاطئ العزلة
الأزلي.

أنا العاشق السيء الحظ لا أستطيع الذهاب إليك. ولا
أستطيع
الرجوع إلي.



تمرد قلبي علي.



عند أبواب الحكاية

للهيايات مذاقُ القمر البنيّ، طعمُ الكلمات
 عندما تحفر في الروح مجاريها.. وتنشف
 ولها صوتُ أينّا في السموات، وإصغاءُ حصاةٍ
 لوصايا الملح. مُث يا حُبّ مُث فينا، لنعرف
 أنّنا كُنّا نحبّ.
 كُلُّ شيءٍ جاهزٌ من أجل هذا الانكسار العاطفيّ
 شَجَرُ السرو، ووردُ الحائط الأحمر، والدمع المُخبأ
 وطريقٌ لا يؤدّي بي إلى بيتٍ ومرفاً
 وتحتّيات الحديد
 لمكانٍ غيرِ المُكانِ والألوان. مُث يا حب في
 لأرى النهر على هيئة أفعى ونهايات نشيد..

النهايات يَدٌ تخرجُ منها يَدُها الأخرى
 ووجهٌ لسماء تنكسرُ
 هل بوسعِ القلبِ أن يسقط أكثر؟
 هل بوسعِ البجعِ العاشقِ أن يرقصَ أكثر؟
 صرختي أكبر مني. صرختي أضيقُ من صحرائنا
 صرختي دَلَّتْ على قلبي قليلاً، وأضلَّتْهُ كثيراً
 والنهايات بدايات سؤالي عن صواب الأغنية
 تَصْدُقُ الصحراء فينا عندما يكذب عصفورُ علينا
 وتصير الأقبية
 لَقَباً للأندلس.



ها أنا أصحو من النوم. على صدري آثارُ يدينِ
 وعلى المرأة ما يُشبه مَنْ كنتُ أحبُّ،
 أو أحبُّ الآن، أو أعبدُ، أو يجلدُ روحي بُعْدُها
 وعليَّ الآن أن أخلع عن بطني ختم الشفتينِ
 وعليَّ الآن أن أخرج من نفسي كي يندسَّ في نفسي ونفسي
 جلدُها

وعليّ الآن أن أسقي حُلماً سابقاً شاي الصباح

وأقول: المطرُ الناعمُ جلدُ امرأةٍ كانت هنا

كانت هنا

كانت هنا



ها أنا أدخلُ في النومِ. أرى حُلْمي. أرى

كُلُّ ما يحدث لي بعد قليلٍ

قد مررنا مثلما مرَّ سوانا

واشتهينا كسوانا وافترقنا كسوانا

ربما نرجع للشيء الذي شرّدنا بعد قليلٍ

ربما نرجع، لكنّ حُلْمي إياه يأتي عكس حُلْمي

كلّما قلت وجدت الشيء فرّث نحلةً حبلى بشهيد، فرأيت

أنّ حُلْمي عَكس حُلْمي



لم يعد في وُشع هذا القلب أن يصرخ أكثر

السمائيّ ترابيّ، فمت يا حبّ فينا نتحرّز

من نجوم لا تغطينا ولا توقد فينا نرجسة.
 النهايات هي الحلم الذي يشبه حُلماً قد حدث.
 النهايات هي المرأة والفكرة إذ تفتقران
 والنهايات هي الفكرة والمرأة إذ تنتظران
 عند أبواب الحكاية



هل أُسميكِ النهاية
 أم أُسميكِ البداية؟



سأُسميكِ البداية.



في آخر الأشياء

تَمَرَّ على وشك السقوط عن الشجر
تلك النهايةُ والبدايةُ أو كلامٌ للسفر.



في آخر السردابِ ينكسرُ الفضاءُ ويتسع.
لا نستطيعُ البحثَ عن شيءٍ وعن قولٍ يُحرِّرُ حائطاً
فيها. وتفتح الشوارعُ كي نَمَرَّ.



ظلاًنْ يفصلانِ عثاً، ثم ينتشرانِ ليلاً لا يُحسُّ ولا يرى
مَنْ يستطيعُ الحبَّ بعدك؟ من سيشفى من جراح الملح
بعدك؟ في زواج البحرِ والليلِ أَسْتَدَارُ القلبُ نحوك،

لم يجدنا، لم يجد حَجَلًا تَزَيَّا بالحجر.



في آخر السرداب نبلغ حكمة القتلى، نُساوي
بين حاضرننا وماضيينا لننجو من كوايس الغد
أَيَامَنَا شَجَرٌ. وكم قمرٍ أَرَادَكَ زوجةً للبحر،
كم رِيحٍ أَرَادَتْ أَنْ تَهَبَّ لتأخذيني من يدي.
أَيَامَنَا ورقٌ على وشك السقوط مع المطر.



لم تبقَ للموتى سوى الحجج الأخيرة. لا مكانَ لنا هنا
لنطيلَ جلستنا أمام البحر. فلنفتح طريقاً للزهو
ولأرجل الأطفال كي يتعلموا المشي السريع إلى القبور.
كبرت تجاربنا وضاق كلامنا
فلننطفئ
ولنختبئ
في سيرة الأسلاف والسفر المؤدّي للسفر.



في آخر السرداب يسقطُ من يدينا كُلُّ شيءٍ.

لا تستطيع روائح اللوز استعادتنا ولا دربُ الشَّامِ.

في آخر الأشياء نطلبُ كُلَّ شيءٍ يمنع الثمرَ الأخيرَ من
السقوطِ

لكننا نمضي إلى حتفِ الفواكهِ في مكابرة المحبِّين الجُدُّ.

- لا تذكرني عندما ينمو جنينك لا تطأ حلمي ولا تسمع
منامي

- لا تغضبي مني ولا تغضبِ من الذكرى ومن صدأ على
ريش الحمام.

في آخر الأشياء ندرك كم سيذبحنا وينكرنا القمر.



في آخر الأشياء ينكسر الكلامُ على أصابعنا ونُخفي

ما اختفى منا ولم نعلم. ونرحمُ وردة البيت الأخيرة.

إن جئتُ أغنيتي ولم تجدي حذاءك فاعلمي أنني كذبتُ على
المدى.

إن جئتُ أغنيتي ولم تجدي صراخك فاعلمي أنني كذبتُ
على الصدى.

إن جئتُ أغنيتي ولم تجدي نهايتها أحببني قليلاً كي تحببني
سدى.

إن جئتُ أغنيتي ولم تجدي بدايتها أعيدني زهرة البيت
الأخيرة للندى.

في آخر الأشياء نعلم أننا كنا نحبُّ لكي نحبّ.. وننكسر.



... ولو استطعتُ ملكْتُ عُمرَكَ ساعةً ودقيقةً منذ الولادة

حتى محاولة انتحاري حول خَضْرُكَ

وسرقت نعناع الطفولة من خُطَاكِ وشرق شَعْرُكَ.

ولو استطعتُ قتلت من رسموا فراشة ركبتيك

وشاهدوا الحجلَ المراءِغَ فوق صدرِكَ

ولو استطعتُ لكنْتُ عبداً، أو إلهاً في مَمَرِكَ

وأعدتُ تكوين الخليفة كي أكون الموجه الأولى لبحرِكَ

والصَّرخة الأولى لبرِّكَ

ولو استطعتُ لكنْتُ أُذْرِكَ أنا

ثَمَرٌ على وشكِ السقوطِ عن الشجر.

فانتازيا الناي

النايُ خيَطُ الروح، خيَطُ من شعاع أو أَبَدُ
أَبَدِ الصدى. والنايُ أنْ يثُنْ أُنِّي راجِعُ من حيثُ جُمْتُ
من حيثُ جُمْتُ بلا رفيقٍ، أو بلدُ
بلدٍ يَلُمُ حُطامَ أُغْنيتي،
ما نفعُ أُغْنيتي؟



النايُ أصواتٌ وراء الباب. أصواتٌ تخافُ من القمر
قمر القرى. يا هل تُرى وَصَلَ الحَبْرُ
خبرُ انكساري قَرَبَ داري قبل أن يصل المطرُ
مطرُ البعيد، ولا أريدُ من السَّنة
سنة الوفاةِ سوى التفاتي نحو وجهي في حَجَرِ

حجر رأني خارجاً من كُفِّ أُمِّي مازجاً قدمي بدمعتها
فوقعتُ من سنةٍ على سنةٍ
ما نفعُ أغنيتي؟



النأي ما تُخفي ويظهر من هشاشتنا، ونمضي
نمضي لنقضي عمرنا بحثاً عن الباب الذي لم يغلُق
لم يغلُق بابُ أمام النأي. لكنَّ السحابةَ تحترقُ
مما أصاب خيولنا، يا نأي، فائقب في الصخورِ طريقنا حتى
نمُرَّ

حتى نمر كما يمرُّ العائدون من المعارك ناقصين
وخاسرين شقائق اللغة
ما نفعُ أغنيتي؟



النأي آخر ليلتي. والنأي أوَّل ليلتي. والنأي بينهما أنا
أنا لا أنادي غير ما ضيَّعتُ من قلبي هنا
وهناك سرنمة. بلادي تشتهيني ميتاً ومشتتاً حول السياج
حول السياج يطاردُ الأولادُ قوتَ الطيرِ أو قطع الزجاج

زجاجِ أَيَّامٍ تُعَدُّ على الأصابع أو على توت البيوت
توث البيوت يموت فيّ، ولا يموت
ولا يموت على الغصون. تموت ذاكرتي
ما نفعُ أغنيتي؟



النائي، ناح النائي صاح النائي في شجر النخيل
شجر النخيل سيشتهينا. مؤهينا وادخلي باة الصهيل
وأنا الصهيل وأنت جلدي، دثريني دثريني، واشربي عسل
القتيل

وأنا القتيل، وأنت أفراس. سأسقط كالنداء عن السفوح
وعلى السفوح ينوح نائي. فضة الوديان أنت حول حنجرتي.
فرس من الشهوة

لا تبلغ الذروة

ما نفعُ أغنيتي؟



النائي نار الحب حين نظئته قد مات فينا
قد مات فينا فجأة ما نشتهيهِ ويشتهيها

ما يشتهينا نشتهيه، ورغبتني تبكي كأننى الوحش تبكي
تبكي شعيرات الدم المحبوس في لُغتي لأصرخ:
كم أحبك، أو لأحكي
أحكي عن الناي الذي لا يستطيع فراق أغنيتي
ما نفعُ أغنيتي؟



الناي يفضح جرحنا المنسي. يفتح سرنا للاعتراف
الاعتراف بكل ما نخفي وراء قناعنا. كنا نحب
كنا نحب نساءنا. كنا نصدق ماءنا وهواءنا. كنا نخاف
كنا نخاف نهاية الأشياء فينا عندما كنا نشب
كنا نشب على الخرافة. باسم من نهدي ونرفع حلمنا
هل حلمنا، يا ناي، كنز ضائع
أم حبل مشنقة؟
قمر على الشرفة
لا يدخل الغرفة
ما نفعُ أغنيتي؟



محاولة انتحار

كتب الوصيَّة:
عشرون أغنيةً لعينيها، وللرمل البقيَّة.



لم أحترقُ
لم أحترقُ
والنار ما زالت مُسَوَّدَةً خفيفة.



لم يبقَ لي غير النزول عن الصدى
والسير خارج داخلي بين الشظايا والمدى.
عبثاً أقُدِّس ما يدنُّسُهُ الكلامُ سدىً سدىً

فلأنصرف عني وعنك إلى الغيوم الليلكيَّة.



فَتَحَ النوافذ للكآبة: كم أرى
سُحْباً تغطيني وتمطرُ خارجي. كم مِنْ قُرَى
أَلْفَتْ حنيني واختفت بدخانها. كم من شعاع أخضرا
شقَّ السماء وشَقَّنِي لأكون: قاعاً، أو ذُرَى
وقصيدتي لا تنتهي إلا لتبدأ منك يا لُغْتِي العصيَّة.



لم يبقَ لي غيرُ الذي لم يبقَ لي. تعب المغني والمحارب
فليستريحاً؛ ريشما تُنهَي مراكبنا عويل البحر أو تُشَبِّى
المراكب

وليستريحاً ليلَةً، حتى نرى حجراً نُسمِّرُ فوقه ضوء الكواكب
وليستريحاً فيَّ. هل من قِمَّةٍ أُخرى
لنسير لا يريد الموتُ في حقلِ الحقائق؟
لم يبقَ لي غير انكسارِ السيفِ في جَسَدِ الضحيَّة.



ماذا تَبَقَّى منك، يا شعري، سوى امرأة تُغْنِي ما استطاعت أن
تُغْنِي

للقادمين من الغياب ومن أصابع أدمنت شارات نصرٍ
كسرتني؟

مات الذين أحبُّهم، واللوزُ يُزهر كلَّ عامٍ بانتظامٍ
ماتوا، ولكنَّ الصخور تبيضُ لي حجلاً ونسحب ظلُّها البُنِّي
عني

طُرق بلا طُرق هناك،

وهنا أفقٌ، وأغنية تمثنتني ولكن حطمتني
وحدي أجدد صرختي: عودوا لأسمع صرختي. عودوا إليَّ
الآن مني.

ماذا تَبَقَّى منك، يا شعري، سوى أسماء قتلانا، ووشمٍ في
الهويَّة؟



ماذا تَبَقَّى منك، يا امرأتي، سوى يأسٍ تُكَلِّلني يداؤه؟
قد خفتُ من هذا النسيج وخفت من هذا النسيج ومن عُدُوِّ
لا أراه.

لا نهر فيّ لتعبره إليَّ فجراً. كُلُّ ما فيّ انتباهٌ وانتباه.

لا بحر فيك لكي أصبّ نهايتي. لا برّ فيك لأهتدي من
حيث شرّدتني الإله.

وهبطت من قدميك كي أعلو إلى قدميك ثانية، ويخطفني متاه
لكنّ قلبي كان يعرف أنه لا يستطيع الارتفاع إلى مدالك..
إلى مداه.

ماذا تبقى منك، يا امرأتي، سوى عسل سيجرحني شدّي
ماذا تبقى منك غير قصيدة الحبّ الشقية؟



كتب الوصيّة:

عشرون أغنية لعينها .. وللرمل البقية.



لا تشرحي أسباب هذا الانتحار لأصدقائي
لا ترتدي فحم الثياب، ولا تُغطيني بريحانٍ وراية
لا تحفري فوق الهواء تحيّة القلب الأخيرة
وإذا استطعتِ فلا تُحبّي أيّ شخصٍ تعرفينه
وإذا استطعتِ تجنّبي مطر الخريف وصوت أمّي،
وخُذي من النسيان زنبقة البياض العائليّة.



فَتَحَّ النوافذ للذي يأتي، فلم يسمع سوى دُقَات ساعته الأخيرة.

دُقْتُ، تدُقُّ ، تعدّ ساعات النهاية. كم نهاية
ستدُقُّ ساعته لئنهي دورة العمر القصيرة؟
لم يبق لي غيرُ النزولِ من البداية.. للبداية
والسير داخل خارجي. لكن سدى
وسدى تطول المسرحية.



هو لا يُودَّع أي شيء أو أحد
لا شيء يغريه بأن يبقى على حبل الفراغ من الفراغ إلى
الفراغ
مُعلَّقاً.

قال: الحياة هديَّة الأفعى، فما شأنِي أنا
في مَنْ سيفرَح بالهديَّة؟



وَصَعَ المُسدَّس بين رؤياه، وحاول أن ينام
إن لم أجد حلماً لأحلمه سأطلقُ طلقتي
وأموت مثل ذبابة زرقاء في هذا الظلام

وبلا شهية.



كتب الوصية:
عشرون أغنية لعينها، وللرمل البقية



كتب الوصية:
لا، لا وصية.

آن للشاعر أن يقتل نفسه

آن للشاعر أن يقتل نفسه
لا لشيء، بل لكي يقتل نفسه.



قال: لن أسمح للنحلة أن تمتصني
قال: لن أسمح للفكرة أن تقتصر مني.
قال: لن أسمح للمرأة أن تتركني حياً على ركبته.



من ثلاثين سنة
يكتب الشعر وينساني. وقعنا عن جميع الأحصنة
ووجدنا الملح في حبة قمح، وهو ينساني. خسرنا الأمكنة

وهو ينساني. أنا الآخر فيه.



كُلُّ شيءٍ صورةٌ فيه. أنا مرآتهُ
كُلُّ موتٍ صورةٌ. كُلُّ جَسَدٍ
صورةٌ. كُلُّ رحيلٍ صورةٌ. كُلُّ بَلَدٍ
صورةٌ. قلتُ: كفى متناً تماماً، أين إنسانيتي؟ أين أنا؟
قال: لا صورة إلا للصُور.



من ثلاثينَ شتاءَ
يكتب الشعرَ ويُنِي عالماً ينهار حوله
يجمع الأشلاءَ كي يرسم عصفوراً وباباً للفضاء
كُلُّما انهار جدارٌ حولنا شاد بيوتاً في اللغة
كُلُّما ضاق بنا البرُّ بنى الجنة، وامتدَّ بِجُمْلَةٍ
من ثلاثينَ شتاءَ، وهو يحيا خارجي.



قال: إن جئنا إلى أولى المُدُن

ووجدناها غيباً

وخراباً

لا تُصدّق

لا تُطلّق

شارعاً سرنا عليه.. وإليه.

تكذب الأرض ولا يكذب حُلْمٌ يتدلى من يديه.



من ثلاثين خريفاً

يكتب الشعر ولا يحيا ولا يعشق إلا صورة

يدخل السجن فلا يُبصر إلا قمر

يدخل الحب فلا يَقِطِفُ إلا ثمر

قلت: ما المرأة فينا؟ قال لي: ثَفَّاحَةٌ للمغفرة.

أين إنسانيتي؟ صحت

فسد الباب كي يبصرني خارجة. يصرخ بي:

من فكرة في صورة في سُلَم الإيقاع تأتي المرأة المنتظرة.



آن للشاعر أن يخرج مني للأبد.
 ليس قلبي من ورق
 أن لي أن أفترق
 عن مراياي وعن شعب الورق.
 آن للنحلة أن تخرج من وردتها نحو الشفق
 آن للوردة أن تخرج من شوكتها كي تحترق
 آن للشوكة أن تدخل قلبي كُلُّهُ
 كي أرى قلبي، وكي أسمع قلبي، وأحسَّهُ.
 آن للشاعر أن يقتل نفسه،
 لا لشيء،
 بل لكي يقتل نفسه.

أوديب

[ما حاجتك للمعرفة... يا أوديب]

ما حاجتي للمعرفة؟
 لم ينجُ منِّي طائرٌ أو ساحرٌ أو امرأة.
 العرش خاتمة المطاف، ولا ضفاف لقوتي
 ومشيتي قدَّر. صنعتُ ألوهتي
 بيدي، آلهة القطيع مُزَيَّفَة.
 ما حاجتي للمعرفة؟



السُّر في الإنسان،
 والإنسان سيُّد نفسه وسؤاله
 لا علم إلَّا ما يراه الآن،
 والماضي دموعٌ مُشرقة

ما حاجتي للمعرفة؟



أمشي أمامي واثقاً من صولجان خطائي. ظلّي أزرق

والناس أشجاري

وللتاريخ أن يأتي بكلّ قضائيه وشهوده

ليؤرخوا فرحي بمملكتي

وأولادي وسور مدينتي

وجلال أفنعتي

وموت الأمس في وفي المؤرخ. ههنا أحياء. هنا أحياء، هنا

ما حاجتي للمعرفة؟



لا شأن لي بسلاتي

كانوا رعاة، أم ملوكاً، أم عبيد

هذا أنا ملك

أنا ملك وحيد

وأحبّ إمرأتي وأعبدها وألبس غزيبها

وأشدها من كل أطراف الدم الجنسي في دمها

وأُطلقُ صرختي بفحيح حيواناتها الصغرى.
أريدكِ مرّةً أخرى، فلا تتحدثي عن زوجكِ الماضي وعن
رجل
سواي.

أنا هنا. وأنا هنا.

وأنا هنا

وهنا أنا ...

ما حاجتي للمعرفة؟



أنا كائنٌ في ما أكونُ

وأنا أنا

ماضيّ سرٌّ لا يُورّقني؛

سأكمل ما بدأتُ من الجوابِ، لأكمّله.

لا شأن لي بالأسئلة.

عمّا مضى

لا شأن لي، لا شأن لي. وأنا جوابٌ للجوابِ،

لا شأن لي في أصل أُمّي

سيّان، إن كانت أميرة

أو فقيرة.

أنا واحدٌ

أحدٌ

ملك ...

ما حاجتي للمعرفة؟



لم يسألوني مرّة: من أيّ صُلبٍ قد أتيت؟

لم يسألوني: مَنْ أبوك وَمَنْ أخوك؟ ومن قتلَ وهل قتلَ؟

لكنهم قالوا: ستأزُّ للملك

فسألت: مَنْ قتلَ الملك؟

وسألت: من قتلَ الملك؟

أنا قاتلُ الملك. الملك

هو والدي المجهول والراحل

وأنا بريء من دَمٍ واقف

بيني وبين الله . لم أعرف

بأنّي القاتل الجاهل

وهل الجريمة أنني قاتلُ

أُمُّ أَتْنِي عَارِفٌ؟!



أنا زوجُ أُمِّي

وابتني أختي

وتختي، مثل عرشي، أوبئة

يا امرأة

يا معرفة

ما حاجتي لكما،

لماذا لم تموتا مثل موت الآلهة

مَنْ أطلق الماضي عليّ كأخطبوط حول روحي التائهة

مَنْ دسَّ في خمري سموم المعرفة؟

ما حاجتي للمعرفة

ما حاجتي للمعرفة؟

يكتب الراوي: يموت

ليس لي وجهٌ على هذا الزجاج

الشظايا جسدي

وخريفي نائمٌ في البحرِ

والبحرُ زواج.

فلنم أصحاب هذا الوقت في ساعاتهم

هذه الأجراس لا تأخذني اليومَ

إلى أي لقاء أو وداع..

هذه الأجراسُ لا تعلن وقتي

إنَّ وقتي من شعاع



يكتبُ الراوي على الكورنيش

والموج الممزق:
 ذهب الموت إلى البحر
 وظلّ البحر أزرق



مدن تأتي وتمضي. هذه زنراتي
 بين حوار الضوء والظلّ
 جدارٌ وجدارٌ..

إن وجهي واحدٌ. والموت واحدٌ.
 مدن تأتي.. وظلّ يتمدّد
 مدن تمضي .. وظلّ يتبدد
 هذه حرّيتي

بين حوار الظلّ والضوء
 نهار وجدار

إن وجهي واحدٌ.. والموت واحدٌ



يكتب الراوي على السكين:

من هذا التزيّف
 طار عنقودُ حمام
 وعلى سطح الرغيف
 وجد العش، ونام



ليس لي وجه على مرآة هذا الوقت
 وجهي كبيوت الفقراء
 «يشرب النسيان» من ذاكرة القمح
 وحلم الأنبياء.
 مُدُنٌ تأتي وتمضي. ساعة الحائط للعرض
 وللأرض أنا .. والشهداء



وهنا بيروت في الصفر التجاري وفي أقراص منع الحمل
 والحنطة - تبكي وقتها المكسور في الإعلان عن أقراص منع
 الوطن الآخر -

تبكي وقتها المهدور في هذا المساء.
 ليس لي وجه على هذا الكفن

فليَنِم أصحاب هذا الوقت في ساعاتهم
ولينهُضِ الموتى من الموت لترويض الزمن



يَكْتُبُ الراوي على باب المدينة:
من هنا مر الخريفُ
في ثياب القَتْلَةِ
وعلى كل رصيف
حفلة للسنبلة



ليس لي وَجْهٌ على هذا الفراق
الشظايا جسدي
والمسافاتُ عناق
آه، لو يتعد الموتى عن الموت قليلا
لأراهم في تفاصيل الأمل
آه، لو أسحب مني جثتي
لأرى الفارقَ ما بين الصدى والصوت

والفكرة في بؤس العمل.
كلُّ شيء قابل للاحتراق
في احتمالات الكتابة
كلُّ شيء في يد الراوي أو الشاعر
شعرٌ وعناقٌ ..



الضحايا - صورةٌ
والدم - إيقاع قصيدة
واندلاعُ الفجر في الغابة
والماء الطليعي ..
وعطرُ البرتقالِ الرحب ..
والموتُ دفاعاً عن حصان أو عقيدة
في يد الشاعر شعرٌ وعناقٌ! ..
يا إلهي! أين إنسانيتي
يا إلهي! كيف أنجو من مهارات اللغة!
كلُّ شيء قابل للاحتراق
في احتمالات الكتابة

المسافات عناق

والتفاصيل عناق

والعلاقات عناق



ولذلك

يكتب الراوي على كل البيوت:

الحقيقي يموت

والحقيقي يموت!

أسميك نرجسة حول قلبي

[إلى سميح القاسم]

دوائرٌ حولَ الدوائرِ، لو كان قلبي مَعَكَ
 قطعْتُ مزيداً من البحرِ. ماذا أصابَ الفَرَّاشَ،
 وما صَنَعَ النبعِ بالفتياتِ الصغيراتِ؟ ماذا دهانا؟
 لندخل هذا العناقِ السرابَ.. العناقِ السرابِ السرابِ
 ونحن على مشهدٍ لا يُكرَّرُ إلَّا حضورَ الغيابِ
 تماثيلَ تُحصى، حصى، مَشْمَشاً، شارعاً، شارعين. وبابِ
 يطلُّ على خُطوةٍ لم تصلْ بعدُ. ماذا أصابَ الوهجَ
 وما فعل الليلُ بالعتباتِ الأليفةِ؟ ماذا دهانا؟
 لتفصلَ العينُ عن نظرةٍ صَوَّبَتْهَا؟ أحينَ تمتدُّ الجذورُ
 رسائلُها في الفضاءِ لتمتدُّ فينا يغيبُ الحضورُ؟
 غيابُ حُلُولِي في كُلِّ دارٍ. غيابُ بلادٍ أُشِيدَها في اللغةِ

غياب دخولي في الروح لا شيء في. غياب غياب.



إذا غفر الله للأنبياء

وعادوا إلى الأرض من ملكوت العقيدة؛

إذا غفر الله للسجناء

وعادوا إلى البيت من رحلة في مساء القصيدة؛

إذا غفر الله للشهداء

وعادوا إلى الأهل من جنة الكلمات البعيدة

فهل تغفر الأم لي

رحيلي إلى امرأة ثانية؟



دوائر حول الدوائر، دعني أفسر لك الحادثة

حلمت، كما كنت تحلم، أن حزيان أقسى الشهور

وأن الكلام الذي يتكرر فينا لكي نتبعه

هو الكارثة.

حلمت، كما كنت تحلم، أن البحيرات زرقاء خلف يدي

وخلف يديك.

وَأَن الطَّرِيقَ المَعَاكِسَ أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ، وَأَقْرَبُ مِنْكَ إِلَيْكَ،
وَأَن لِحَرِيَّتِي رَمَزَ تَمُوزَ وَالزُّوْبَعَةَ.
حَلَمْتُ فَطَرْتُ لَأَدْخُلَ، ثَانِيَةً، فِي الْجَذُورِ
وَعَبْتُ لِأُحْضِرَ كُلَّ هَدَايَا اللُّغَةِ
إِلَيْكَ ..

وَكَدْتُ أَعُودَ قُبَيْلِ انبِثَاقِ الْفِرَاقِ
وَلَكِنُّ حَادِثَةً الْوَهْمِ تَمَّتْ، وَتَمَّ احْتِرَاقُ الْبِرَاقِ
عَلَى شَارِعِ عَجٍّ بِالْحَالِمِينَ،
وَبِالرَّحْلَةِ الثَّالِثَةِ.



إِذَا ضَلَّتُ الرُّوحَ خَارِجَهَا
ضَلَّلْتُ رُوحَ دَاخِلِهَا.



أَسْمِيكَ نَرَجَسَةً حَوْلَ قَلْبِي
لَوْ كَانَ قَلْبِي مَعَكَ،
وَأُودِعْتُهُ خَشَبَ السَّنْدِيَانِ،
لَكُنْتُ قَطَعْتُ الطَّرِيقَ بِمَوْبٍ أَقْلُ...

أما من وراء؟ أما من أمام؟ أما من صعود؟

أما من هبوط؟

أما أن للفارس الحر أن يتوسد ظلاً

وأن يشتري قبره قبل أن ينفذ القفر. ماذا دهانا

أما كان من حقنا أن نُصدّق امرأة واحدة

وأسطورة واحدة؟

حرام علينا مكاشفة الذات. هل ترقص الباسادوبلي

وتعبر في شارع المومسات؟

أما كان من حقنا أن نواصل ذاك الضحك

وكسّر الزجاجات في شارع الليل حين يموت الملك؟

لنا الذكريات، وللغزو ترجمة الذكريات إلى أسلحة

ومستوطنات.

أما زلت تؤمن أن القصائد أقوى من الطائرات؟

إذن، كيف لم يستطع إمرؤ القيس فينا مواجهة المذبحة؟

سؤالي غلط

لأن جروحي صحيحة

ونطقي صحيح، وحبري صحيح، وروحي فضيحة.

أما كان من حقنا أن نكرس للخيل بعض القصائد قبل انتحار

القريحة؟

سؤالي غلط

لأنني نمط

وبعد دقائق أشرب نخبي ونخبك من أجل عام سعيد جديد

جديد

سعيد

جديد سعيد



إذا ضلّ الروح خارجها

ضلّ روح داخلها.



سنكتب، لا شيء يثبت أنني أحبك غير الكتابة

أعانق فيك الذين أحبوا ولم يفصحوا بعد عن حُبهم.

أعانق فيك تفاصيل عمر توقّف في لحظة لا تشيخ.

هنا قلب أُمّي. هنا وجه أُمك.

هنا أول الشّعْر والسخرية.

هنا أول السّلم الحجريّ المؤدّي إلى الله والسجن والكلمة.

هنا نستطيع انتظار القياصرة المؤمنين بجحش
توقف في أرضنا قبل ميلاد عيسى عليه السلام،
وأُسِّس دولته بعد ألفي سنة.
أتحسب أن الزمان يُضَيِّعُ حَقَّ الحمير بقتل العرب؟



سنكتب. لا شيء يثبتُ أنَّ الزمانَ طويلُ اللسانِ
سوى الكلماتِ التي لا تُصَدُّ سوى موتِ
صاحبها
فقلها
وقلها
وخفَّفْ عن القلبِ بعضَ التلوُّثِ والأسئلةِ
وقلها
وخفَّفْ عن الناسِ سادئةَ العصرِ والأخوةِ - القَتْلَةِ
سنكتب من غير قافيةٍ أو وطنِ
لأنَّ الكتابةَ تثبتُ أنني أحبك،
وأنَّ لأمي حقاً بقلبك
وأنَّ يديك يداي، وقلبي قلبك!

من فضة الموت الذي لا موت فيه

نسيانُ أمرٍ ما صعودٌ نحو باب الهاوية
 هذا أنا أنسى نهاياتي وأصعدُ ثم أهبطُ. أين يُتَّحَنُ الصواب؟
 هل في الطريق، أم الوصولِ إلى نهاياتِ الطريق المُفرَّخة؟
 وإذا وصلتُ فكيفَ أمشي؟ كيفَ أرفعُ فكرةً أو أغنيةً
 ضيقتُ هاويتي لتكبرَ خطوتي فيها، وأجلستُ السماءَ على
 الحصى

وعليَّ أن أنسى لأنفضَ عن يديَّ سلاسلَ الطُّرقِ الكثيرة
 وعليَّ أن أنسى هزائمي الأخيرة كي أرى أفقَ البداية
 وعليَّ أن أنسى البدايةَ كي أسيرَ إلى البدايةَ واثقاً مني ومنها.
 ولأنني ما زلتُ أسألُ، لا أرى شكلاً لصوتي غيرَ قبوي.
 هل كان معيارُ الحقيقةِ دائماً سيفاً لأخفي فكرتي مُذ طارَ
 سبفي؟

مَنْ يستطيعُ البحثَ عن سفحِ لصوبٍ خَرَّ في الوادي السحيق؟

مَنْ يَسْتَطِيعُ الْبَحْثَ عَنْ أُمِّ أَتَانَا صَمْتُهَا عِبْرَ الْخَيْوَلِ الْفَاتِحَةِ
 وَتَرْوُجَتْ لُغَةً الْعَدُوِّ. تَعَلَّمْتُ أَدْيَانَهُ وَاسْتَسَلَّمْتُ لَغِيَابَهَا
 مَاذَا أَرَى مِمَّا جَرَى؟ هَلْ أَسْتَطِيعُ الْبَحْثَ عَنْ مَتَرٍ مُرَبَّعٍ
 لِأَحِيلَ أُغْنِيَتِي إِلَيْهِ، خَلَفَ هَنْدَسَةُ الْخَرَابِ الصَّارِمَةُ
 وَلِخَطَوَتِي الْأُولَى. أَلَمْ أَعْرِفْ تَمَاماً شَكْلَ مَوْتِي
 وَحَجَارَةَ الْقَمَرِ الْمُبْعَثِ، عِنْدَمَا أَهْدَيْتُ مَوْتِي
 لِسَلَامِ أَطْفَالٍ سَيَنْجِبُهُمْ عَدُوِّي مِنْ نِسَائِي
 هَلْ هَكَذَا التَّارِيخُ لَا يَرُوي سِوَى سَيَرِ الْمُلُوكِ النَّاجِحِينَ؟
 دَافَعْتُ عَمَّا لَا أَرَاهُ، وَلَنْ أَرَاهُ، وَلَنْ أَرَاهُ، وَعَنْ سَرِيرِ الْعَاشِقَةِ
 دَافَعْتُ عَنْ شَجَرٍ سَيَشْنَقُنِي إِذَا مَا عُذْتُ مِنْ لَغْتِي إِلَيْهِ
 دَافَعْتُ عَمَّا كَانَ لِي، وَيَفْرُ مِنِّْي حِينَ تَوْقُظُهُ يَدَايِ
 دَافَعْتُ عَمَّا لَيْسَ لِي. وَسَأَسْتَطِيعُ إِذَا اسْتَعَطْتُ سَأَسْتَطِيعُ
 أَنْ أَرْجِعَ الْمَاضِي إِلَى مَاضِيهِ، أَنْ أَسْتَلَّ مَوْعِظَةَ الْجِبَلِ
 مِمَّنْ رَأَيْتُ سَائِراً مُتَسَائِلاً بَيْنَ الضَّحَايَا وَالشَّهُودِ
 ضَبَّقْتُ هَاوِيَتِي لِأَوْضَحَ خَطَوَتِي. وَسَأَسْتَطِيعُ سَأَسْتَطِيعُ
 أَنْ أَمْلَأَ الْكَلِمَاتِ مَعْنَاهَا وَأَنْ أَحْيَا كَمَا شَاءَتْ مَشِيئَةُ رَغْبَتِي
 هَذَا أَنَا أَنْسَى نَهَايَاتِي وَأَصْعَدُ ثُمَّ أَصْعَدُ نَحْوَ بَابِ الْهَاوِيَةِ
 أَهْنَاكَ مَا يَكْفِي مِنَ الْأَفْكَارِ كَيْ أَخْتَارَ خَطَوَتِي الْأَخِيرَةَ؟

أهناك ما يكفي من البلدان كي أضع الكلام على الرصيف..
وأنصرف

أهناك ما يكفي من الكلمات كي أبني نوافذ لا تطل على
المذابح؟

أهناك ما يكفي من التاريخ كي أجد ابتهالات الشعوب
السابقة؟

أهناك ما يكفي من النسيان كي أنسى.. وأنسى
أنسى لأبتكر البداية من نهاية ما انتهى فينا. كسرتُ الدائرة
وكسرتُ نفسي كي أرى نفسي تدلُّ على انتباه الأجنحة
وعليَّ أحياناً. أنطعمُ خيلنا لغةً، أنسرجُها الكناية؟

من ليس مثاً صار مثاً. إفتحوا باب الحقائق في قيودي
يخرج إليكم ما أريد من الكلام، وما أريد من اليمام.
لم يبقَ لي شيء لأخسره هنا. لم يبقَ شيء كي أراه
لم يبقَ لي شيء يناديني ولا شيء يضاف إلى كتابات
الكهوف

في قوتي ضعف الممر، وفي انكساري قوة المعنى. فماذا
لو هبَّ نعناع على أقفاص نفسي، وارتفعت على حطامي
العالية

ماذا لو اكتمل النشيد الحر، وانهارت حدود الهاوية؟

ماذا لو انقضَّ النهارُ عليَّ من ثقبِ المدى؟ هي أغنيةٌ
منذُ الصعودِ إلى الهبوطِ إلى محاولةِ الصعودِ على الصدى.
هي أغنيةٌ

سيوزعُ النسيانُ أعشاباً على جدرانها، وسنستعيدُ
أيامَ إخوتنا وتاريخِ انبجاسِ الماءِ من حجر. فكم سنةً سنبقى
في قاعِ هاويةٍ نُعلمُ روحنا قُدَّاسَها وجنَّاسَها.
ونعيدُ للأسماءِ سُكَّاناً نسوا أسماءَهم كي يتبعونا
ويُقايضوا دَمَهم برُمَّانِ البعيد؟

صَدَّقْتُ أُغْنِيَنِي وَكَذَّبْتُ الْخَرِيفَ وَلِيَتَنِي كَذَّبْتُ أُغْنِيَنِي
وَصَدَّقْتُ
الْخَرِيفَ

هل يستطيعُ الوردُ في أحلامٍ مَنْ ماتَ النزولَ عن السياج؟
هل نستطيعُ العيشَ أكثرَ ما استطعنا كي نرى ذَهَبَ الكلامِ
خبزاً وفاكهةً؟ «أَسَأْتُ إِلَيْكَ يَا شَعْبِي» أَسَأْتُ كَمَا أَسَاءَ الْحُبُّ
لِي

وَأَصَبْتُ طِفْلاً بِالْأَغَانِي حِينَ قَدَسْتُ الْمَعَانِي وَحَدَّاهَا
وَتَرَكْتُ سُكَّانَ الْقَصِيدَةِ فِي مُخَيَّمِهِمْ يَغْدُونَ الْهَوَاءَ عَلَى
الأصابعِ.

كم من أخٍ لك لم تُلْذُهُ الأُمُّ يُولَدُ مِنْ شِطَائِيكَ الصَّغِيرَةِ؟

كم من عدو غامض ولدته أمك يفصل الآن الظهيرة عن
دمك؟

«أسأت يا شعبي إليك» كما أساء إلي آدم؟

ما أضيق الأرض التي لا أرض فيها للحنين إلى أحد!

كم مرة ستعيد للأُم، المسيح على طبق

من فضة الموت الذي لا موت فيه ولا درج..

كم مرة ستعيد للأشياء أولها وللأسماء فكرتها البسيطة

كم مرة ستمر وحدك في «الطريق إلى دمشق»، ولا ترى

غير الفراغ المر، يا صحراء كوني نعمة، كوني صغيرة

لتمر قافلة الدعاء وقبضة القمح الأخيرة

كم مرة ستكون آخر من يكون ولا يكون؟

يستدرجونك، فانتظرهم خارج المعنى ولا تُلقي السلام على
أحد

واخطف خطاك من الخناجر، وارتفع أعلى من الشجر
السحابة واللغة

وادخل إلى أنفاق نفسك كي ترى ما ليس فيهم.

يستدرجونك، فانتظرهم خارج الأشياء. كن شعباً. وكن

شعباً، ولا تخلع قناعك عن دروعك. كن شعب

شبع البداية والنهاية والمدى، أنت المدى. هي أغنية

قطعوا يديّ وطالبوني أن أدافع عن حلب
 واستأصلوا مني خطاي وطالبوني أن أسير إلى صلاة الغائبين
 أشعلتُ معجزتي وسيرتُ، فحاصروني، حاصروني، حاصروني
 قالوا: انتظر، فنظرْتُ. [لا تكسر موازين الرياح مع العدو]
 ووقفْتُ. قالوا: لا تقف. فمشيتُ ثانية، فقالوا: لا تيسر
 [الحربُ قُرّ. لا تحارب خارج الكلمات]. قلتُ: مَنْ العدو؟
 [ارفع شعارك وانتظره. واعتذر عمّا فعلت]
 ماذا فعلتُ؟ [بحثتُ وحدك عن خطاك ولم تبلغ سيّدك]
 مَنْ سيّدي؟ قالوا: [الشعار على الجدار] فقلت: لا
 لا سيّد إلّا دمي المحروق في جسدي يفتش عن يديّ
 لتدقّ بوابات هذا الليل. لا. لا سيّد إلّا دمي. هي أغنية
 وعليّ أن أجّد الغناء لكي أسلي مَنْ أسلي: قاتلي، وحييتي
 وأنا أحبُّ لأرفع الأنقاض عن نفسي، وأحياناً أحبُّ لكي أحب
 ماذا سأفعل بعد جسمك، والشتاء هو الشتاء
 غسلٌ غنيّف يرشدُ الأنثى إلى ذكرٍ، ويرشدني إلى عبث الكلام
 دَقْتُ حوافر هذه الأمطار خاصرني. أَلجأ للقصيصة
 وهي التي فتحت على حرّيتي منفاي فيك. وأين أنت وأين
 أنت؟

في القاع يتّضح الغيابُ. أرى الغيابَ. أجسّه وأراه جسماً
للغياب

وأقيسُ هاويتي بما يبقى من النسيانِ، لا أنسى فأهبطُ في الجحيمِ
وأقيسُ هاويتي بما يبقى من النسيانِ، فاهبطُ أيها النسيانُ خَبْلاً
للخروج

للخارجِ الهاوي. تبعثُ من الرجوع إلى مَهَبِ الذاكرة
أنسى لأعرف أننا بَشَرٌ. وأنسى كي أجددُ وردني
لا شيء فيّ، ولا أمامي، كي أرى خُبَيْزَةً حمراءَ في هذا
الخراب

لا شيء فيك لكي أضحي بالمدايح والجسد
لا شيء فينا كي نعود إلى مُسَاءَلَةِ الطبيعة والطبائع
لا شيء فينا كي نعلقُ شارعاً فوق الصدى. هي أغنية
وعليّ أن أجد السماء هنا لأصبح طائراً
وعليّ أن أنسى لكي أجد الذي أنساه. ماذا أنتظر؟
لم يبقَ في تاريخ بابي ما يدلُّ على حضوري أو غيابي
بابٌ ليدخل أو ليخرج مَنْ يتوبُ وَمَنْ يَوُوبُ إلى الرموزِ
بابٌ ليحملَ هدهدَ بعضِ الرسائلِ للبعيدِ
لم يبقَ في تاريخ بابي غيرُ خطوة مَنْ أريدُ ومن أحبّ،
كلُّ الذين كرهتهم مرّوا بيابي حين نمتُ وحين قمْتُ

من آدمَ المحكومِ بالصحراءِ حتى آخرِ الأعداءِ من أبناءِ أمي
 أنا الوحيدُ المستباحِ كشمسِ آبٍ وتسمياتِ الآلهة؟
 أنا الوحيدُ الحرُّ في كلِّ العصورِ وفي جميعِ الأمكنةِ
 ليقبسَ كلُّ الناسِ، حُرِّيَّاتهمِ بطلاقِ أمي من أبي
 هل متُّ من زمنٍ بعيدٍ واختفيتُ ولم يصدّقني أحدٌ؟
 ويواصلون البحثَ عن قبري ليتفق الحليفُ مع العدوِّ على فضاء
 مشانقي

ويواصلون البحثَ عن صوتي لأشهدَ أنني ... لا صوت لي
 أو أنني نصفُ الطريقِ إلى التوابلِ والحريرِ.
 أننا استراحةٌ من يحاربُ أو يفاضُ.. أو يخاطبُ ربّه
 أو واحةً للقافلة!

لا أستطيعُ تأملَ الأشياءِ وهي تعيشُ فيّ لكي أغيب
 وقُذِذْتُ من حجرٍ، وفي حجرٍ سُجِنْتُ. ومنَ حجرٍ
 أطلعتُ نرجسةً لتؤنسَ صورتِي. أنا من هناكِ
 وبكلِّ ما أوتيتُ من حجرٍ سأجمعُ قوّتي وخرافتي
 لأكونَ صنواً لإسمي الحجريّ، تخطيطاً لظلِّ لي، وظلُّ للمكانِ
 ومسافةً قرب المسافةِ بين أسئلتي وأجوبةِ السيوفِ الغادرة.
 سأمزقُ الصحراءَ فيّ وحولِ أجوبتي. سأسكنُ صرختي

«أنا من رأى»...

أنا من رأى في ساعة الميلادِ صحراءَ فأمسك حفنة العشب
الأخيرة

سأكون ما وسعت يداي من الأفق
سأعيد ترتيب الدروب على خطاي
سأكون ما كانت رؤاي.

«أنا من رأى»...

«أنا من رأى نوم التار على الخيول الراكضة.

أنا من رأى أمعاءه فوق الدوالي.. فاقترَب.

أنا من رأى تسعين والدّة لبنيت واحدة

أنا من رأى سرباً من الحشرات يصطاد القم

أنا من رأى في جرحه تاريخ هجرات الشعوب من الكهوف
إلى

المسارح

أنا من رأى ما لا يرى. هي أغنية

لا شيء يعنيه سوى إيقاعها؛ ريح تهب لكي تهب لذاتها.
هي أغنية

حجر يشاهد عودة الأسرى إلى ما ليس فيهم؛ أغنية

قمرٌ يرى أسرارَ كُلِّ الناسِ حينَ يخبثونَ جنونهم في ضوئِهِ
ويصدقون
الأُغنية

وهشاشةُ تفقُّدِ الإنسانِ في آثارِهِ؛
في قطعةِ الخزفِ القديمةِ؛ في أداةِ الصَّيْدِ، في لَوْحِ يُؤوِّلُ؛
أُغنية

لتمجِّدِ العَبَثَ الشَّقِيَّ وقوَّةَ الأشياءِ في ما ليس يُدركُ؛ أُغنية
تُرسِي، لتعرفَ نفسها، قانونَ غبْطِهَا وتَزَحْلُ
لقراءةِ أُخرى تراها عكسَ ما كانت تُشيرُ ولا تشيرُ.

هي أُغنية
هي أُغنية

ورد
أقل
١٩٨٦

ساقطع هذا الطريق

سَأَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقَ الطَّوِيلَ، وهذا الطريقَ الطَّوِيلَ، إلى آخِرِهِ
إلى آخر القلب أَقْطَعُ هذا الطريقَ الطَّوِيلَ الطَّوِيلَ الطَّوِيلَ...
فما عدتُ أَحْسَرُ غَيْرَ الغُبَارِ وما ماتَ مِنِّي، وصفُ النخيلِ
يَدُلُّ عَلَى ما يَغِيبُ. سَأَعْبُرُ صَفَّ النخيلِ. أَيْحْتَاجُ جُزْءَ إلى
شاعِرَةٍ

لِيرْسُمَ رُؤْيَاةً لِلْغِيَابِ؟ سَأُنَبِّئُ لَكُمْ فَوْقَ سَقْفِ الصَّهِيلِ
ثَلَاثِينَ نَافِذَةً لِلْكِتَابَةِ، فلتَخْرُجُوا مِنْ رَحِيلِ لَكِي تَدْخُلُوا فِي
رَحِيلِ.

تَضِيقُ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ لَا تَضِيقُ. سَتَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقَ الطَّوِيلَ
إِلَى آخِرِ القُرْسِ. فلتَتَوَثَّرْ خُطَاَنَا سِيَهَامًا. أَكُنَّا هُنَا مِنْذُ وَقْتٍ قَلِيلٍ
وَعَمَّا قَلِيلٍ سَتَبْلُغُ سَهْمَ الْبِدَايَةِ؟ ذَارَتْ بِنَا الرِّيحُ دَارَتْ، فَمَاذَا
تَقُولُ؟

أَقُولُ: سَأَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقَ الطَّوِيلَ إِلَى آخِرِي... وَإِلَى آخِرِهِ.

وما زال في الدرب درب

وَمَا زَالَ فِي الدَّرْبِ دَرْبٌ. وَمَا زَالَ فِي الدَّرْبِ مُتَّسِعٌ لِلرَّجِيلِ
 سَنَزِمِي كَثِيرًا مِنَ الْوَرْدِ فِي النَّهْرِ كَيْ نَقْطَعَ النَّهْرَ. لَا أَرْمَلُهُ
 تَحْتَ الرُّجُوعِ إِلَيْنَا. لِنَذْهَبَ هُنَاكَ.. هُنَاكَ شِمَالُ الصَّهِيلِ.
 أَلَمْ تَنْسَ شَيْعًا بَسِيطًا يَلِيقُ بِمِيلَادِ فِكْرَتِنَا الْمُقْبِلَةِ؟
 تَكَلِّمْ عَنِ الْأَمْسِ، يَا صَاحِبِي، كَيْ أَرَى صُورَتِي فِي الْهَدِيلِ
 وَأُمْسِكَ طَوْقَ الْيَمَامَةِ، أَوْ أَجِدَ النَّايَ فِي تِنْبَةِ مُهْمَلَةٍ..
 حِينِي يَشُئْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ، حِينِي يُصَوِّنِي قَاتِلًا أَوْ قَتِيلًا
 وَمَا زَالَ فِي الدَّرْبِ دَرْبٌ لِنَمْشِي وَنَمْشِي. إِلَى أَتْنِ تَأْخُذُنِي
 الْأَشْئَلَةُ؟

أَنَا مِنْ هُنَا، وَأَنَا مِنْ هُنَاكَ. وَلَسْتُ هُنَاكَ وَلَسْتُ هُنَا
 سَأَزِمِي كَثِيرًا مِنَ الْوَرْدِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى وَرْدَةِ فِي الْجَلِيلِ.

إذا كان لي أن أعيد البداية

إِذَا كَانَ لِي أَنْ أُعِيدَ الْبِدَايَةَ أَخْتَارُ مَا اخْتَرْتُ: وَزِدَ السِّيَاحُ
أَسَافِرُ ثَانِيَةً فِي الدُّرُوبِ الَّتِي قَدْ تُؤَدِّي. وَقَدْ لَا تُؤَدِّي إِلَى
قُرْطَبَةٍ.

أَعْلَقُ ظِلِّي عَلَى صَخْرَتَيْنِ لِتَبْنِي الطُّيُورُ الشَّرِيدَةُ عُشًّا عَلَى
غُصْنِ ظِلِّي

وَأُكْسِرُ ظِلِّي لِأَتَبَعَ رَائِحَةَ اللُّوزِ وَهِيَ تَطِيرُ عَلَى غَيْمَةٍ مُثْرَبَةٍ
وَأَتَعَبُ عِنْدَ الشَّفُوحِ: تَعَالَوْا إِلَيَّ اسْمَعُونِي. كُلُّوْا مِنْ رَغِيفِي

أَشْرَبُوا مِنْ نَبِيذِي، وَلَا تَتْرُكُونِي عَلَى شَارِعِ الْعُمَرِ وَخَدِي
كَصَفْصَافَةٍ

مُتَعَبَةٍ.

أُحِبُّ الْبِلَادَ الَّتِي لَمْ يَطَّأَهَا نَشِيدُ الرَّجِيلِ وَلَمْ تَمْتَلِئْ لِدَمِ وَامْرَأَةٍ

أُحِبُّ النَّسَاءَ اللَّوَاتِي يُخَبِّئْنَ فِي الشَّهَوَاتِ انْتِحَارَ الْخَيُْولِ عَلَى
عَتَبَةٍ.

أَعُودُ، إِذَا كَانَ لِي أَنْ أَعُودَ، إِلَى وَرْدَتِي نَفْسِهَا وَإِلَى خَطَوَتِي
نَفْسِهَا

وَلَكِنِّي لَا أَعُودُ إِلَى قُرْطُبَةٍ...

على هذه الأرض

عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مَا يَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ: تَرْدُدُ إِبْرَيْلَ، رَائِحَةُ الْحُبْرِ
فِي الْفَجْرِ، تَعْوِذَةُ امْرَأَةٍ لِلرَّجَالِ، كِتَابَاتُ أَشْخِيْلْيُوسَ، أَوَّلُ
الْحُبِّ، عَشْبٌ عَلَى حَجَرٍ، أُمُهَاتٌ يَقِفْنَ عَلَى خَيْطِ نَائِي،
وَخَوْفُ الْغُرَاةِ مِنَ الذُّكْرِيَّاتِ.

عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مَا يَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ: نِهَائَةُ أَيْلُولَ، سَيِّدَةُ تَتْرُكْ
الْأَرْبَعِينَ بِكَامِلِ مَشْمِشِهَا، سَاعَةُ الشَّمْسِ فِي السَّجْنِ، غَيْمٌ
يُقْلَدُ سِرْبًا مِنَ الْكَائِنَاتِ، هُتَافَاتُ شَعْبٍ لِمَنْ يَضَعُدُونَ إِلَى
حَتْفِهِمْ بِأَسْمِينِ، وَخَوْفُ الطُّغَاةِ مِنَ الْأَغْنِيَّاتِ.

عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مَا يَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ: عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ سَيِّدَةُ
 الْأَرْضِ، أُمُّ الْبِدَايَاتِ أُمُّ النِّهَايَاتِ. كَانَتْ تُسَمَّى فِلِسْطِينَ.
 صَارَتْ تُسَمَّى فِلِسْطِينَ. سَيِّدَتِي: أَسْتَحِقُّ، لَأَنَّكَ سَيِّدَتِي،
 أَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ.

أنا من هناك

أَنَا مِنْ هُنَاكَ. وَلِي ذِكْرِيَات. وَلِدْتُ كَمَا تُولَدُ النَّاسُ. لِي وَالِدَةٌ
وَيْتٌ كَثِيرُ التَّوَافِدِ. لِي إِخْوَةٌ. أَصْدِقَاءُ. وَسَجُنٌ بِتَافِذَةٍ بَارِدَةٍ.
وَلِي مَوْجَةٌ خَطَفَتْهَا التَّوَارِسُ. لِي مَشْهَدِي الْخَاصُّ. لِي عُشْبَةٌ
زَائِدَةٌ

وَلِي قَمَرٌ فِي أَقَاصِي الْكَلَامِ، وَرِزْقُ الطُّيُورِ، وَزَيْتُونَةٌ خَالِدَةٌ.
مَرَرْتُ عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ مُرُورِ السُّيُوفِ عَلَى جَسَدِ حَوْلُوهِ إِلَى
مَائِدَةٍ.

أَنَا مِنْ هُنَاكَ. أُعِيدُ السَّمَاءَ إِلَى أُمِّهَا جِئَنَ تَبْكِي السَّمَاءَ عَلَى أُمِّهَا،
وَأَبْكِي لِتُغْرِفَنِي غَيْمَةً عَائِدَةً.

تَعَلَّمْتُ كُلَّ كَلَامٍ يَلِيقُ بِمَحْكَمَةِ الدِّمِ كَيْ أَكْسِرَ الْقَاعِدَةَ.
تَعَلَّمْتُ كُلَّ الْكَلَامِ، وَفَكَكْتُهُ كَيْ أُرَكِّبَ مُفْرَدَةً وَاحِدَةً
هِيَ: الْوَطَنُ ...

عناوين للروح خارج هذا المكان

عَنَاوِينُ لِلرُّوحِ خَارِجَ هَذَا الْمَكَانِ. أَحِبُّ الشَّفَرِ
إِلَى قَرْيَةٍ لَمْ تُغْلَقْ مَسَائِي الْأَخِيرَ عَلَى سَرْوِهَا. وَأَحِبُّ الشَّجَرِ
عَلَى سَطْحِ بَيْتِ رَأَا نَعَذَّبُ عُضْفُورَتَيْنِ، رَأَا نُزَيِّي الْحَصَى
أَمَّا كَانَ فِي وَشِعْنَا أَنْ نُزَيِّي أَيَّامَنَا
لِنَتَمُو عَلَى مَهْلٍ فِي اتِّجَاهِ الثَّبَاتِ؟ أَحِبُّ سُقُوطَ الْمَطَرِ
عَلَى سَيِّدَاتِ الْمُرُوجِ الْبَعِيدَةِ. مَاءٌ يُضِيءُ. وَرَائِحَةُ صُلْبَةٍ
كَالْحَجَرِ

أَمَّا كَانَ فِي وَشِعْنَا أَنْ نَغَافِلَ أَعْمَارَنَا،
وَأَنْ نَتَطَلَّعَ أَكْثَرَ نَحْوِ السَّمَاءِ الْأَخِيرَةِ قَبْلَ أَقُولِ الْقَمَرِ؟
عَنَاوِينُ لِلرُّوحِ خَارِجَ هَذَا الْمَكَانِ. أَحِبُّ الرَّحِيلِ
إِلَى أَيِّ رِيحٍ.. وَلَكِنِّي لَا أَحِبُّ الْوُضُولَ.

تضيّق بنا الأرض

تَضِيقُ بِنَا الْأَرْضُ. تَحْشُرُنَا فِي الْمَمَرِ الْأَخِيرِ، فَتَخْلَعُ أَعْضَاءَنَا
كَيْ نَمُرَّ

وَتَعْصُرُنَا الْأَرْضُ. يَا لَيْتَنَا قَمَحُهَا كَيْ نَمُوتَ وَنَحْيَا. وَيَا لَيْتَهَا أُمْنَا
لِتَرْحَمَنَا أُمْنَا. لَيْتَنَا صُورٌ لِلصُّخُورِ الَّتِي سَوْفَ يَحْمِلُهَا حُلْمُنَا
مَرَايَا. رَأَيْنَا وَجْهَ الَّذِينَ سَيَقْتُلُهُمْ فِي الدِّفَاعِ الْأَخِيرِ عَنِ الرُّوحِ
آخِرُونَا

بَكَيْنًا عَلَى عِيدِ أَطْفَالِهِمْ. وَرَأَيْنَا وَجْهَ الَّذِينَ سَيَزْمُونَ أَطْفَالَنَا
مِنْ نَوَافِدِ هَذَا الْفَضَاءِ الْأَخِيرِ. مَرَايَا سَيَصْفُلُهَا نَجْمُنَا.
إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ الْحُدُودِ الْأَخِيرَةِ؟ أَيْنَ تَطِيرُ الْعَصَافِيرُ بَعْدَ
السَّمَاءِ الْأَخِيرَةِ

أَيْنَ تَنَامُ النَّبَاتَاتُ بَعْدَ الْهَوَاءِ الْأَخِيرِ؟ سَنَكْتُبُ أَسْمَاءَنَا بِالْبَحَارِ
الْمَلُونِ بِالْقُرْمُزِيِّ سَنَقَطَعُ كَفَّ النَّشِيدِ لِيُكْمِلَهُ لَحْنُنَا

هَنَا سَنَمُوتُ. هَنَا فِي الْمَمَرِّ الْأَخِيرِ. هَنَا أَوْ هَنَا سَوْفَ يَغْرِسُ
 زَيْتُونَهُ...
 دَمُنَا.

نسیر إلى بلد

نَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ لَيْسَ مِنْ لَحِيمِنَا. لَيْسَ مِنْ عَظَمِنَا شَجَرُ الْكَسْتَنَّا
وَلَيْسَتْ حِجَارَتُهُ مَاعِزاً فِي نَشِيدِ الْجِبَالِ. وَلَيْسَتْ عُيُونُ
الْحَصَى سَوَسَنًا

نَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ لَا يُعَلِّقُ شَمْساً خُصُوصِيَّةً فَوْقَنَا
تُصَفِّقُ مِنْ أَجَلِنَا سَيِّدَاتُ الْأَسَاطِيرِ: بَحْرُ عَلَيْنَا وَبَحْرُ لَنَا
إِذَا انْقَطَعَ الْقَمْحُ وَالْمَاءُ عَنْكُمُ، كُلُّوا حَبَّنَا وَاشْرَبُوا دَمْعَنَا
مَنَادِيلُ سُودَاءَ لِلشُّعْرَاءِ. وَصَفْتُ تَمَائِيلَ مِنْ مَزْمَرٍ سَوْفَ تَرْفَعُ
أَصْوَاتَنَا

وَجُزْنُ لِيَحْمِي أَرْوَاحَنَا مِنْ غُبَارِ الزَّمَانِ. وَوَزْدَ عَلَيْنَا وَوَزْدَ لَنَا
لَكُمْ مَجْدُكُمْ وَلَنَا مَجْدُنَا. آهٍ مِنْ بَلَدٍ لَا نَرَى مِنْهُ إِلَّا الَّذِي لَا
يُزَى: سِرُّنَا

لَنَا الْمَجْدُ: عَرْشٌ عَلَى أَزْجَلِ قَطْعَتِهَا الدُّرُوبُ الَّتِي أَوْصَلَتْنا إِلَى
كُلِّ يَنْبِتٍ

سِوَى بَيْتِنَا!

عَلَى الرُّوحِ أَنْ تَجِدَ الرُّوحَ فِي رُوحِهَا أَوْ تَمُوتَ هُنَا...

نسافر كالناس

نُسَافِرُ كَالنَّاسِ، لَكِنَّا لَا نَعُودُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ... كَأَنَّ السَّفَرَ
 طَرِيقُ الْغُيُومِ. دَقْنَا أَحْبَبْنَا فِي ظِلَالِ الْغُيُومِ وَتَيْنَ جُذُوعِ الشَّجَرِ
 وَقَلْنَا لِرُوحَاتِنَا: لِيَذَنْ مِنَّا مِثَاقَ السَّنِينَ لِتُكْمَلَ هَذَا الرَّحِيلُ
 إِلَى سَاعَةِ مِنْ بِلَادٍ، وَمِثْرٍ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ.
 نُسَافِرُ فِي عَرَبَاتِ الْمَزَامِيرِ، نَرْقُدُ فِي خَيْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَخْرُجُ
 مِنْ كَلِمَاتِ الْعَجَزِ
 نَقِيسُ الْفَضَاءَ بِمِنْقَارِ هَذِهِدَةٍ، أَوْ نُغْنِي لِنُلهِي الْمَسَافَةَ عَنَّا،
 وَنُعْصِلُ ضَوْءَ الْقَمَرِ
 طَوِيلَ طَرِيقِكَ فَاخْلُمْ بِسَبْعِ نِسَاءٍ لِتُخِيلَ هَذَا الطَّرِيقَ الطَوِيلَ
 عَلَى كَيْفِيَّتِكَ. وَهَرَّ لَهْنُ النَّخِيلِ لِتَعْرِفَ أَشْمَاءَهُنَّ وَمِنْ أَيِّ أُمَّ
 سَيُولَدُ طِفْلُ الْجَلِيلِ
 لَنَا بَلَدٌ مِنْ كَلَامٍ. تَكَلَّمْ تَكَلَّمْ لِأَسْنِدِ دَرْبِي إِلَى حَجَرٍ مِنْ حَجَرِ
 لَنَا بَلَدٌ مِنْ كَلَامٍ. تَكَلَّمْ لِتَعْرِفَ حَدًّا لِهَذَا السَّفَرِ!

مطار أثينا

مَطَارُ أَثِينَا يُوزَعُنَا لِلْمَطَارَاتِ. قَالَ الْمُقَاتِلُ: أَيْنَ أُقَاتِلُ؟ صَاحَتْ
 بِهِ حَامِلٌ: أَيْنَ أَهْدِيكَ طِفْلَكَ؟ قَالَ الْمُوظَّفُ: أَيْنَ أَوْظَّفُ
 مَالِي؟ فَقَالَ الْمُثَقَّفُ: مَالِي وَمَالِكَ؟ قَالَ رَجَالُ الْجَمَارِكِ: مِنْ
 أَيْنَ جِئْتُمْ؟ أَجَبْنَا: مِنَ الْبَحْرِ. قَالُوا: إِلَى أَيْنَ تَمْضُونَ؟ قُلْنَا:
 إِلَى الْبَحْرِ. قَالُوا: وَأَيْنَ عَنَّاوَيْكُمْ؟ قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ جَمَاعَتِنَا:
 بُفَجْتِي قَرَيْتِي. فِي مَطَارِ أَثِينَا نَنْتَظِرُنَا سِنِينَا. تَزُوجُ شَابَ فِتَاةَ
 وَلَمْ يَجِدَا عُرْفَةً لِلزَّوْاجِ السَّرِيعِ. تَسْأَلُ: أَيْنَ أَفْضُ بَكَارَتَهَا؟
 فَضَحِكْنَا وَقُلْنَا لَهُ: يَا فَتَى، لَا مَكَانَ لِهَذَا السُّؤَالِ. وَقَالَ
 الْمُحَلَّلُ فِينَا: يَمُوتُونَ مِنْ أَجْلِ الْأُيُوتُوا. يَمُوتُونَ سَهْوًا.
 وَقَالَ الْأَدِيبُ: مُحَيَّمُنَا سَاقِطٌ لَا مُحَالَةَ. مَاذَا يُرِيدُونَ مِنَّا؟
 وَكَانَ مَطَارُ أَثِينَا يُغَيِّرُ سُكَّانَهُ كُلَّ يَوْمٍ. وَنَحْنُ بَقِيَّتُنَا مَقَاعِدَ
 فَوْقَ الْمَقَاعِدِ نَنْتَظِرُ الْبَحْرَ، كَمْ سَنَةً يَا مَطَارَ أَثِينَا!...

أقول كلاماً كثيراً

أقول كلاماً كثيراً عن الفارق الهش بين النساء وبين الشجر،
وعن فتنة الأرض؛ عن بلدٍ لم أجذ ختمه في جواز السفر
وأسأل: يا سيداتي، ويا سادتي الطيبين: الأرض البشر / لجميع
البشر

كما تدعون؟ إذا، أين كوجي الصغير وأين أنا؟ فتصفق لي
قاعة المؤتمر

ثلاث دقائق أخرى، ثلاث دقائق حريرة واعترافاً... فقد وافق
المؤتمر

على حقنا في الرجوع، ككل الدجاج، وكل الخيول، إلى
حلم من حجر.

أصافحهم واحداً واحداً، ثم أخفي لهم قامتي.. وأوصل هذا
السفر

إِلَى بَلَدٍ آخَرَ، وَأَقُولَ كَلَامًا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الشَّرَابِ وَبَيْنَ الْمَطَرِ
وَأَسْأَلُ: يَا سَيِّدَاتِي، وَيَا سَادَتِي الطُّيَّيْنِ: أَلَا رَضُ الْبَشَرِ
لِكُلِّ الْبَشَرِ؟

يحق لنا أن نحب الخريف

وَنَحْنُ، يَحِقُّ لَنَا أَنْ نُحِبَّ نِهَايَاتِ هَذَا الْحَرِيفِ، وَأَنْ نَسْأَلَهُ:
أَفِي الْحَقْلِ مُتَسَعِّ لِحَرِيفٍ جَدِيدٍ، وَنَحْنُ نُمَدِّدُ أَجْسَادَنَا فِيهِ
فَحْمَا؟

خَرِيفٌ يُنْكَسُ أَوْرَاقُهُ ذَهَبًا. لَيْتَنَا وَرَقُ التِّينِ، يَا لَيْتَنَا عُشْبَةُ مُهْمَلَةٍ
لِنَشْهَدَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْفُضُولِ. وَيَا لَيْتَنَا لَمْ نُودِّعْ جَنُوبَ الْعُيُونِ
لِنَسْأَلَ عَمَّا

تَسَاءَلَ آبَاؤُنَا حِينَ طَارُوا عَلَى قِمَّةِ الرَّمَحِ. يَزْحَمُنَا الشَّعْرُ
وَالْبَسْمَلَةُ.

وَنَحْنُ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نُجَفِّفَ لَيْلَ النِّسَاءِ الْجَمِيلَاتِ، أَنْ
نَتَحَدَّثَ عَمَّا

يَقْصُرُ لَيْلَ غَرِيبَيْنِ يَنْتَظِرَانِ وَصُولَ الشَّمَالِ إِلَى الْبُوصْلَةِ

خَرِيفٌ. وَنَحْنُ يَجِئُ لَنَا أَنْ نَشُمَّ رَوَائِحَ هَذَا الْخَرِيفِ، وَأَنْ
نَسْأَلَ اللَّيْلَ حُلْمًا

أَيَمْرُضُ حُلْمٌ كَمَا يَمْرُضُ الْحَالِمُونَ؟ خَرِيفٌ خَرِيفٌ. أَيُولَدُ
شَعْبٌ عَلَى مِفْصَلَةٍ؟

يَجِئُ لَنَا أَنْ نَمُوتَ كَمَا نَشْتَهِي أَنْ نَمُوتَ، لِتَخْتَبِيَ الْأَرْضُ
فِي سُنْبُلَةٍ

القطار الأخير توقف

الْقِطَارُ الْأَخِيرُ تَوَقَّفَ عِنْدَ الرَّصِيفِ الْأَخِيرِ. وَمَا مِنْ أَحَدٍ
يُنْقِذُ الْوَرْدَ. مَا مِنْ حَمَامٍ يَخْطُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ كَلَامٍ
وَانْتَهَى الْوَقْتُ. لَا تَسْتَطِيعُ الْقَصِيدَةُ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَطَاعَ الرَّبُّ.
لَا تُصَدِّقُ قِطَارَاتِنَا - أَيُّهَا الْحُبُّ - لَا تَنْتَظِرُ أَحَدًا فِي الرَّحَامِ.
الْقِطَارُ الْأَخِيرُ تَوَقَّفَ عِنْدَ الرَّصِيفِ الْأَخِيرِ؛ وَمَا مِنْ أَحَدٍ
يَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَى مَا تَرَجَعَ مِنْ نَوْجِسٍ فِي مَرَايَا الظُّلَامِ.
أَيْنَ أَتْرُكُ وَصْفِي الْأَخِيرَ لِمَا حَلَّ بِي مِنْ جَسَدٍ؟
وَانْتَهَى مَا انْتَهَى. أَيْنَ مَا يَنْتَهِي؟ أَيْنَ أَفْرِغُ مَا حَلَّ بِي مِنْ بَلَدٍ؟
لَا تُصَدِّقُ قِطَارَاتِنَا - أَيُّهَا الْحُبُّ - طَارَ الْحَمَامُ الْأَخِيرُ وَطَارَ
الْحَمَامُ
وَالْقِطَارُ الْأَخِيرُ تَوَقَّفَ عِنْدَ الرَّصِيفِ الْأَخِيرِ.. وَمَا مِنْ أَحَدٍ.

على السفح، أعلى من البحر، ناموا

عَلَى السَّفْحِ، أَعْلَى مِنَ الْبَحْرِ، أَعْلَى مِنَ السَّرْوِ، نَامُوا
لَقَدْ أَفْرَعْتُهُمْ سَمَاءَ الْحَدِيدِ مِنَ الذُّكْرِيَّاتِ. وَطَارَ الْحَمَامُ
إِلَى جِهَةِ حَدْدِئِهَا أَصَابِعُهُمْ شَرْقَ أَشْلَائِهِمْ.
أَمَّا كَانَ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَرْشُوا عَلَى قَمَرِ الْمَاءِ رِيحَانَ أَسْمَائِهِمْ
وَأَنْ يَزْرَعُوا فِي الْخَنَادِقِ نَارِجَةَ كَيْ يَقْلَ الظَّلَامُ؟

يَنَامُونَ أَبَعَدَ مِمَّا يَضِيقُ الْمَدَى فَوْقَ سَفْحٍ تَحَجَّرَ فِيهِ الْكَلَامُ
يَنَامُونَ فِي حَجَرٍ ضَلَّ مِنْ عَظَمِ عَنَقَائِهِمْ ...
وَفِينَا مِنَ الْقَلْبِ مَا يَسْتَطِيعُ الْوُضُولَ قَرِيباً إِلَى عِيدِ أَشْيَائِهِمْ
وَفِينَا مِنَ الْقَلْبِ مَا يَسْتَطِيعُ انْتِشَالَ الْفَضَاءِ لِيَرْجِعَ هَذَا الْحَمَامُ
إِلَى أَوَّلِ الْأَرْضِ. يَا أَيُّهَا التَّائِمُونَ عَلَى آخِرِ الْأَرْضِ فِينَا، سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ ... سَلَامٌ

يعانق قاتله

يُعَانِقُ قَاتِلَهُ كَيْ يَفُوزَ بِرَحْمَتِهِ: هَلْ سَتَغْضَبُ مِنِّي كَثِيرًا إِذَا مَا
نَجَوْتُ؟ أَخِي... يَا أَخِي! مَا صَنَعْتُ لِتَغْتَالِنِي؟... فَوَقْنَا طَائِرَانِ
فَصَوَّبَ إِلَى فَوْقِ! أَطْلِقْ جَحِيمَكَ أَبْعَدْ مِنِّي... تَعَالِ إِلَى كُوخِ
أُمِّي لِتَطْبُخَ مِنِ أَجْلِكَ الْفُؤْلَ. مَاذَا تَقُولُ؟ وَمَاذَا تَقُولُ؟ مَلَلْتُ
عِنَاقِي وَرَائِحَتِي. هَلْ تَعِبْتُ مِنَ الْخَوْفِ فِيَّ؟ إِذَنْ، إِزِمْ هَذَا
الْمُسَدَّسَ فِي النَّهْرِ! مَاذَا تَقُولُ؟.. عَدُوٌّ عَلَى صِفَةِ النَّهْرِ
صَوَّبَ رَشَاشَهُ فِي اتِّجَاهِ الْعِنَاقِ؟ إِذَنْ أَطْلِقِ النَّارَ نَحْوَ الْعَدُوِّ
لِنَنْجُو مَعًا مِنْ رِصَاصِ الْعَدُوِّ، وَتَنْجُو مِنَ الْإِثْمِ. مَاذَا تَقُولُ؟
سَتَقْتُلُنِي كَيْ يَعُودَ الْعَدُوُّ إِلَى بَيْتِهِ / بَيْتِنَا وَتَعُودَ إِلَى لُغْبَةِ
الْكَهْفِ، مَاذَا صَنَعْتَ بِقَهْوَةِ أُمِّي وَأُمِّكَ؟ مَاذَا جَنَيْتُ لِتَغْتَالِنِي
يَا أَخِي. لَنْ أَحُلَّ وَثَاقَ الْعِنَاقِ

وَلَنْ أَتْرَكَكَ

تخالفنا الرّيح

تُخَالِفُنَا الرِّيحُ، رِيحَ الْجَنُوبِ تُحَالِفُ أَعْدَاءَنَا. وَالْمَمَرُ
يَضِيقُ. فَتَرْفَعُ شَارَاتٍ نَضِرُ أَمَامَ الظَّلَامِ لَعْلَ الظَّلَامِ يُضِيءُ...
وَنَشْرُو

عَلَى شَجَرِ الْحُلُمِ. يَا آخِرَ الْأَرْضِ - يَا حُلْمَنَا الصُّغْبَ! هَلْ
تَسْتَمِرُّ؟

وَنَكْتُبُ فِي الْمَرَّةِ الْأَلْفِ فَوْقَ الْهَوَاءِ الْأَخِيرِ: نُمُوتُ، وَلَكِنَّهُمْ
لَنْ يَمُوتُوا

وَنَتَّبِعُ أَصْوَاتَنَا كَيْ نَرَى قَمَرًا بَيْنَهَا، وَنُعْنِي لِجَفَلِ صَخْرٍ
وَنَخْفِرُ أَجْسَادَنَا بِالْحَدِيدِ... وَنَخْفِرُهَا بِالْحَدِيدِ... لِيَبْزَغَ نَهْرُ
تُخَالِفُنَا الرِّيحُ، رِيحَ الشَّمَالِ تُحَالِفُ رِيحَ الْجَنُوبِ وَنَضْرُخُ: أَتَيْنَ
الْمَقَرَّ؟

وَنَطْلُبُ مِنْ سَيِّدَاتِ الْخُرَافَاتِ أَهْلًا يُجِيبُونَنَا مَيِّينَ، فَيَسْقُطُ نَسْرُ

عَلَيْنَا. وَتَتَّبِعْ أَخْلَامَنَا كَيْ نَرَاهَا، وَتَتَّبِعُنَا كَيْ نَرَانَا هُنَا. لَا مَفْرَ
وَنَحْنُ نُوَاصِلُ مَا يُشْبِهُ الْمَوْتَ نَحْيًا. وَهَذَا الَّذِي يُشْبِهُ الْمَوْتَ
نَضْرُ!

صهيل على السفح

صَهِيلُ الْخَيُْولِ عَلَى السَّفْحِ: إِمَّا الْهُبُوطُ وَإِمَّا الصُّعُودُ
أَعِدُّ لِسَيِّدَتِي صُورَتِي، عَلَّقِيهَا إِذَا مِتُّ فَوْقَ الْجِدَارِ
تَقُولُ: وَهَلْ مِنْ جِدَارٍ لَهَا؟ قُلْتُ: نَبَنِي لَهَا غُرْفَةً. - أَيْنَ... فِي
أَيِّ دَارٍ؟

صَهِيلُ الْخَيُْولِ عَلَى السَّفْحِ: إِمَّا الْهُبُوطُ، وَإِمَّا الصُّعُودُ

أَتَحْتَاجُ سَيِّدَةً فِي الثَّلَاثِينَ أَرْضاً لِيَتَجَمَعَ صُورَةُ فَارِسِهَا فِي
إِطَارٍ؟

وَهَلْ أَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ الصَّعْبِ؟ وَالسَّفْحُ هَاوِيَةٌ
أَوْ حِصَازٌ

وَمُنْتَصَفُ الدَّزْبِ مُفْتَرَقٌ... آو مِنْ رِخْلَةٍ كَانَ يَقْتُلُ فِيهَا
الشَّهِيدَ الشَّهِيدَا

أَعِدُّ لِسَيِّدَتِي صُورَتِي. مَزُقِّي صُورَتِي حِينَ يَضْهَلُ فِيكَ
حِصَانٌ جَدِيدُ

صَهِيلُ الْخَيُْولِ عَلَى الشَّفَحِ: إِمَّا الصُّعُودُ... وَإِمَّا الصُّعُودُ

سيأتي بربابة آخرون

سَيَأْتِي بَرَابِرَةُ آخَرُونَ. سَتُخْطَفُ إِمْرَأَةُ الْإِمْبِرَاطُورِ. سَوْفَ تُدَقُّ
الطُّبُولُ

تُدَقُّ الطُّبُولُ لِتَغْلُو الْخُيُولُ عَلَى جُثَثِ النَّاسِ مِنْ بَحْرِ إِيْجَا
إِلَى الدَّرْدَنِيلِ

فَمَا شَأْنُنَا نَحْنُ؟ مَا شَأْنُ زَوْجَاتِنَا بِسَبَاقِ الْخُيُولِ؟

سَتُخْطَفُ إِمْرَأَةُ الْإِمْبِرَاطُورِ. سَوْفَ تُدَقُّ الطُّبُولُ. وَيَأْتِي بَرَابِرَةُ
آخَرُونَ

بَرَابِرَةُ يَمْلَأُونَ فَرَاغَ الْمَدَائِنِ، أَعْلَى قَلِيلًا مِنَ الْبَحْرِ، أَقْوَى مِنَ
السَّيْفِ وَقَتِ الْجُنُونِ

فَمَا شَأْنُنَا نَحْنُ؟ مَا شَأْنُ أَوْلَادِنَا بِسَلَالَةِ هَذَا الْمُجُونِ؟

وَسَوْفَ تَدُقُّ الطُّبُولُ. وَيَأْتِي بَرَابِرَةٌ آخَرُونَ. وَتُخَطَفُ إِمْرَأَةُ
 الْإِمْبِرَاطُورِ مِنْ بَيْتِهِ
 وَمِنْ بَيْتِهِ تُوَلَّدُ الْحَمَلَةُ الْعَشْكَرِيَّةُ حَتَّى تُعِيدَ الْعَرُوسَ إِلَى تَحْتِهِ
 فَمَا شَأْنُنَا نَحْنُ؟ مَا شَأْنُ خَمْسِينَ أَلْفَ قَبِيلٍ بِهَذَا الزَّوْاجِ
 السَّرِيعِ؟

أَيُّوَلَّدُ «هُومِير» مِنْ بَعْدِنَا... وَالْأَسَاطِيرُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا لِلْجَمِيعِ؟

يحبونني ميتاً

يُحِبُّونَنِي مَيِّتاً لِيَقُولُوا: لَقَدْ كَانَ مَيِّتاً، وَكَانَ لَنَا.

سَمِعْتُ الْخُطْبَى ذَاتَهَا. مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً تَدُقُّ عَلَى حَائِطِ
الَّيْلِ. تَأْتِي وَلَا تَفْتَحُ الْبَابَ. لَكِنَّهَا تَدْخُلُ الْآنَ. يَخْرُجُ مِنْهَا
الثَّلَاثَةُ: شَاعِرٌ، قَاتِلٌ، قَارِئٌ. أَلَا تَشْرَبُونَ نَبِيذاً؟ سَأَلْتُ.
سَنَشْرَبُ. قَالُوا. مَتَى تُطْلِقُونَ الرِّصَاصَ عَلَيَّ؟ سَأَلْتُ. أَجَابُوا:
تَمَهَّلْ! وَصَفُّوا الْكُؤُوسَ وَزَاحُوا يُعْثُونَ لِلشَّعْبِ. قُلْتُ: مَتَى
تَبْدَأُونَ اغْتِيَالِي؟ فَقَالُوا: ابْتَدَأْنَا... لِمَآذَا بَعَثْتَ إِلَى الرُّوحِ أَحْذِيَّةً!
كَيْ تَسِيرَ عَلَى الْأَرْضِ. قُلْتُ: فَقَالُوا: لِمَآذَا كَتَبْتَ الْقَصِيدَةَ
بَيَضَاءً وَالْأَرْضُ سَوْدَاءٌ جِذَاً. أُجِبْتُ: لِأَنَّ ثَلَاثِينَ بَحْراً تَصُبُّ
بِقَلْبِي. فَقَالُوا: لِمَآذَا نَحِبُّ النَّبِيذَ الْفَرَنْسِيَّ؟ قُلْتُ: لِأَنِّي جَدِيرٌ
بِأَجْمَلِ امْرَأَةٍ. كَيْفَ تَطْلُبُ مَوْتَكَ؟ أَزْرَقُ مِثْلَ نُجُومٍ تَسِيلُ مِنَ
السُّقْفِ - هَلْ تَطْلُبُونَ الْمَزِيدَ مِنَ الْخَمْرِ؟ قَالُوا: سَنَشْرَبُ.
قُلْتُ: سَأَسْأَلُكُمْ أَنْ تَكُونُوا بَطِيعِينَ، أَنْ تَقْتُلُونِي رُوَيْداً رُوَيْداً

لَأَكْتُبَ شِعْراً أَحَبَّ لِرَؤُوسِ قَلْبِي. وَلَكِنَّهُمْ يَضْحَكُونَ وَلَا
يَسْرِقُونَ مِنَ الْبَيْتِ غَيْرَ الْكَلَامِ الَّذِي سَأَقُولُ لِرَؤُوسِ قَلْبِي..

عندما يذهب الشهداء إلى النوم

عِنْدَمَا يَذْهَبُ الشُّهَدَاءُ إِلَى النَّوْمِ أَصْحُو، وَأُخْرِسُهُمْ مِنْ هَوَاةِ
الرِّثَاءِ

أَقُولُ لَهُمْ: تُضِيحُونَ عَلَى وَطَنٍ، مِنْ سَحَابٍ وَمِنْ شَجَرٍ، مِنْ
سَرَابٍ وَمَاءٍ

أُهَنِّئُهُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْ حَادِثِ الْمُسْتَحِيلِ، وَمِنْ قِيَمَةِ الْمَذْبَحِ
الْفَائِضَةِ

وَأَسْرِقُ وَقْتًا لِكَيْ يَسْرِقُونِي مِنَ الْوَقْتِ. هَلْ كُلُّنَا شُهَدَاءُ؟

وَأَهْمَسُ: يَا أَصْدِقَائِي أَتَرَكُوا حَائِطًا وَاحِدًا، لِجِبَالِ الْغَسِيلِ،
أَتَرَكُوا لَيْلَةً لِلْغِنَاءِ

أَعْلَقَ أَسْمَاءُكُمْ أَيْنَ سِتْنَتُمْ فَنَامُوا قَلِيلًا، وَنَامُوا عَلَى سُلَمِ الْكَرَمَةِ
الْحَامِضَةِ

لَأُخْرَسَ أَخْلَامُكُمْ مِنْ خَنَاجِرِ حُرَّاسِكُمْ وَانْقِلَابِ الْكِتَابِ عَلَى
الْأَنْبِيَاءِ

وَكُونُوا نَشِيدَ الَّذِي لَا نَشِيدَ لَهُ عِنْدَمَا تَذْهَبُونَ إِلَى النَّوْمِ هَذَا
الْمَسَاءُ

أَقُولُ لَكُمْ: تُضِيبُونَ عَلَى وَطَنِ حَمَلُوهُ عَلَى فَرَسٍ رَاكِضَةٍ
وَأَهْمِسُ: يَا أَصْدِقَائِي لَنْ تُضِيبُوا مِثْلَنَا... حَبْلَ مِشْنَقَةٍ
غَامِضَةٍ!

هنالك ليل ..

هُنَالِكَ لَيْلٌ أَشَدُّ سَوَادًا... هنالك وَرْدٌ أَقْلُ
 سَيَنْقَسِمُ الدَّرْبُ أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْنَا، سَيَشْشَقُ سَهْلُ
 وَيَنْهَدُ سَفْحُ عَلَيْنَا، وَيَنْقُضُ جُزْخُ عَلَيْنَا، وَيَنْقُضُ أَهْلُ
 سَيَقْتُلُ فِيْنَا الْقَتِيلُ الْقَتِيلَ لِيَنْسَى عُيُونَ الْقَتِيلِ... وَيَسْلُو
 سَنَعْرِفُ أَكْثَرَ مِمَّا عَرَفْنَا، وَنَبْلُغُ هَاوِيَةً بَعْدَ هَاوِيَةٍ حِينَ نَعْلُو
 عَلَى فِكْرَةِ عَبْدَتِهَا الْقَبَائِلُ ثُمَّ شَوْنَهَا عَلَى لَحْمِ أَصْحَابِهَا حِينَ
 قُلُوا

سَنَشْهَدُ فِيْنَا أَبَاطِرَهُ يَخْفِرُونَ عَلَى الْقَمَحِ أَسْمَاءَهُمْ كَيْ يَدُلُّوا
 عَلَيْنَا. أَلَمْ نَتَغَيَّرْ؟ رِجَالٌ عَلَى دِينٍ خِنْجَرِهِمْ يَذْبَحُونَ، وَرَمَلٌ
 لِيَكْثُرَ رَمَلُ
 نِسَاءٌ عَلَى دِينٍ مَا بَيْنَ أَفْحَازِهِنَّ وَظِلٍّ لِيَضْغَرَ ظِلُّ...

وَلَكِنِّي سَأَتَابِعُ مَجْرَى التَّشِيدِ، وَلَوْ أَنَّ وَرَدِي أَقْلُ

ذهبنا إلى عدن

ذَهَبْنَا إِلَى عَدَنٍ قَبْلَ أَحْلَامِنَا، فَوَجَدْنَا الْقَمَرَ
يُضِيءُ جَنَاحَ الْغُرَابِ. التَفَقُّتْنَا إِلَى الْبَحْرِ، قُلْنَا: لِمَنْ
لِمَنْ يَرْفَعُ الْبَحْرُ أَجْرَاسَهُ، أَلِنَسْمَعَ إِيقَاعَنَا الْمُتَنَظَّرَ؟

ذَهَبْنَا إِلَى عَدَنٍ قَبْلَ تَارِيخِنَا، فَوَجَدْنَا الْيَمْنَ
حَزِينًا عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ، يَمْضَعُ قَانًا، وَيَمْحُو الصُّورَ.
أَمَا كُنْتَ تُدْرِكُ، يَا صَاحِبِي، أَنَّنَا لِأَحِقَانٍ بِقَيْصَرِ هَذَا الزَّمَنِ؟

ذَهَبْنَا إِلَى جَنَّةِ الْفُقَرَاءِ الْفَقِيرَةِ، نَفْتَحُ نَافِذَةً فِي الْحَجَرِ
لَقَدْ حَاصَرَتْنَا الْقَبَائِلُ، يَا صَاحِبِي، وَرَمَتْنَا الْمِحْنَ،
وَلَكِنَّا لَمْ نُقَاطِضْ رَغِيْفَ الْعُدُوِّ بِخَيْرِ الشَّجَرِ
أَمَا زَالَ مِنْ حَقًّا أَنْ نُصَدِّقَ أَحْلَامَنَا، وَتُكَذِّبَ هَذَا الْوَطْنَ؟

وفي الشام شام

وَفِي الشَّامِ شَامٌ لِكُلِّ زَمَانٍ. ظَلَمْتُكَ حِينَ ظَلَمْتُ نَزُوجِي
 إِلَى طَلْقَةِ الْقَلْبِ، يَوْمَيْنِ يَوْمَيْنِ، يَا صَاحِبِي
 أَمِنْ حَقِّي، الْآنَ، بَعْدَ الرُّجُوعِ مِنَ الْحُبِّ أَنْ أَسْأَلَكَ
 لِمَ إِذَا اتَّكَأْتُ عَلَى خَنْجَرٍ كَيْ تَرَانِي؟ لِمَ إِذَا رَفَعْتَ سُفُوحِي
 لِتُسْقِطَ خَيْلِي عَلَيَّ؟ تَمَنَّيْتُ.. إِنِّي تَمَنَّيْتُ أَنْ أُحْمِلَكَ
 إِلَى أَوَّلِ الشَّعْرِ، أَوْ آخِرِ الْأَرْضِ، مَا أَجْمَلُكَ!
 وَمَا أَجْمَلُ، الشَّامَ، مَا أَجْمَلُ الشَّامَ، لَوْلَا جُرُوحِي،
 فَضَعُ نِصْفَ قَلْبِكَ فِي نِصْفِ قَلْبِي، يَا صَاحِبِي
 لِنُضْنَعُ قَلْبًا صَاحِبًا فَصِيحًا لَهَا، لِي، وَلَكَ
 فَفِي الشَّامِ شَامٌ، إِذَا شِئْتَ، فِي الشَّامِ مِرَاةَ زُوجِي.

بكى الناي

بَكَى النَّايُ، لَوْ أَسْتَطِيعُ ذَهَبْتُ إِلَى الشَّامِ مَشِيًّا كَأَنِّي الصَّدَى
يُنُوحُ الْحَرِيرُ عَلَى سَاحِلٍ، يَتَعَرَّجُ فِي صَرْخَةٍ لَمْ تَصِلْ أَبَدًا
وَتَنْزِلُ فِيْنَا الْمَسَافَاتِ دَمْعًا. بَكَى النَّايُ. شَقَّ السَّمَاءَ إِلَى
امْرَأَتَيْنِ. وَشَقَّ

الطَّرِيقَ، وَشَقَّ الْقَطَا فَافْتَرَقْنَا لِنَعْشَقَ. يَا تَائِي! رَفَقَا
بَنَا. نَحْنُ لَسْنَا بَعِيدَيْنِ حَتَّى الْغُرُوبِ. أَتَبْكِي لِتَبْكِي سُدَى
أَمْ لِتَشْقَبَ صَخْرَ الْجِبَالِ وَتُفَاحَةَ الْحُبِّ. يَا رُمْعَ صَنْبِ الْمَدَى
حِينَ يَصْرُخُ: يَا شَامَ، يَا امْرَأَةً. هَلْ أَحِبُّ وَأَبْقَى؟
بَكَى النَّايُ. لَوْ أَسْتَطِيعُ ذَهَبْتُ إِلَى الشَّامِ مَشِيًّا كَأَنِّي الصَّدَى
أَصْدُقُ مَا لَا أَصْدُقُ. يَلْهَثُ فِيْنَا حَرِيرُ الدَّمُوعِ يَدَا
بَكَى النَّايُ. لَوْ أَسْتَطِيعُ الْبُكَاءَ كَنَائِي ... عَرَفْتُ دِمَشْقًا!

أفي مثل هذا النشيد

أفي مثل هذا النشيد نُوسِدُ حُلُمًا عَلَى صَدْرِ فَارِسٍ
وَنَحْمِلُ عَنْهُ الْقَمِيصَ الْأَخِيرَ، وَشَارَةَ نَضْرٍ، وَمِفْتَاحَ آخِرِ بَابٍ
لِنَدْخُلَ أَوَّلَ بَحْرٍ؟ سَلَامٌ عَلَيْكَ رَفِيقَ الْمَكَانِ الَّذِي لَا مَكَانَ لَهُ
سَلَامٌ عَلَى قَدَمَيْكَ / الرُّعَاةُ سَيَسْؤُونَ آثَارَ عَيْنَيْكَ فَوْقَ الثَّرَابِ
سَلَامٌ عَلَى سَاعِدَيْكَ / الْقَطَاةُ سَتَغْبِرُ ثَانِيَةً مِنْ هُنَا
وَسَلَامٌ عَلَى شَفَتَيْكَ / الصَّلَاةُ سَتَرْكَعُ فِي الْحَقْلِ. مَاذَا نَقُولُ
لِجَمْرَةِ عَيْنَيْكَ.

مَاذَا يَقُولُ الْغِيَابُ

لَأُمِّكَ؟ فِي الْبَيْتِ نَامَ؟ وَمَاذَا يَقُولُ الْغُرَاةُ؟

انْتَصَرْنَا عَلَى غَيْمَةِ الصُّوْبِ فِي شَهْرِ آبَ؟

وَمَاذَا نَقُولُ الْحَيَاةَ لِمَحْمُودِ دُرُوشٍ؟ عِشْتُ، عَشِيقْتُ، عَرَفْتُ،
وَكُلُّ الَّذِينَ

سَتَغَشُّ مَاثُوا؟

أَفِي مِثْلِ هَذَا التَّشِيدِ نُوسِدُ حُلُمًا وَنَحْمِلُ شَارَةَ نَضِيرٍ وَمِفْتَاحِ
آخِرِ بَابِ

لِنُغْلِقَ هَذَا التَّشِيدَ عَلَيْنَا؟ وَلَكِنَّا سَوْفَ نَحْيَا... لِأَنَّ الْحَيَاةَ
حَيَاةٌ

نخاف على حلم

نَخَافُ عَلَى حُلْمٍ: لَا تُصَدِّقْ كَثِيرًا فَرَاشَاتِنَا
وَصَدِّقْ قَرَابِينَنَا إِنْ أَرَدْتَ، وَبَوَصَلَةَ الْخَيْلِ صَدِّقْ، وَحَاجَتَنَا
لِلشَّمَالِ

رَفَعْنَا إِلَيْكَ مَنَاقِيرَ أَرْوَاحِنَا. أَعْطِنَا حَبَّةَ الْقَمْحِ يَا حُلْمَنَا. هَاتِيهَا هَاتِنَا
رَفَعْنَا إِلَيْكَ الشُّوَاطِئَ مُنْذُ أَتَيْنَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْ فِكْرَةٍ أَوْ زِنَا
مَوْجَتَيْنِ

عَلَى صَخْرَةٍ فِي الرَّمَالِ

وَلَا شَيْءَ، لَا شَيْءَ. نَطْفُو عَلَى قَدَمٍ مِنْ هَوَاءٍ... هَوَاءٍ تَكْسِرُ
فِي ذَاتِنَا

وَنَعْرِفُ أَنَّكَ تَرْتَدُّ عَنَّا، وَتَبْنِي سُجُونًا تُسَمَّى لَنَا جَنَّةَ الْيَوْمِ نَقَالَ
وَنَحْلُمُ... يَا حُلْمًا نَشْتَهِيهِ، وَنَسْرِقُ أَيَّامَنَا مِنْ تَجَلُّيهِ فِي مَا
مَضَى مِنْ خُرَافَاتِنَا

نَخَافُ عَلَيْكَ وَمِنْكَ نَخَافُ. أَتَضَحُّنَا مَعًا، لَا تُصَدِّقْ إِذْنُ
صَبْرَ زَوْجَاتِنَا

سَيَسْجُنُ ثَوْبَيْنِ، ثُمَّ يَبْعَنُ ثِيَابَ الْحَبِيبِ لِيَبْتَغِيَ كَأْسَ الْحَلِيبِ
لَأَطْفَالِنَا.

نَخَافُ عَلَى الْحَلِيمِ مِنْهُ وَمِنَّا. وَنَعْلُمُ يَا حُلَمْنَا. لَا تُصَدِّقْ كَثِيرًا
فَرَأْسَاتِنَا!

هنا تنتهي رحلة الطير

هنا تنتهي رحلة الطير، رحلتنا، رحلة الكلمات
ومن بعدنا أفق للطيور الجديدة؛ من بعدنا أفق للطيور الجديدة
ونحن الذين ندق نحاس السماء، ندق السماء لتحفر من
بعدنا طرقات

نصالح أسماءنا فوق سفح الغيوم البعيدة؛ سفح الغيوم البعيدة.
سنهبط عمًا قليل هبوط الأراميل في ساحة الذكريات
ونرفع خيمتنا للرياح الأخيرة: هبي وهبي، لتخينا القصيدة
وتخينا الطريق إليها. ومن بعدنا سوف ينمو النبات ويعلم النبات
على طريق لم يطأها سوانا؛ على طريق دشتها خطانا العبيدة.
هنا سوف نحفر فوق الصخور الأخيرة: تخينا الحياة، وتخينا
الحياة.

ونسقط فينا. ومن بعدنا أفق للطيور الجديدة.

رأيت الوداع الأخير

رَأَيْتُ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ: سَأودُعُ قَافِيَةَ مِنْ خَشَبٍ
 سَأُزْفَعُ فَوْقَ أَكْفِ الرِّجَالِ، سَأُزْفَعُ فَوْقَ عُيُونِ النِّسَاءِ
 سَأُزْرَمُ فِي عِلَمٍ، ثُمَّ يُحْفَظُ صَوْتِي فِي عِلْبِ الْأَشْرَطَةِ
 سَتُغْفَرُ كُلُّ خَطَايَايَ فِي سَاعَةٍ ثُمَّ يَشْتُمْنِي الشُّعْرَاءُ.
 سَيَذْكُرُ أَكْثَرُ مِنْ قَارِي أَنِّي كُنْتُ أَسْهَرُ فِي بَيْتِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ.
 سَتَأْتِي فَتَاةٌ وَتَزْعُمُ أَنِّي تَزَوَّجْتُهَا مِنْذُ عِشْرِينَ عَامًا.. وَأَكْثَرُ.
 سَتُرَوِّى أَسَاطِيرُ عَنِّي، وَعَنْ صَدَفِ كُنْتُ أَجْمَعُهُ مِنْ بِحَارِ بَعِيدَةٍ.
 سَتَبْحَثُ صَاحِبَتِي عَنْ عَشِيقٍ جَدِيدٍ تُخْبِتُهُ فِي ثِيَابِ الْجِدَادِ.
 سَأُبْصِرُ خَطَّ الْجَنَازَةِ، وَالْمَارَّةَ الْمُتَعِينِ مِنَ الْإِنْتِظَارِ.

وَلَكِنِّي لَا أَرَى الْقَبْرَ بَعْدُ. أَلَا قَبْرٌ لِي بَعْدَ هَذَا التَّعَبِ؟

وداعاً لما سوف يأتي

وَدَاعَا لِمَا سَوْفَ يَأْتِي بِهِ الْوَقْتُ بَعْدَ قَلِيلٍ .. وَدَاعَا.

وَدَاعَا لِمَا سَوْفَ تَأْتِي بِهِ الْأَمْكِنَةُ..

تَشَابَهَ فِي اللَّيْلِ لَيْلِي، وَفِي الرَّمْلِ رَمْلِي، وَمَا عَادَ قَلْبِي مَشَاعَا.

وَدَاعَا لِمَنْ سَأَرَاهَا بِلَاداً لِنَفْسِي؛ لِمَنْ سَأَرَاهَا ضِيَاعَا.

سَأَعْرِفُ كَيْفَ سَأَخْلُمُ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَكَيْفَ سَأَخْلُمُ بَعْدَ سَنَةٍ،

وَأَعْرِفُ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ فِي رَقْصَةِ السَّيْفِ وَالسُّوسَنَةِ،

وَكَيفَ سَبَخْلُمُ عَنِّي الْقِنَاعُ الْقِنَاعَا.

أَاسْرُقُ عُثْمَرِي لِأَحْيَا دَقَائِقَ أُخْرَى؛ دَقَائِقَ بَيْنَ الشَّرَادِيبِ

وَالْمِثْدَنَةِ

لَأَشْهَدَ طَقْسَ الْقِيَامَةِ فِي حَفْلَةِ الْكَهَنَةِ،

لَأَعْرِفَ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ؟ إِنِّي رَأَيْتُ.. رَأَيْتُ الْوَدَاعَا.

لديني... لديني لأعرف

لديني... لديني لأعرف في أي أرض أموت وفي أي أرض
سأبعث حيًّا

سَلَامٌ عَلَيْكَ وَأَنْتِ تُعَدِّينَ نَارَ الصَّبَاحِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ... سَلَامٌ
عَلَيْكَ. أَمَّا

أَنْ لِي أَنْ أُقَدِّمَ بَعْضَ الْهَدَايَا إِلَيْكَ: أَمَّا أَنْ لِي أَنْ أَعُودَ إِلَيْكَ؟
أَمَّا زَالَ شَعْرُكَ أَطْوَلَ مِنْ عُمْرِنَا وَمِنْ شَجَرِ الْغَيْمِ وَهُوَ يَمُدُّ
السَّمَاءَ إِلَيْكَ لِيَحْيَا؟ لَدِينِي لِأَشْرَبَ مِنْكَ حَلِيبَ الْبِلَادِ، وَأَبْقَى
صَبِيًّا عَلَى سَاعِدَيْكَ وَأَبْقَى صَبِيًّا

إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ. رَأَيْتُ كَثِيرًا يَأْتِي رَأَيْتُ. لَدِينِي لِأَبْقَى
عَلَى رَاحَتَيْكَ. أَمَّا زِلْتُ حِينَ تُحَبِّبُنِي تُشِيدُنِي وَتَبْكِينَ مِنْ
أَجْلِ لَا شَيْءٍ. أُمِّي! أَصَغْتُ يَدَيَّ عَلَى خَضِرِ امْرَأَةٍ مِنْ سَرَابِ.
أَعَانِقُ زَمَلًا أَعَانِقُ ظِلًّا. فَهَلْ أَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَيْكَ / إِلَيَّ؟
لَأُمْلِكُ أُمِّ، لِيَتَبَّنِ الْحَدِيقَةُ غَيْمًا. فَلَا تَتْرُكْنِي وَحِيدًا شَرِيدًا،

أُرِيدُ يَدَيْكَ لِأَحْمِلَ قَلْبِي. أَجِنُ إِلَى حُبِّهِ صَوْتِكَ أُمِّي! أَجِنُ
إِلَى كُلِّ شَيْءٍ. أَجِنُ إِلَيَّ.. أَجِنُ إِلَيْكَ

لصوص المدافن

لُصُوصُ الْمَدَافِنِ لَمْ يَتْرُكُوا لِلْمُؤَرِّخِ شَيْئاً يَدُلُّ عَلَى.

يَنَامُونَ فِي جُحْتِي أَيْتَمًا طَلَعَ الْعُشْبُ مِنْهَا، وَقَامَ الشُّبَّخُ.

يَقُولُونَ مَا لَا أَفْكُرُ. يَتَسَوَّنَ مَا أَتَذَكَّرُ. يُعْطُونَ صَمْتِي

ذَرَائِعَهُمْ. فَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً، لُصُوصُ الْمَدَافِنِ، فِي الْوَقْتِ مُتَّسِعٍ
لِلضَّحِيَّةِ

لِتُجْرِيَ جَوَاراً عَنِ الْوَقْتِ مَعَ قَاتِلٍ قَدْ يَكُونُ الضَّحِيَّةِ.

وَعُودُوا إِلَى أَهْلِكُمْ. رَبُّمَا اخْتِاجَ أَطْفَالَكُمْ لُغْبَةً غَيْرَ قَلْبِي فِي
بُنْدُوقِيَّةِ،

وَأَسْمَاءَهُمْ، أَوْ مَلَائِسَ أَسْمَائِهِمْ كَيْ يَسِيرُوا إِلَى الْمَدْرَسَةِ.

أَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَزْتَدُوا غَيْرَ قَبْرِ الْقَدِيمِ / الْجَدِيدِ... هُوِيَّةُ؟

أَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَجِدُوا فَارِقاً وَاحِداً بَيْنَ ظِلِّي الْمَذْهَبِ وَالتَّرْجُمَةِ؟

إِذَنْ، مَنْ هُوَ الْحَيُّ فِينَا؟ مَنْ الْحَيُّ فِي هَذِهِ الْمَسْرُوحَةِ؟

قريباً من السور

قَرِيباً مِنَ الشُّورِ، سُورِ الْمَدِينَةِ، أَمْنَعُ نَفْسِي مِنَ الْاعْتِرَافِ
 بِأَنِّي رَأَيْتُ الَّذِينَ سَيَّاتُونُ بَعْدَ قَلِيلٍ، سَيَّاتُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ،
 وَيَبْتَثُونَ أَشْوَارَهُمْ حَوْلَ سُورٍ قَدِيمٍ يُحِيطُ بِسُورٍ قَدِيمٍ.
 وَأَنِّي رَأَيْتُ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ هُنَا، وَمَضَوْا مِنْ هُنَا، بَعْدَ مَا
 بَنَوْا سُورَهُمْ حَوْلَ سُورٍ قَدِيمٍ يُحِيطُ بِسُورٍ قَدِيمٍ.
 قَرِيباً مِنَ الشُّورِ، أَرُسُّمُ سِلْسِلَةً مِنْ نُجُومٍ وَدَائِرَةً مِنْ نُجُومٍ،
 وَأَبْحَثُ عَنْ حَاضِرٍ كَانَ، أَوْ حَاضِرٍ كَانَ، أَوْ حَاضِرٍ سَيَكُونُ:
 أَفِي وَشِعْنَا أَنْ نَكُونَ هُنَا... الْآنَ؟ فِي وَشِعْنَا أَنْ نَكُونَ؟
 وَتَبْنِي أَشْوَارَنَا، هَهُنَا... هَهُنَا، حَوْلَ سُورٍ قَدِيمٍ؟

سَأَلْتُ الْقَصِيدَةَ، فَاعْرِزْزَقَتْ بِالْغُيُومِ.

هنا نحن قرب هناك

هنا نحن قرب هناك، ثلاثون باباً لِحَيِّمَة

هنا نحن بين الحصى والظلال مكان. مكان لصوت، مكان
لحرية، أو مكان

لأي مكان تخرج عن فرس، أو تتأثر من جرس أو أذان
هنا نحن، عما قليل سننقب هذا الحصار، وعما قليل نحرر غيمه
ونزحل فينا. هنا نحن قرب هناك ثلاثون باباً ليربح، ثلاثون
«كان»

نعلمكم أن ترونا، وأن تعرفونا، وأن تسمعونا، وأن تلمسوا
ظلمنا في المكان

نعلمكم سلماً. قد نحب وقد لا نحب طريق دمشق ومكة
والقيروان

هنا نحن فينا. سماء لآب، وبحر ليماني، وحرية لحصان

وَلَا نَطْلُبُ الْبَحْرَ إِلَّا لِنَسْحَبَ مِنْهُ دَوَائِرَ زَرْقَاءَ حَوْلَ الدُّخَانِ
هُنَا نَحْنُ قُرْبَ هُنَاكَ، ثَلَاثُونَ سُكُلًا ثَلَاثُونَ ظِلًّا.. لِنَجْمَهُ

لأول مرة يرى البحر

لأول مرة

يرى البحر من داخله

سَفِينَتُنَا تَحْمِلُ الْبَرَّ بَاحِثَةً عَنْ مَرَافِيءِ الْبَرِّ. كُنَّا نُدَافِعُ عَنْ
وَاجِبِ الْكَلِمَاتِ،

وَعَنْ كَغِبِ «أَشِيلَ». كُنَّا نُوَاصِلُ هَذَا الرَّحِيلَ إِلَى الْبَدءِ. مَنْ
يُوقِفُ الْبَحْرَ

كُنِيَ نَجِدَ الْبَدءَ فِي سَاحِلِهِ.

وَكَانَ الرُّوَائِيُّ فِينَا يَشُدُّ السَّفِينَةَ نَحْوَ الْوَرَاءِ، يُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى
صَوْتِ

بَيْرُوتَ: لَا تَخْرُجُوا. كَانَ يَكْتُبُ فَضْلاً جَدِيداً عَنِ
الْمُعْجَزَاتِ، وَعَنْ قَاتِلِهِ

وَجِئْنَا انْتَهَى مِنْ كِتَابَتِهِ، قَامَ أَبْطَالُ قِصَّتِهِ يَلْعَبُونَ،

فَبَالُوا عَلَيْهِ وَبَالُوا عَلَى بَابِلَهُ
لَكِنِّي يُبْصِرُ الْبَحْرَ مِنْ دَاخِلِهِ،
وَيَخْمِلُ عَبَاءَ الْكَلَامِ عَلَى كَاهِلِهِ.

يمثل دوري الأخير

يُمَثِّلُ دَوْرِي الْأَخِيرَ. وَكَانَ وَحِيداً وَحِيداً عَلَى مَسْرَحِهِ
يُرْتَّبُ مَا لَا يُرْتَّبُ مِنْ جَوْفَةِ مُتَعَبَةٍ
لَقَدْ أَطْفَأُوا النُّورَ، وَانْصَرَفُوا وَاحِداً وَاحِداً خَلْفَ أَرْزَاقِهِمْ..
وَمَا زَالَ يَلْعَبُ فِي دَمِهِ وَهُوَ يَحْسِبُهُ رَغْوَةَ الْعَتَبَةِ.

تَقْصُصُ دَوْرَ الشُّهُودِ وَدَوْرَ الشُّهَيْدِ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْانْكِسَارَ وَلَا
الْغَلَبَةَ.

وَحِيداً، يُرْمَى مَا انْتَهَرَ مِنَّا وَمِنَهُ، وَمِنْ آخِرِ الْخَشْبَةِ
- أَلَا بُدٌّ مِنْ مَسْرَحٍ يَا أَبِي؟

فَقَالَ: وَلَا بُدٌّ مِنْ شَاعِرٍ فِي الطَّرِيقِ إِلَى قُرْطُبَةٍ
وَحِيداً .. وَحِيداً يَسِيرُ إِلَى قُرْطُبَةٍ
وَوَحْدِي أَصْدَقُهُ حِينَ يَكْذِبُ، مِثْلِي... مَا أَكْذَبَةٌ.

بقاياك للصقر

بَقَايَاكَ لِلصَّقْرِ. مَنْ أَنْتِ كَيْ تَحْفَرِ الصَّخْرَ وَحَدَّكَ،
وَتَغْبِرَ هَذَا الْفَرَاغَ النَّهَائِيَّ، هَذَا الْبَيَاضَ النَّهَائِيَّ؟ مَرْحَى!
سَتَضْطَفُ حَوْلَكَ خَرُوبَتَانِ، وَأَرْمَلَتَانِ، وَصَمْتُ الْفَضَاءِ
الْمُجَوِّفِ بِعَدَّكَ

شُهِوداً عَلَى الْعَبَثِ الْبَشَرِيِّ؛ شُهِوداً عَلَى الْمُعْجِزَةِ.
أَفِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ تُصَدِّقُ ظِلَّكَ، فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ
تُصَدِّقُ وَرَدَّكَ؟

وَتَلْفِظُ إِسْمَكَ وَاسْمَ بِلَادِكَ وَاسْمِي مَعَا
بِلَا خَطِإٍ، يَا رَفِيقِي، كَأَنَّكَ تَمْلِكُ وَغَدُكَ!
سَتُخْلِي لَكَ الْمَسْرَحَ الدَّائِرِيَّ. تَقْدَمُ إِلَى الصَّقْرِ وَحَدَّكَ،
فَلَا أَرْضَ فِيكَ لِكَيْ تَتَلَاشَى،
وَلِلصَّقْرِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْكَ، وَلِلصَّقْرِ أَنْ يَتَقَمَّصَ جِلْدَكَ.

أنا يوسف يا أبي

أنا يوسف يا أبي. يا أبي، إخوتي لا يحبونني، لا يريدونني
 بينهم يا أبي. يعتدون عليّ ويؤمنوني بالحصى والكلام.
 يريدونني أن أموت لكي يمدحوني. وهم أؤصدوا باب بيتك
 دوني. وهم طردوني من الحقل. هم سمّوا عبي يا أبي.
 وهم حطّوا لعبي يا أبي. حين مرّ النسيم ولأعب شغري
 غاروا وثاروا عليك، فماذا صنعت لهم يا أبي؟ الفراشات
 حطّ على كتفي، ومالت عليّ السنابل، والطير حطّ على
 راحتي. فماذا فعلت أنا يا أبي، ولماذا أنا؟ أنت سميتني
 يوسفًا، وهُم أوقعوني في الحب، وأنهموا الذئب؛ والذئب
 أرحم من إخوتي.. أبت! هل جئت على أحد عندما قلت
 إنني: رأيت أحد عشر كوكبًا، والشمس والقمر، رأيتهم لي
 ساجدين.

يطول العشاء الأخير

يَطُولُ الْعِشَاءُ الْآخِرُ؛ تَطُولُ وَصَايَا الْعِشَاءِ الْآخِرِ
 أَبَانَا الَّذِي مَعَنَا! كُنْ رَحِيماً بِنَا، وَانْتَظِرْنَا، قَلِيلاً، أَبَانَا!
 وَلَا تُبْعِدِ الْكَأْسَ عَنَّا. تَمَهَّلْ لِنَسْأَلَ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْنَا
 وَلَا تَنْتَهِمْ أَحَدًا. كُنْ رَحِيماً بِمَنْ سَوْفَ يَضْعُفُ مِنَّا،
 أَبَانَا الَّذِي فِي النُّهَيَاتِ، وَاضْعُدْ رُوَيْدًا رُوَيْدًا إِلَى حُتْفِنَا
 لَقَدْ ضَاقَ هَذَا الْمَكَانُ الصَّغِيرُ بِصَرْخَتِنَا. ضَاقَ هَذَا الْجَسَدُ
 بِفِكْرَتِنَا، يَا أَبَانَا، وَقُلْتَ الْكَلَامَ الَّذِي كَانَ فِينَا. فَخُذْنَا مَعَكَ
 إِلَى أَوَّلِ الْمَاءِ خُذْنَا، إِلَى أَوَّلِ الشَّيْءِ خُذْنَا، إِلَى أَوَّلِ الْكَلِمَةِ.
 لَقَدْ طَالَ هَذَا الْعِشَاءُ، وَقَلَّ الرِّغِيفُ، وَطَالَتْ وَصَايَاكَ، فَاضْعُدْ
 بِنَا
 لِأَنَّ «الرَّسَائِلَ» بِغَدِكَ تَغْتَالُنَا وَاحِدًا وَاحِدًا.. يَا أَبَانَا.

إلهي لماذا تخلّيت عني؟

إلهي.. إلهي، لماذا تخلّيت عني؟ لماذا تزوّجت مزيم؟
لماذا وعدت الجنود بكرمي الوحيد.. لماذا؟ أنا الأرملة.
أنا بنت هذا السكون، أنا بنت لفظتك المهملة
لماذا تخلّيت عني إلهي، إلهي.. لماذا تزوّجت مزيم؟
نزلت في كلاماً، وأنزلت شعبين من شئبله،
وزوّجتني فكرة فامتثلت؛ امتثلت تماماً لحكمتك المقبلة؟
أطلقني؟ أم ذهب لي شفي سواي/عدوي من المفضله.
أمن حق من هي مثلي أن تطلب الله زوجاً.. وأن تسأله
إلهي.. إلهي.. لماذا تخلّيت عني،
لماذا تزوّجتني يا إلهي، لماذا.. لماذا تزوّجت مزيم؟

أريد مزيداً من العمر

أريدُ مزيداً منَ العمرِ كَني نلتقي، ومزيداً منَ الاغترابِ
ولَوْ كَانَ قلبي خفيفاً لأطَلَقْتُ قلبي عَلَى كُلِّ نَحْلَةٍ.

أريدُ مزيداً منَ القلبِ كَني أَسْتَطِيعُ الوُصُولَ إِلَى سَاقِ نَحْلَةٍ.
ولَوْ كَانَ عُمري مَعِي لَأَنْتَظَرْتُكَ خَلْفَ زُجَاجِ الغِيَابِ.

أريدُ مزيداً منَ الأغنياتِ لأَحْمِلَ مَلِئُونَ بَابٍ ... وَبَابَ
وَأَنْصَبَهَا خَيْمَةً فِي مَهَبِ البَلَادِ، وَأَسْكُنَ جُمْلَةً.

أريدُ مزيداً منَ السَّيِّدَاتِ لِأَعْرِفَ آخِرَ قُبْلَةٍ،
وَأَوَّلَ مَوْتٍ جَمِيلٍ عَلَى قَدَحٍ مِنْ نَبِيذِ السَّحَابِ.
أريدُ مزيداً منَ العمرِ كَني يَعْرِفُ القلبُ أَهْلَهُ،
وَكَني أَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَى ... سَاعَةٍ مِنْ تُرَابِ.

ألا تستطيعين أن تطفئي قمرًا

ألا تستطيعين أن تطفئي قمرًا واحدًا كي أنام؟
 أنام قليلاً على رُكبتك، فيضحو الكلام
 ليمدح موجاً من الفمح يثبُت بين عُروقي الرخام؟

تطيرين مني غزلاً يخاف، ويَرْقُصُ حولي. يخاف ويَرْقُصُ حولي
 ولا أستطيع اللحاق بقلب يعض يدك ويصرخ: ظلي
 لأعرف من أي ربح يهب علي سحاب الحمام.

ألا تستطيعين أن تطفئي قمرًا واحدًا كي أرى
 غرور الغزال الأسوري يطعن صيادَه قمرًا
 أفتش عنك فلا أهددي. أين سומר في... وأين الشام؟

تذكرت أنني نسيتك. فلتزفصي في أعالي الكلام.

خريف جديد لسيدة النار

خَرِيفٌ جَدِيدٌ لِسَيِّدَةِ النَّارِ: كُونِي كَمَا خَلَقْتُكَ الْأَسَاطِيرُ
وَالشَّهَوَاتِ. وَكُونِي رَصِيفاً لِمَا يَتَسَاقَطُ مِنْ وَرْدَتِي. وَرَبَاحاً
لِبَحَّارَةِ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُنْجِرُوا. كَمْ أُرِيدُكَ عِنْدَ هُبُوطِ الْخَرِيفِ
عَلَى الرُّوحِ؛ كَمْ أَتَمَنَّى بَقَائِي شَرِيداً عَلَى قَدَمٍ مِنْ حَرِيرِ
الْمَدَائِحِ. كُونِي نِسَاءً لِقَلْبِي، وَأَسْمَاءً عَيْنِي كُونِي، وَنَافِذَةً
لِلْحَدِيقَةِ كُونِي، وَأُمّاً لِتَأْسِي مِنَ الْأَرْضِ. كُونِي مَلَائِكَتِي، أَوْ
خَطِيبَةً سَاقِيْنَ حَوْلِي، أُحِبُّكَ قَبْلَ اخْتِكَاكِ دَمِي بِالْعَوَاصِفِ
وَالنُّحْلِ، كُونِي كَمَا كُنْتُ. كُونِي كَمَا لَا تَكُونِينَ، مُسِي
بِأَطْرَافِ ظِلِّكَ جَنَّ الْأَنَاشِيدِ يَضْحُ الْكَلَامُ عَلَى غَسَلِ
الشَّهَوَاتِ. أُحِبُّكَ، أَوْ لَا أُحِبُّكَ، لَا أَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَى
بَلَدِي. لَا أُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى جَسَدِي. لَا أُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى
أَحَدٍ بَعْدَ هَذَا الْخَرِيفِ.

سيأتي الشتاء الذي كان

سيأتي الشتاء الذي كان... لِلْمَرْءِ الْعَاشِرَةِ
فَمَازَا سَأَفْعَلُ حِينَ يَجِيءُ الشُّتَاءُ الَّذِي كَانَ، مَاذَا سَأَفْعَلُ كَيْ
لَا أَمُوتَ كَمَا

مُتٌ. مَا يَنْ قَلْبِي، أَغْلَى مِنَ الْغَيْمِ أَغْلَى .. وَأَغْلَى؟
أَعِدُّ لَكَ الذُّكْرِيَّاتِ، وَأَفْتَحْ نَافِذَةَ لِلْحَمَامِ الْمُصَابِ بِنِسْيَانٍ دَفْلَى
وَأَلْمَسْ فَرْوَ غِيَابِكَ.. هَلْ كَانَ فِي وَشِعَا أَنْ نُحِبَّ أَقْلَ
لِنَفْرَحَ أَكْثَرَ؟ هَلْ كَانَ فِي وَشِعَا أَنْ نُحِبَّ أَقْلَ... أَقْلَ؟

نُعِيدُ إِلَى الْحُبِّ أَشْيَاءَهُ: نُرْجِعُ الرُّوحَ لِلرُّوحِ، نُرْجِعُ ظِلًّا
إِلَى أَهْلِهِ. نَتَبَادَلُ أَسْمَاءَ نِسْيَانِنَا، ثُمَّ نُرْجِعُ قَتْلَى .. وَأُحْلَى
نُعِيدُ إِلَى الْحُبِّ أَشْيَاءَهُ، زَهْرَةَ الْوَقْتِ فِي جَسَدَيْنِ
وَلَكِنَّا لَا نَعُودُ إِلَى نَفْسِنَا، نَفْسِنَا، مَرَّتَيْنِ!...

يعلمني الحب ألا أحب

يُعلِّمُنِي الحُبُّ أَلَا أُحِبُّ، وَأَنْ أَفْتَحَ النَّافِذَهِ
عَلَى ضِفَّةِ الدَّرَبِ. هَلْ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَخْرُجِي مِنْ يَدَايِ الْحَبِّقِ
وَأَنْ تَقْسِمِيَنِي إِلَى اثْنَيْنِ: أَنْتِ، وَمَا يَبْقَى مِنَ الْأُغْنِيَةِ؟
وَحُبُّ هُوَ الحُبُّ. فِي كُلِّ حُبٍّ أَرَى الحُبَّ مَوْتًا لِمَوْتِ سَبَقِ،
وَرِيحًا تُعَاوِدُ دَفْعَ الحُيُولِ إِلَى أُمِّهَا - الرِّيحِ بَيْنَ الشَّحَابَةِ
وَالْأُودِيَةِ..

أَلَا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَخْرُجِي مِنْ طِينِ دَمِي كَيْ أَهْذِهَذَا هَذَا
الشَّبَقِ؟

وَكَيْ أَسْحَبَ النَّحْلَ مِنْ وَرَقِ الْوَرْدَةِ الْمُغْدِيَةِ؟
وَحُبُّ هُوَ الحُبُّ، يَسْأَلُنِي: كَيْفَ عَادَ التَّبِيدُ إِلَى أُمِّهِ وَاخْتَرَقَ...
وَمَا أَغْذَبَ الحُبُّ حِينَ يُعْذَّبُ، حِينَ يُخَرَّبُ نَوْجَسَةُ الْأُغْنِيَةِ.

يُعلِّمُنِي الحُبُّ أَنْ لَا أُحِبُّ، وَيَتْرُكُنِي فِي مَهَبِّ الْوَرَقِ.

خسرنا، ولم يربح الحب

خَسِرْنَا، وَلَمْ يَرْبِحِ الْحُبُّ شَيْئًا
لَأَنَّكَ يَا حُبُّ حُبٌّ، لِأَنَّكَ يَا حُبُّ طِفْلٌ مُدَلَّلٌ
تُكْسِرُ بَابَ السَّمَاءِ الْوَحِيدَ، وَكُلَّ الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ نَقُلْهُ. وَتَزْجَلُ
فَكَمْ وَزْدَةٌ لَمْ نَرَ الْيَوْمَ. كَمْ شَارِعٍ لَمْ يُحْطَمْ كَاتِبَةُ قَلْبٍ مُكَبَّلُ
وَكَم مِّنْ فِتَاةٍ يُغَافِلُنَا عُثْرُهَا وَيَسِيرُ إِلَى جِهَةٍ لَا نَرَاهَا...
لِتَضْهَلْ.

وَكَم مِّنْ نَّشِيدٍ تَنْزَلُ فِيْنَا وَكُنَّا نِيَامًا، وَكَم مِّنْ هِلَالٍ تَرْجُلُ
لِيَزْتَاحَ فَوْقَ الْوَسَادَةِ. كَمْ قُبْلَةً طَرَقَتْ بَابَنَا حِينَ كُنَّا بَعِيدَيْنِ
عَنْ بَيْتِنَا

وَكَم حُلُمٍ ضَاعَ مِنْ نَوْمِنَا حِينَ كُنَّا نُفَتِّشُ عَنْ خُبْرِنَا فِي
الصُّخُورِ وَنَعْمَلُ

وَكَمْ طَائِرٌ رَفَّ حَوْلَ نَوَافِذِنَا حِينَ كُنَّا نَدَاعِبُ أَغْلَالَنَا فِي
 نَهَارٍ مُؤَجَّلٍ
 خَيْرِنَا كَثِيرًا وَلَمْ يَزِجِ الْحُبُّ شَيْئًا، لَأَنَّكَ يَا حُبُّ طِفْلٌ
 مُدَلَّلٌ!

سأمدح هذا الصباح

سَأْمَدُحُ هَذَا الصُّبْحَ الْجَدِيدَ، سَأَنْسَى اللَّيَالِي، كُلَّ اللَّيَالِي
وَأَمْشِي إِلَى وَرْدَةِ الْجَارِ، أَخْطِفُ مِنْهَا طَرِيقَتَهَا فِي الْفَرْخِ.
سَأَقْطِفُ فَاكِهَةَ الضُّوءِ مِنْ شَجَرٍ لِلْجَمِيعِ..
سَأَمْلِكُ وَقْتًا لِأَسْمَعَ لَحْنَ الرِّفَافِ عَلَى رِيشِ هَذَا الْحَمَامِ.
سَلَامٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ... سَوَارِعُ كَالنَّاسِ وَاقِفَةٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ...
لَا تَمْلِكُ الْأَرْضَ غَيْرَ الطُّيُورِ الَّتِي حَلَقَتْ فَوْقَ سَطْحِ الْغِنَاءِ،
وَلَا يَمْلِكُ الطَّيْرُ غَيْرَ الْفَضَاءِ الْمُعَلَّقِ فَوْقَ أَعَالِي الشَّجَرِ.
سَلَامٌ عَلَى نَوْمٍ مَنْ يَمْلِكُونَ مِنَ الْوَقْتِ وَقْتًا لِكَيْ يَفْرَأُوا..
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُتَعَبِينَ.

أفني مثل هذا الصُّبْحِ الْقَوِيِّ تَقُولِينَ لِي: سَأَعُودُ إِلَى بَيْتِ أُمِّي؟
أفني مثل هذا الصُّبْحِ تُعِيدِينَ قَلْبِي إِلَيَّ عَلَى طَبَقٍ مِنْ وَرَقٍ؟

سماء لبحر

سَمَاءٌ لِيُخْرِ. سَمَاءٌ لِيَتَوَسَّم بِنْتُ الْفَرَّاشَةِ أُمًّا. سَمَاءٌ لِكُرْسِي
أَصَالِحِ نَفْسِي وَلَوْ جَاءَتِ الْيَاسَمِينَةُ بَعْدَ الْأَوَانِ. أَصَالِحِ يَوْمِ
الْأَحَدِ

سَأُنْزِلُ عَنْ يَدِكَ النَّهَرَ كَيْ يَتَعَرَّى، وَأَعْرِفَ كَيْفَ يَصِيرُ
الشُّعَاعُ جَسَدًا

سَأُحْمِلُ عَنْكَ ذِرَاعِي لِأَجْلِسَ هَذَا الْبَهَاءُ النَّهَائِيَّ فَوْقَ يَدَيْكَ
وَلَدًا.

سَمَاءٌ لِيُخْرِ، وَبَحْرٌ لِسُورِ الْحَدِيقَةِ. هَذَا النَّهَارُ سَرِيرٌ لِعُرْسِي
يَحُطُّ الْحَمَامُ عَلَى شَارَةِ الْعُنْكَرِيِّ، وَتَفْلُتُ عَاشِقَةٌ مِنْ فِتَاهَا
لِتَأْخُذَ قِطْعَةً شَمْسٍ

أُحِبُّكَ هَذَا النَّهَارَ كَمَا لَمْ أُحِبَّكَ مِنْ قَبْلُ. أَرْفَعُ عَنْ مَوْجَةِ
الْيَاسَمِينِ الرَّيْدَ.

أَفِي الْأَرْضِ غَيْرُ السَّلَامِ؟ أَفِي النَّاسِ غَيْرُ الْمَسْرَةِ؟ إِنِّي أَصَالِحُ
نَفْسِي

فَتَدْخُلُ كُلُّ الشُّعُوبِ مَدَائِحَ خَمْرِي... وَتَدْخُلُ زَيْتُونَ قَوْسِي
أَفِي مِثْلِ هَذَا النَّهَارِ تَمُوتُ عَصَافِيرُ فِضْيَةٍ، هَلْ يَمُوتُ أَحَدٌ!

أستطيع الكلام عن الحب

وَهَا أَنَذَا أَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ عَنِ الْحُبِّ، عَنْ شَجَرٍ فِي طَرِيقٍ يُؤَدِّي
إِلَى هَدَفِ الْآخَرِينَ؟ وَعَنْ حَالَةِ الْجَوِّ فِي بَلَدِ الْآخَرِينَ. وَأَهْدِي
حَمَامَ الْمَدِينَةِ حَفَنَةً قَمَحٍ؟ وَأَسْمَعُ أَصْوَاتَ جِيرَانِنَا وَهِيَ تَحْفَرُ
جُلْدِي.

وَهَا أَنَذَا أَسْتَطِيعُ الْحَيَاةَ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ. أَبْذُلُ مُجْهَدِي
لَأَكْتُبَ مَا يُفْنِعُ الْقَلْبَ بِالنَّبْضِ عِنْدِي، وَمَا يُفْنِعُ الرُّوحَ بِالْعَيْشِ
بَعْدِي.

وَفِي وَسْعٍ غَارِظَيْنَا أَنْ تُجَدِّدَ عُمْرِي. وَفِي وَسْعٍ إِمْرَأَةٍ أَنْ تُحَدِّدَ
لِعُمْدِي

وَمَا أَتَذَّا أَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ فِي اثْنَيْنِ: وَخَيْدِي،
وَوَخَيْدِي

وَلَا أَسْتَطِيعُ التَّوَاطُّؤَ إِلَّا مَعَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَمْ أَقْلُهَا، لِأُقْدِي
مُكُوثِي عَلَى حَافَةِ الْأَرْضِ، بَيْنَ حِصَارِ الْفَضَاءِ وَبَيْنَ جَحِيمِ
التَّرْدِي

سَأُحْيَا كَمَا تَشْتَهِي لُغْتِي أَنْ أَكُونَ ... سَأُحْيَا بِقُوَّةِ هَذَا
التَّحْدِي

ونحن نحب الحياة

وَنَحْنُ نُحِبُّ الْحَيَاةَ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلًا
وَنَزَعُصُ بَيْنَ شَهِيدَيْنِ. نَرْفَعُ مِثْدَنَةً لِلْبَتْفَسَجِ بَيْنَهُمَا أَوْ نَحِيلًا

نُحِبُّ الْحَيَاةَ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلًا

وَنَسْرِقُ مِنْ دُودَةِ الْقَرْ خَيْطًا لِنَبْنِي سَمَاءَ لَنَا وَنُسَيِّجُ هَذَا
الرَّحِيلًا

وَنَفْتَحُ بَابَ الْحَدِيقَةِ كَنِي يَخْرُجُ الْيَاسَمِينُ إِلَى الطُّرُقَاتِ نَهَارًا
جَمِيلًا

نُحِبُّ الْحَيَاةَ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلًا

وَنَزَرُعُ حَيْثُ أَقْمَنَّا نَبَاتًا سَرِيعَ الثَّمْوِ، وَنَحْصُدُ حَيْثُ أَقْمَنَّا قَتِيلًا

وَنَنْفُخُ فِي النَّايِ لَوْنَ الْبَعِيدِ، وَنَزْسُمُ فَوْقَ تُرَابِ الْمَمَرِ صَهِيلاً
وَنَكْتُبُ أَسْمَاءَنَا حَجَراً حَجَراً، أَيُّهَا الْبَرَقُ أَوْضِعْ لَنَا اللَّيْلَ،
أَوْضِعْ قَلِيلاً

نُحِبُّ الْحَيَاةَ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلاً...

نُورُخ أَيَامِنَا بِالْفَرَّاشِ

نُورُخ أَيَّامِنَا بِفَرَّاشِ الْحُقُولِ، هَبَطْنَا سَلَالِمَ أَيَّامِنَا
صَعَدْنَا عَلَى مَا يَغِيبُ مِنَ السُّنْدِيَانِ. تَرَكْنَا غِيَاباً لَأَوْهَامِنَا
وَسِرْنَا إِلَى الشَّعْرِ نَسْأَلُهُ أَنْ يُجَدِّدَ أَرْضاً لِيلْهَامِنَا
فَسَدَّ عَلَيْنَا جِهَاتِ الرِّيَّاحِ، وَصَارَ هُوِيَّةُ أَصْنَامِنَا
سَنَكُتُوبُ مِنْ أَجْلِ أَلَّا نَمُوتَ.. سَنَكُتُوبُ مِنْ أَجْلِ أَخْلَامِنَا
سَنَكُتُوبُ أَسْمَاءَنَا كَيْ تَذُلَّ عَلَى أَضْلَاهَا شَرْقُ أَجْسَامِنَا
سَنَكُتُوبُ مَا نَكُتُبُ الطَّيْرُ فِي الْفَلَوَاتِ، وَنَنْسَى تَوَاقِيعَ أَقْدَامِنَا
نَمُرُّ عَلَى الرِّيحِ .. مِنَّا الْمَسِيحُ، وَمِنَّا يَهُودَا، وَمِنَّا مُورُخُ
أَرْحَامِنَا
نَمُرُّ عَلَى الْأَرْضِ .. لَا نَسْتَهِي حَجَراً لِلْكَلامِ وَلَا لِلسَّلَامِ عَلَى
شَامِنَا
خَسِرْنَا، وَلَمْ يَزِجِ الشَّعْرُ شَيْئاً .. خَسِرْنَا كُهُولَةَ أَيَّامِنَا

أرى
ما أريد
(١٩٩٠)

.. وأنا أنظرُ خَلْفِي في هذا الليلِ
 في أوراقِ الأشجارِ وفي أوراقِ العُمرِ
 وأحدِّقُ في ذاكرةِ الماءِ وفي ذاكرةِ الرملِ
 لا أبصرُ في هذا الليلِ
 إلَّا آخرَ هذا الليلِ
 دَقَاتُ الساعةِ تَقْضُ عُمْرِي ثانيةً ثانيةً
 وتَقْصُرُ أيضاً عُمْرَ الليلِ
 لم يبقَ من الليلِ ومُنِي وقتٌ نتصارُعُ فيه.. وَعَلَيْهِ
 لكنَّ الليلَ يعودُ إلى ليلتيه
 وأنا أسقطُ في حُفْرَةِ هذا الظلِّ ..

رباعیات

.1

أرى ما أريدُ مِنَ الحَفْلِ .. إِنِّي أرى
 جدائلَ قَمَحٍ تَمْسُطُهَا الرِّيحُ، أَغْمَضُ عَيْنِي:
 هذا السَّرَابُ يُؤَدِّي إِلَى النَّهْونْدِ
 وهذا السَّكُونُ يُؤَدِّي إِلَى اللَّازُورْدِ

.2

أرى ما أريدُ من البحر .. إني أرى
 هُبوبَ النوارس عند الغروب، فأغْمضُ عيني:
 هذا الضياعُ يُوْدِّي إلى أندلس
 وهذا الشراعُ صلاةُ الحمام عليّ ..

.3

أرى ما أريدُ من الليل .. إني أرى
 نهايات هذا الممرِّ الطويل على باب إحدى المَدُن
 سأرمي مُفَكَّرَتِي في مقاهي الرصيف، سأُجْلِسُ هذا الغياب
 على مقعد فوق إحدى السفن

.4

أرى ما أريدُ من الروح: وَجْهَ الحجرِ
 وَقَدْ حَكَّهُ البرق، خضراءُ يا أرضُ.. خضراءُ يا أرضَ روحي
 أما كنتُ طفلاً على حافةِ البئرِ يلعبُ؟
 ما زلتُ أَلعبُ.. هذا المدى ساحتي، والحجارةُ ريحي

.5

أرى ما أريدُ من السُّلم.. إني أرى
 غزالاً، وعشباً، وجدولَ ماءٍ... فأغْمضُ عيني:
 هذا الغزال ينامُ على ساعدي
 وصيَّادُه نائم، قُربَ أولادِهِ، في مكانٍ قصي

.6

أرى ما أريدُ من الحرب.. إني أرى
 سواعدَ أجدادنا تعصُرُ النبعَ في حَجَرٍ أخضرا
 وآباءنا يَرْتُون المياةَ ولا يُورثون، فأغْمضُ عيني:
 إِنَّ البلادَ التي بين كَفَيَّ من صُنْعِ كَفَيَّ

.7

أرى ما أريدُ من السجن: أَيَّامَ زهرة
 مَضَّتْ من هنا كي تدلُّ غريبين في
 على مقعد في الحديقة، أُغْمضُ عيني:
 ما أوسعَ الأرض! ما أجملَ الأرضَ من ثُقُبِ إبرة

.8

أرى ما أريدُ من البرقِ.. إني أرى
حقولاً تُفَقِّتُ أَغْلَالَهَا بالنباتات، مَرَحِي!
لأُغْنِيَهُ اللوزُ بِيضَاءٍ تَهْبِطُ فَوْقَ دُخَانِ الْقَرْيِ
حَمَاماً .. حَمَاماً نَقَاسِيْمُهُ قُوَّتْ أَطْفَالِنَا

.9

أرى ما أريدُ من الحُبِّ.. إني أرى
خَيْوَلًا تُرَقِّصُ سَهْلًا، وَخَمْسِينَ غَيْتَارَةً تَنْهَهُدُ
وَسِرْبًا مِنَ النَحْلِ يَمْتَصُّ تَوْتَ الْبَرَارِيِّ، فَأُغْمِضُ عَيْنِي
حَتَّى أَرَى ظِلَّنَا خَلْفَ هَذَا الْمَكَانِ الْمُشْرِدِّ

.10

أرى ما أريد من الموت: إني أحب، وينشق صدري
 ويقفز منه الحصان الإروسي أبيض يركض فوق السحاب
 يطير على غيمة لا نهائية ويدور مع الأزرق الأبدى..
 فلا توقفوني عن الموت، لا تُزجعوني إلى نجمة من تراب

.11

أرى ما أريد من الدم: إني رأيت القتل
 يخاطب قاتله منذ أضاءت رصاصته قلبه: أنت لا تستطيع
 من الآن أن تذكر غيري. قتلتك سهواً، ولن تستطيع
 من الآن أن تذكر غيري.. وأن تتحمل ورد الربيع

.12

أرى ما أريدُ من المَشْرِحِ العَبْثِيِّ: الوحوشُ
 قضاةَ المحاكم، قُبْعَةُ الإمبراطور، أَقْنَعَةُ العصر،
 لَوْنُ السماء القديمة، راقصةُ القصر، فوضى الجيوش
 فأنسى الجميع، ولا أتذكرُ إلا الضحية خلف الستارة

.13

أرى ما أريدُ من الشعر: كُتًّا قديماً إذا استُشْهِدَ الشعراءُ
 نُشِيعُهُمْ بالرياحين ثم نعود إلى شعرهم سالمين..
 ولكننا في زمان المجلات والسينما والطنين نهيل التراب على
 شعرهم ضاحكين..
 وحين نعود نراهم على بابنا واقفين..

.14

أرى ما أريدُ من الفجر في الفجر .. إني أرى
 شعوباً تفتشُ عن خبزها بين خبز الشعوب
 هو الخبز، ينشلُنا من حرير النعاس، ومن قُطن أحلامنا
 أمِنْ حَبَّة القمح يزرعُ فجر الحياة.. وفجرُ الحروب؟

.15

أرى ما أريدُ من الناس: رغبَتُهُمْ في الحنينِ
 إلى أيِّ شيء، تباطؤُهُمْ في الذهابِ إلى شُغْلِهِمْ
 وسُرْعَتُهُمْ في الرجوعِ إلى أهلِهِمْ ..
 وحاجتَهُمْ للتحيّة عند الصباح...

ربّ الأيائل
يا أبي.. ربّها

... مُسْتَسْلِمًا لَخُطَى أَيْلِكَ ذَهَبْتُ أَبْحَثُ عَنْكَ يَا أَبْتِي هُنَاكَ

عند احتراق أصابعي بشموع شوكك، عندما

كان الغروب يَقْصُ خُرُوبَ الغروبِ، وعندما

كنا - أنا وأبوك - يا أبتي وراءك وَالِدَيْنِ

أَنْتَ الْمُعَلَّقُ فوق صُبَّار البراري من يديك

وعليك صَقَرٌ من مخاوفنا عليك

وعليك أَنْ تَرِثَ السماءَ من السماء

وعليك أَرْضٌ مثل جلد الروح تَنْقُبُهُ زهورُ الهِنْدِباءِ

وعليك أَنْ تَخْتَارَ فَأَسْكَ من بنادقهم عليك

وعليك أَنْ تَنْحَازَ، يا أبتي، لفائدة الندى في راحتك

ولقمحك المهجورِ حول معسكرات الجيش، فاصنع ما تشاء

بقلوب سَجَّانِيكَ، واصمذ فوق شوكك حين يقهرك الصهيلُ

حول الجهات الست، واصمذ، فالسهول لك السهولُ

.. وَأَيِّي خَجُولٌ، يَا أَيِّي، ماذا يقولُ.. ولا تقولُ
 حَدُّثْنِي عَنْهُ فَأَوْماً لِلشَّتَاءِ، وَدَسَّ شَيْئاً فِي الرَّمَاذِ
 لَا تُغْطِنِي حُبّاً، هَمْسْتُ، أُرِيدُ أَنْ أَهْبَ الْبِلَادِ
 غَزَالَةً. فَاسْرُخْ بِدَايَتِكَ الْبَعِيدَةِ كَيْ أَرَكَ كَمَا أَرَكَ
 أَبَا يُعَلِّمُنِي كِتَابَ الْأَرْضِ مِنْ أَلْفِ إِلَى يَاءٍ.. وَيَزِرْعُنِي هُنَاكَ.
 لَعَزَّ هُوَ الْمِيلَادُ: يَنْبْتُ مِثْلَ بَلُوطٍ يَشْتَقُّ الصَّخْرَ فِي
 عَتَبَاتِ هَذَا الْمَشْهَدِ الْعَارِي وَيَصْعَدُ.. ثُمَّ يَكْسِرُهُ السَّوَادُ
 نَحْبُوً وَنَضْبُوً. تَنْهَضُ الْأَفْرَاسُ تَرْكُضُ فِي الْمَدَى. نَكْبُو وَنَخْبُو
 فَمَتَى وَلَدْنَا يَا أَيِّي وَمَتَى نَمُوتُ؟ فَلَا يُجِيبُ، هُوَ الْخَجُولُ
 وَالْوَقْتُ مَلِكٌ يَدِيهِ يُزِيلُهُ إِلَى الْوَادِي وَيَرْجِعُهُ إِلَيْهِ
 وَهُوَ الْحَدِيقَةُ فِي مَهَابَتِهَا الْبَسِيطَةِ. لَا يَحْدُثُنِي عَنْ التَّارِيخِ فِي
 أَيَّامِهِ: كُنَّا هُنَا قَبْلَ الزَّمَانِ وَهَهُنَا نَبْقَى، فَتَخْضَرُ الْحَقُولُ
 رَبُّ الْأَيَّامِ.. رَبُّهَا فِي سَاحَةِ الدَّارِ الْكَبِيرَةِ يَا أَيِّي!
 فَيَغُضُّ عَنِّي الطَّرْفَ. يُضْلِحُ غُضْنَ دَالِيَةٍ. يُقَدِّمُ لِلْحَصَانِ شَعِيرَةً
 وَالْمَاءَ. يَغْرِفُهُ عَلَى مَهَلٍ، يَلَاطِفُهُ وَيَهْمِسُ: يَا أَصِيلُ.
 يَتَنَاوَلُ النِّعْنَاعَ مِنْ أُمِّي. يُدَخِّنُ تَبْغَهُ. يُخْصِي ثُرَيَّاتِ الْعَنْبِ
 وَيَقُولُ لِي: إِهْدَأْ! فَأَغْفُو فَوْقَ رَكْبَتِهِ عَلَى خَدَرِ التَّعَبِ..

أَتَذَكَّرُ الأعشاب: يا أخذني قطيعُ الأفحوان إلى حَلَبَ
 من ههنا قطعْتُ مُخِيلَتِي جبالَ الناي، خلفَ الناي أعدو
 أعدو وراءَ الطير كي أتعلمَ الطيران. قد خَبَأْتُ سرِّي
 في ما يقول الأولون هناك، خلفَ التلّ. كم أبعدتني
 عمّا أحاول أن أكون ولا أكون.. وأنت تدري
 أنني أريدُ فوائِدَ الأزهار، قَبْلَ الملح. كم قرَّبَتني
 من نجمة العَبَثِ البعيدة، يا أبي. لِمَ لَمْ تَقُلْ لي مرّةً
 في العمر: يا ابني!.. كي أطيّر إليك بعد المدرسة؟
 لِمَ لَمْ تحاول أن تربيَنِي كما رَبَّيْتَ حقلَكَ سمسماً، ذُرّةً، وحنطةً
 لأنّ فيكَ من الحروب توجَّسَ الجنديُّ من حَبَقِ البيوت؟
 كُنْ سيّدي، يا سيّدي، لأفِرَّ منك إلى الرعاة على التلال
 كُنْ سيّدي لتجَبِّني أُمِّي.. وينسى إخوتي موز الهلال
 كُنْ سيّدي كي أحفظَ القرآن أكثر.. كي أحبّ الإمرأة
 وأكون سيّدها وأسجنها معي! كن سيّدي لأرى الدليل
 خَبَأْتُ قلبك، يا أبي، عني لأكبر فجأة وحدي على شجر
 النخيل



شَجَرٌ، وأفكارٌ، ومزمارٌ.. سأقفُ من يديكَ إلى الرحيل

لَأَسِيرَ عَكْسَ الرِّيحِ، عَكْسَ غُرُوبِنَا.. مِنْفَايَ أَرْضُ
 أَرْضُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، كِنَعَانِيَّةٌ، تَرَعِي الْأَيَّامَ وَالْوَعُولَ..
 أَرْضُ مِنَ الْكَلِمَاتِ يَحْمِلُهَا الْيَمَامُ إِلَى الْيَمَامِ.. وَأَنْتَ مِنْفَى
 مِنْفَى مِنَ الْغَزَوَاتِ يَنْقُلُهَا الْكَلَامُ إِلَى الْكَلَامِ.. وَأَنْتَ أَرْضُ
 أَرْضُ مِنَ النِّعْنَعِ تَحْتَ قِصَائِدِي، تَدْنُو وَتَنَاقُ ثُمَّ تَدْنُو
 ثُمَّ تَنَاقُ فِي آسَمِ فَاتِحِهَا، وَتَدْنُو فِي آسَمِ فَاتِحِهَا الْجَدِيدِ
 كُرَّةٌ تَخَاطَفُهَا الْغَزَاةُ وَتَبْثُثُهَا فَوْقَ أَطْلَالِ الْمَعَابِدِ وَالْجُنُودِ
 لَوْ كُنْتُ مِنْ حَجَرٍ لَكَانَ الطَّقْسُ آخِرَ.. يَا بَنَ كِنَعَانَ الْقَدِيمِ
 لَكُنْهُمْ كَتَبُوا عَلَيْكَ نَشِيدَهُمْ لَتَكُونَ «أَنْتَ» «هُوَ» الْوَحِيدُ
 لَمْ تَأْتِ سَوْسَنَةٌ لِتَشْهَدَ، مَرَّةً، مَنْ كَانَ شَاعِرَهَا الشَّهِيدَ
 سَرَقَ الْمُؤَرِّخُ، يَا أَبِي، لَغَتِي وَسَوْسَنَتِي وَأَقْصَانِي عَنِ الْوَعْدِ
 الْإِلَهِيِّ
 وَبَكَى الْمُؤَرِّخُ عِنْدَمَا وَاجَهَتْهُ بِعِظَامِ أَسْلَافِي: «إِلَهِي.. يَا إِلَهِي
 لِمَ لَمْ يَمُوتُوا كُلُّهُمْ لَتَكُونَ لِي وَخِدِي...؟».. أَتَغْفِرُ يَا أَبِي
 لِي مَا صَنَعْتُ بِقَلْبِكَ الْمَثْقُوبِ بِالضُّبَّارِ حِينَ كَبُرْتُ وَخِدِي
 وَذَهَبْتُ وَخِدِي كُلُّ أُطْلٍ عَلَى الْقَصِيدَةِ مِنْ بَعِيدٍ؟
 فَلِمَ انْدَفَعْتَ الْآنَ فِي السَّفَرِ الْكَبِيرِ وَأَنْتَ تَوْرَاةُ الْجَذُورِ
 أَنْتَ الَّذِي مَلَأَ الْجَرَارَ بِأَوَّلِ الزَّيْتِ الْمَقْدَّسِ، وَابْتَكُرْتَ مِنَ
 الصَّخُورِ

كَرَمًا. وَأَنْتَ الْقَائِلُ الْأَبَدِيُّ: لَا تَرَحَّلْ إِلَى صَيِّدَا وَصُور؟
 أَنَا قَادِمٌ حَيًّا وَمَيِّتًا، يَا أَبِي، تَوَّأ.. أَتَغْفِرُ لِي جُنُونِي
 بِطَيُّورِ أُسْثَلْتِي عَنِ الْمَعْنَى؟ أَتَغْفِرُ لِي حَنِينِي
 هَذَا الشِّتَاءِ إِلَى انْتِحَارٍ بَاذِخٍ؟ شَاهَدْتُ قَلْبِي يَا أَبِي
 وَأَضَعْتُ قَلْبَكَ يَا أَبِي، خَبَأْتَهُ عَنِّي طَوِيلًا، فَالْتَجَأْتُ إِلَى الْقَمَرِ
 قُلْ لِي: أَحْبَبْتُكَ، قَبْلَ أَنْ تَغْفُو.. فَيَنْهَمِرُ الْمَطَرُ



.. متداخلاً فِي صُوفِهِ الْبُنِّيِّ، مُتَّكِئًا عَلَى دَرَجِ الشَّجَرِ
 يَرْنُو إِلَى فِرْدَوْسِهِ الْمَفْقُودِ، خَلْفَ يَدَيْهِ، يَرْمِي ظِلَّهُ
 فَوْقَ التَّرَابِ - تُرَابِهِ وَيَشْدُهُ.. يَصْطَادُ زَهْرَةَ أَقْحَوَانٍ
 بَعْبَاءَ الظِّلِّ الْمَرَاوِغِ. أَيُّ صَيَّادٍ يَغَافِلُ سَارِقَ الْأَشْجَارِ!
 أَيُّ أَبٍ أَبِي! يَرْمِي نَيْلَ الظِّلِّ نَحْوَ تَرَابِهِ
 الْمَسْرُوقِ .. يَخْطُفُ مِنْهُ زَهْرَةَ أَقْحَوَانٍ!
 وَيَعُودُ قَبْلَ اللَّيْلِ. كَمْ جَيْشٍ جَدِيدٍ سَوْفَ يَحْتُلُ الزَّمَانَ
 يَأْتُونَ كَمَا يَنْحَارِبُوا فِينَا.. هُمْ الْأُمَرَاءُ، وَالشَّهَدَاءُ نَحْنُ
 يَأْتُونَ، يَنْوِنُ الْقَلَاعَ عَلَى الْقَلَاعِ، وَيَذْهَبُونَ، وَنَحْنُ نَحْنُ
 لَكِنَّ هَذَا الْوَحْشَ يَسْرِقُ جِلْدَنَا وَيَنَامُ فِيهِ فَوْقَ خَيْشِ فَرَاشِنَا
 وَيَعْضُنَا، وَيَصِيحُ مَنْ وَجَعَ الْحَنِينَ إِلَى عَيُونِ الْأَقْحَوَانِ

يا أَرْضُ ! لم أسألك: هل رحَلَ المكانُ من المكان؟
لأكون زائرُكَ الغريبَ على حِرَابِ القادمين من الدخانِ
بينِ حقولِي الشقراءِ مترٌ واحدٌ.. مترٌ مِقْصُصٌ قَصَّ قلبي
أنا من هنا.. ورأيتُ أحشائي تطلُّ عليَّ من زَغَبِ الذَّرَّةِ
ورأيتُ ذاكرتي تَعْدُ حُبُوبَ هذا الحقلِ والشهداءِ فيه
أنا من هنا. أنا ههنا.. وأمسُطُ الزيتون في هذا الخريفِ
أنا من هنا. وهنا أنا. دَوَّى أُنِي: أنا من هنا.
وأنا هنا. وأنا أنا. وهنا هنا. إني أنا. وأنا هنا. وهنا
أنا. وأنا أنا. وهنا أنا. وأنا هنا. إني هنا. وأنا أنا.
ودنا الصدى. كَسَرَ المدى. قامت قِيامَتُهُ. صدى وجد الصدى
دَوَّى الصدى.. أبدأ هنا أبدأ هنا. وغدا الزمان غدا.
بدا شكلُ الصدى بلداً هنا ورد الردى، فاكسر
جدار الكون يا أبتى صدى حول الصدى؛ ولتنفجر:
أنا

مِنْ

هُنَا

وَهُنَا

هنا
وأنا
أنا
وهنا

أنا
وأنا
هنا



الأرض تكسر قشر يَصْطَحُها وتسبح بيننا
خضراء تحت الغيم. تأخذ من سماء اللون زينتها
لتسحرنا، هي الزرقاء والخضراء، تولد من خرافتها
ومن قُرباننا في عيد حنطتها. تُعَلِّمنا قُتُونَ البحث عن أسطورة
التكوين
سَيِّدَة على إيوانها المائي.

سيدة المديح. صغيرة لا عمر يخدش وجهها. لا ثور
يحملها على قرنيه. تحمل نفسها في نفسها وتنام في أحضانها
هي. لا تودّعنا ولا تستقبل الغرباء. لا تتذكّر الماضي.

فلا ماضي لها. هي ذاتها ولذاتها في ذاتها، تحيا فنحيا
حين تحيا حرّة حضراء. لم تتركب قطاراً واحداً معنا، ولا جملاً
وطائرة. ولم تفقد وليداً واحداً. لم تبتعد عنا ولم تفقد
معادنها. ولم تخسر مفاتها. هي الخضراء فوق مياهها الزرقاء..
فأنهض، يا أبي، من بين أنقاض الهياكل واكتب
أسمك فوق خاتمها كما كتب الأوائل، يا أبي، أسماءهم.
وانهض أبي لتحب زوجتك الشهيدة من ضفائرها إلى
خلخالها.

وانهض، فلا زيتون في زيتون هذي الأرض غير ظلالها،
وانهض لتحملها وتعبدا وتزوي سيرة النسيان:
كم مرّ الغزاة وغيّروك وغيّروا أسماءها،
كم أصلحوا عرباتهم وتقاسموا شهداءها،
وهي التي بقيت، كما كانت، لك امرأة وأماً يا أبي
فانهض، ليرجعك الغناء

كشقائق النعمان في أرض تبثّها وغتّها لتسكنها السماء



.. ولم القصيدة يا أبي؟ إنّ الشتاء هو الشتاء
سأنام بعدك، بعد هذا المهرجان الهش، تشوّد الدماء

على تمائيل المعابد كالنبيذ.. وتكسر العُشاق نرجسة وماء
 وسيكسرون الآن غيرتهم وغربتهم وتلور الحنين إلى حنين
 وأنا حزين يا أبي كحمامة الأبراج خارج سربها.. وأنا حزين
 وأنا حزين، يا أبي، سلّم على جدّي إذا قابلته
 قبل يديه نياحة عني وعن أحفاد «بغل» أو «عناة»
 واملأ له إبريقه بالخمر من عنب الجليل أو الخليل، وقل له:
 أنثاي تأبي أن تكون إطار صورتيها. وتخرج من رفااتي
 عنقاء أخرى. يا أبي سلّم عليّ هناك إن قابلتني
 وانس انصرافي عن خيولك يا أبي واغفر لأعرف ذكرياتي
 أنت الذي خبأت قلبك يا أبي عني، فأوتني حياتي
 في ما أرى من كائنات لا تُكوّن كائناتي..
 والآن تسحبنى أبوتك القصيدة من يدي ومن شتاتي
 بشباك ظلّك نحو أجرّ من الظلّ المعلق في القصيدة..
 لغزّ هو الميلاد.. يا أبتي سألتك: هل ولدت
 لمتوت؟ كم أرجأت عمرك.. كم تعبّت وكم وعدت
 بأن تعيش غداً، ولكن لم تعيش أبداً. فما نفّع القصيدة
 تُغلي سُقوف كهوفنا وتطير من دمنّا إلى لغة الحمام؟
 يا سيّد الحجر الذي أذمته كفك.. هل خرّجت من الرخام

لتعود يا أبتى إليه؟ ذُلَّني لِمَ جِئْتَ بي.. لم جِئْتَ بي
 أَلَيْكِي أَنَادِي حِينَ أَتَعَبُ: يا أبتى، يا صاحبي؟
 يا صاحبي! مَنْ مَاتَ مِتًّا قَبْلَ صَاحِبِهِ ..
 أَنَا؟
 أُمِّ صَاحِبِي؟

هدنة مع المغول
أمام غابة السنديان

كائنات من السنديان تُطيلُ الوقوفَ على التلّ.. قدَّ
يصعدُ العُشبُ من خبزنا نحوها إن تركنا المكانَ، وقدَّ
يهبطُ اللازوردُ السماويُّ منها إلى الظلِّ فوق الحصون.
مَنْ سيملاً فُخارنا بعدنا؟ مَنْ يُغيّرُ أعداءنا عندما يعرفون
أننا صاعدون إلى التلِّ كي نمدحَ الله..

في كائناتٍ من السنديان؟



كُلُّ شيءٍ يدلُّ على عبثِ الريح، لكننا لا نهْبُ هباءً
رُبّما كان هذا النهارُ أخفَّ علينا من الأمس، نحن الذين
قد أطالوا المكوثَ أمام السماء، ولم يعبدوا غير ما فقدوا
من عبادتهم. رُبّما كانت الأرضُ أوسعَ من وُصفها. ربما

كان هذا الطريقُ دخولاً مع الريح..

في غابة السنديان



الضحايا تَمُرُّ من الجانبين، تقول كلاماً أخيراً وتسقط في
عالمٍ واحدٍ. سوف ينتصرُ النسرُ والسنديانُ عليها، فلا بُدَّ مِنْ
هُذْنَةٍ للشقائق في السهل كي تُخَفِّيَ الميتين على الجانبين،
وكي

تَبَادَلَ بَعْضَ الشتائم قبل الوصول إلى التلّ. لا بُدَّ مِنْ
تَعَبٍ آدَمِيٍّ يُحَوِّلُ تلك الخيولَ إلى ..

كائناتٍ من السنديان



الصدى واحدٌ في البراري: صدى. والسماءُ على حجر غُرْبَةٍ
عَلَّقَتْهَا الطيورُ على لا نهايات هذا الفضاء، وطارَتْ ..
والصدى واحدٌ في الحروب الطويلة: أُمٌّ، أَبٌ، وَلَدٌ صَدَّقُوا
أَنَّ خَلْفَ البحيرات خيلاً تعود إليهم مُطَهَّمَةٌ بالرجاء الأخير
فَاعْدُوا لأحلامهم قهوة تمنع النوم ..

في شَبَح السنديان



كُلُّ حَرْبٍ تُعْلَمُنَا أَنَّ نَحْبَ الطَّبِيعَةِ أَكْثَرُ: بَعْدَ الْحَصَاةِ
 نَغْتَنِي بِالزَّنَابِقِ أَكْثَرُ، نَقْطِفُ قُطْرَ الْحَنَانِ مِنَ اللَّوْزِ فِي
 شَهْرِ آذَارِ. نَزْرِعُ غَارْدِينِيَا فِي الرِّخَامِ، وَنَسْقِي نَبَاتَاتِ جِيرَانِنَا
 عِنْدَمَا يَذْهَبُونَ إِلَى صَيْدِ غَزْلَانِنَا. فَمَتَى تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
 كِي نَفُكَّ خُصُورَ النِّسَاءِ عَلَى التَّلِّ..

من عُقْدَةِ الرَّمْزِ فِي السَّنْدِيَانِ؟



لَيْتَ أَعْدَاءُنَا يَأْخُذُونَ مَقَاعِدَنَا فِي الْأَسَاطِيرِ، كِي يَعْلَمُوا
 كَمْ نَحْبُ الرِّصِيفِ الَّذِي يَكْرَهُونَ.. وَيَا لَيْتَهُمْ يَأْخُذُونَ
 مَا لَنَا مِنْ نُحَاسٍ وَبَزَقٍ.. لِنَأْخُذَ مِنْهُمْ حَرِيرَ الضُّجُرْ
 لَيْتَ أَعْدَاءُنَا يَقْرَأُونَ رِسَائِلَنَا مَرَّتَيْنِ، ثَلَاثًا... لِيَعْتَذِرُوا
 لِلْفَرَاشَةِ عَنْ لَعْبَةِ النَّارِ..

فِي غَابَةِ السَّنْدِيَانِ



كَمْ أَرَدْنَا السَّلَامَ لِسَيِّدِنَا فِي الْأَعَالِي.. لِسَيِّدِنَا فِي الْكُثْبِ
 كَمْ أَرَدْنَا السَّلَامَ لِمَا زَلَّ الصُّوفُ.. لِلطِّفْلِ قَرَبَ الْمَغَارَةِ
 لِهُوَاةِ الْحَيَاةِ.. لِأَوْلَادِ أَعْدَائِنَا فِي مَخَابِثِهِمْ.. لِلْمَعُولِ

عندما يذهبون إلى ليل زوجاتهم، عندما يرحلون
عن براعم أزهارنا الآن.. عَنَّا،

وعن ورق السنديان



الحروب تُعلِّمنا أن نذوق الهواء وأن نمدح الماء. كم
ليلة سوف نفرح بالحمص الصلب والكستنا في جيوب معاطفنا؟
أم سننسى مهارتنا في امتصاص الرذاذ؟ ونسأل: هل
كان في وُشع مَنْ مات ألا يموت ليبدأ سيرته من هنا؟
رُبَّما.. رُبَّما نستطيع مديح النبذ ونرفع

نخباً لأرملة السنديان



كُلُّ قَلْبٍ هنا لا يردُّ على الناي يسقط في
شرك العنكبوت. تمهّل تمهّل لتسمع رَجْعَ الصدى
فوق خيل العدو، فإنَّ المغُول يُحبُّون خمرتنا
ويريدون أن يَزَنّدوا جلد زوجاتنا في الليالي، وأنَّ
يأخذوا شعراء القبيلة أسرى، وأنَّ

يقطعوا شَجَرَ السنديان



المُعُول يريدوننا أن نكون كما يتغنون لنا أن نكون
 حَفَنَةً من هبوب الغبار على الصين أو فارس، ويريدوننا
 أن نُحِبَّ أَغَانِيَهُمْ كُلَّهَا كي يَحُلَّ السلام الذي يطلبون..
 سوف نحفظ أمثالهم.. سوف نغفر أفعالهم عندما يذهبون
 مَعَ هذا المساء إلى ريح أجدادهم
 خلف أغنية السنديان



لَمْ يَجِئُوا لِيَنْتَصِرُوا، فَالْخِرَافَةُ لَيْسَتْ خِرَافَتُهُمْ. إِنَّهُمْ يَهْطُونَ
 مِنْ رَحِيلِ الْخِيُولِ إِلَى غَرْبِ آسِيَا الْمَرِيضِ، وَلَا يَعْرِفُونَ
 أَنَّ فِي وَسْعِنَا أَنْ نَقَاوِمَ غَازَانَ - أَرْغُونَ أَلْفَ سَنَةٍ
 يَبِيدُ أَنْ الْخِرَافَةُ لَيْسَتْ خِرَافَتَهُ. سَوْفَ يَدْخُلُ عَمَّا قَلِيلٍ
 دِينَ قِتْلَاهُ كِي يَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ كَلَامَ قُرَيْشٍ..

ومعجزة السنديان



الصَّدى واحدٌ في الليالي. على قَمَّةِ اللَّيْلِ نُخْصِي
 النُّجُومَ عَلَى صَدْرِ سَيِّدِنَا، عُمْرَ أَوْلَادِنَا - كَبُرُوا سَنَةً بَعْدَنَا -

غَنَمَ الأهل تحت الضباب، وأعداد قتلى المغول، وأعدادنا
والصدى واحد في الليالي: سترجع يوماً، فلا بُدَّ من
شاعرٍ فارسيٍّ لهذا الحنين..

إلى لغة السنديان



الحروبُ تعلّمنا أن نحبَّ التفاصيل: شكل مفاتيح أبوابنا،
أن نَمَشِّطَ حنطتنا بالرموش، ونمشي خفافاً على أرضنا،
أن نقَدِّسَ ساعاتٍ قبل الغروب على شجر الزُّنْزُلَتْ..
والحروبُ تَعَلِّمُنَا أن نرى صورة الله في كل شيء، وأن
نَحْمِلَ عبء الأساطير كي نُخْرِجَ الوحش..

من قصّة السنديان



كم سنضحك من سُوس نخبّر الحروب ومن دُودِ ماء الحروب،
إذا

ما انتصرنا نُغَلِّقُ أعلامنا السود فوق جبال الغسيل
ثم نَصْنَعُ منها جوارب.. أما النشيدُ، فلا بُدَّ من رَفْعِهِ
في جنازات أبطالنا الخالدين.. وأما السبايا، فلا

بُدُّ من عَثَقَهْنَ، ولا بُدُّ من مَطَرٍ

فوق ذاكرة السنديان



خَلَفَ هذا المساء نرى ما تَبَقَّى من الليل، عما قليلٍ
يشرب القَمَرُ الحُرَّ شايِ المَحَارِبِ تحت الشَجَرِ
قَمَرٌ واحدٌ للجميع على الخندقين لَهُم ولنا، هَلْ لَهُم
خَلَفَ تلك الجبال بيوتٌ من الطين، شايي، ونائي؟ وهل
عندَهُم حَبَقٌ مثلنا يُرجع الذاهبين من الموت...

في غابة السنديان؟



.. وأخيراً، صعدنا إلى التُّلِّ. ها نحن نرتفع الآن
فوق جذوع الحكاية.. ينبت عُشْبٌ جديد على دمننا وعلى
دَمِهِم.

سوف نحشو بنادقنا بالرياحين، سوف نُطَوِّقُ أعناقَ ذاك
الحمام بأوسمة العائدين.. ولكننا

لم نجد أحداً يقبل السَّلْم.. لا نحن نحن ولا غيرنا غيرنا
البَنَادِقُ مكسورة.. والحمام يطير بعيداً بعيداً

لم نجد أحداً ههنا ..
 لم نجد أحداً ..
 لم نجد غابة السنديان!

جملة موسيقية

شاعرٌ ما يكتبُ الآن قصيدة
 بدلاً مني،
 على صفصافة الريح البعيدة
 فلماذا تلبسُ الوردَةُ في الحائطِ
 أوراقاً جديدة؟



ولَدَّ ما طَئَّرَ الآن حمامة
 بدلاً منا،
 إلى أعلى، إلى سقف الغمامة
 فلماذا تذرِفُ الغابةُ هذا الثلجَ
 حول الابتسامه؟



طائرٌ ما يحملُ الآن رسالة
بدلاً منّا،

إلى الأزرقِ من أرض الغزالة
فلماذا يدخُلُ الصيَّادُ في المشهدِ
كي يرمي نباله؟



رجُلٌ ما يغسلُ الآن القمَرُ
بدلاً منّا،

ويمشي فوق بلُور النُّهرِ
فلماذا يَقَعُ اللونُ على الأرضِ
لماذا نتعرَّى كالشجر؟



عاشقٌ ما يجرف الآن العشيقة
بدلاً مِنِّي

إلى ماءِ الينابيع السحيقة
فلماذا يقفُ السُرُوءُ هنا
حارساً بابَ الحديقة؟



فارسٌ ما يُوقِفُ الآن حصانهُ
 بدلاً مِنِّي،
 ويغفُو تحت ظلِّ السنديانة
 فلماذا يخرج الموتى إلينا
 من جدارٍ وخزانة؟



مأساة النرجس ملهاة الفضة

عادوا ...

من آخر النفق الطويل إلى مراياهم.. وعادوا
 حين استعادوا ملح إخوتهم، فرادى أو جماعات، وعادوا
 من أساطير الدفاع عن القلاع إلى البسيط من الكلام
 لن يرفعوا، من بعد، أيديهم ولا راياتهم للمعجزات إذا أرادوا
 عادوا ليحتفلوا بقاء وجودهم؛ وثرّبوا هذا الهواء
 ويزوجوا أبناءهم لبناتهم، ويرقصوا جسداً توارى في الرخام
 ويُعلّقوا بشقوقهم بَصلاً، وباميةً، وثوماً للشتاء
 وليحلبوا أثداء ماعزهم، وغيماً سأل من ريش الحمام.
 عادوا على أطراف هاجسهم إلى جغرافيا السحر الإلهي
 وإلى بساط الموز في أرض التضاريس القديمة:
 جبل على بحر؛

وخلف الذكريات بحيرتان،

وساحلٌ للأنبياء -

وشارعٌ لروائح الليمون. لم تُصب البلاد بأيّ سوء.

هَبَّت رياح الخيل، والهكسوس، هبوا والتار مُقَنَّعِينَ

وسافرين. وخلّدوا أسماءهم بالرمح أو بالمنجنيق... وسافروا

لم يحرموا إبريل من عاداته: يلدُ الزهور من الصخور

ولزهرة الليمون أجراس؛ ولم يُصب الثراب بأيّ سوء -

أيّ سوء، أيّ سوء بعدهم. والأرض تُوَزَّت كاللغة.

هَبَّت رياح الخيل وانطفأت رياح الخيل، وانبتق الشعير من

الشعير.

عادوا لأنهم أرادوا واستعادوا النار في ناياتهم، فأتى البعيد

من البعيد، مُضَرَّجاً بشياهم وهشاشة البلور، وارتفع النشيد -

على المسافة والغياب. بأيّ أسلحة تُصدُّ الروح عن تخليقها؟

في كل منفي من منافهم بلاد لم يصبها أيّ سوء...

صنعوا خرافتهم كما شاءوا، وشادوا للحصى ألق الطيور.

وكُلّما

مَرُّوا بنهر... مَرَّقُوهُ، وأحرقوه من الحنين... وكُلّما

مَرُّوا بسوسنة بكوا وتساءلوا: هل نحن شعب أم نبيذ للقرايين

الجديدة؟

يا نشيدُ! خذ العناصر كُلَّها

واصعد بنا

سفحاً فسفحاً

واهبط الوديان -

هيا يا نشيدُ

فأنت أدري بالمكان

وأنت أدري بالزمان

وقوَّة الأشياء فينا..

لم يذهبوا أبداً ولم يصلوا؛ لأن قلوبهم حَبَّاتٌ لَوْزٍ في الشوارع. كانت الساحاتُ أوسعَ من سماء لا تُغَطِّيهم. وكان البحر ينسأهم. وكانوا يعرفون شمالهم وجنوبهم، ويطيرون حمائم الذكرى إلى أبراجها الأولى، ويصطادون من شهدائهم نجماً يُسَيِّرهم إلى وحش الطفولة. كلما قالوا: وصلنا... خرَّ أولُهم على قوس البداية. أيها البطلُ ابتعدْ عنا لنمشي فيك نحو نهاية أخرى. فتباً للبداية. أيها البطلُ المضرج بالبدايات الطويلة قلْ لنا: كم مرة ستكون رحلتنا البداية؟ أيها البطلُ المُسجى فوق أرغفة الشعير وفوق صوف اللوز، سوف نحنطُ الجرح الذي يمتصُّ روحك بالندى: بحليب ليل لا ينام؛ بزهرة الليمون بالحجر المُدْمَى؛ بالنشيد - نشيدنا؛ وبريشة مقلوعة من طائر الفينيق -

إِنَّ الْأَرْضَ تُورَثُ كَاللِّغَةِ!

.. ونشيدهم حَجَرٌ يَحْكُ الشَّمْسَ. كانوا طَيِّبِينَ وسَاخِرِينَ
لا يعرفون الرقص والمزمار إِلَّا فِي جَنَازَاتِ الرِّفَاقِ الرَّاحِلِينَ
كانوا يُحِبُّونَ النِّسَاءَ كَمَا يُحِبُّونَ الْفَوَاكِهَ وَالْمَبَادِئَ وَالْقَطَطَ
كانوا يَتَعُدُّونَ السِّنِينَ بِعَمْرِ مَوْتَاهُمْ. وكانوا يرحلون إِلَى
الهَواجِسِ:

ماذا صنعنا بالقرنفل كي نكون بَعِيدَهُ؟ ماذا صنعنا بالنوارس
لنكون سُكَّانَ المِرَافِئِ والملوْحَةِ فِي هَوَاءِ يَابِسٍ: مُسْتَقْبِلِينَ
مُؤَدَّعِينَ؟

.. كانوا، كما كانوا، سَلِيقَةً كُلِّ نَهْرٍ لَا يَفْتَشُ عَنْ ثَبَاتٍ
يجرون فِي الدُّنْيَا لَعَلَّ الدَّرْبَ يَأْخُذُهُمْ إِلَى دَرْبِ النِّجَاةِ مِنْ
الشَّتَاتِ

.. ولأنهم لَا يعرفون مِنَ الْحَيَاةِ سِوَى الْحَيَاةِ كَمَا تَقْدُمُهَا الْحَيَاةُ
لَمْ يَسْأَلُوا عَمَّا وَرَاءَ مُصِيرِهِمْ وَقُبُورِهِمْ. مَا شَأْنُهُمْ بَعْدَ الْقِيَامَةِ؟
مَا شَأْنُهُمْ إِنْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ أُمِّ إِسْحَاقَ شَاةً لِلْإِلَهِ؟
هَذَا الْجَحِيمُ هِيَ الْجَحِيمُ. تَعَوَّدُوا أَنْ يَزْرَعُوا النِّعْنَاعَ فِي
قِمَصَانِهِمْ

وتَعَلَّمُوا أَنْ يَزْرَعُوا اللَّبْلَابَ حَوْلَ خِيَامِهِمْ؛ وَتَعَوَّدُوا
حَفْظَ الْبِنْفَسِجِ فِي أَغَانِيهِمْ وَفِي أَحْوَاضِ مَوْتَاهُمْ...، وَلَمْ

يُصَبِّبُ النَّبَاتُ بِأَيِّ سَوْءٍ، أَيِّ سَوْءٍ، حِينَ جَسَدَهُ الْحَنِينُ
لَكُنْهُمْ عَادُوا قَبِيلَ غُرُوبِهِمْ؛ عَادُوا إِلَى أَسْمَائِهِمْ
وإِلَى وَضُوحِ الْوَقْتِ فِي سَفَرِ السَّنُونُو
.. أُمَّا الْمَنَافِي، فَهِيَ أَمَكْنَةُ وَأَزْمَنَةُ تُغَيِّرُ أَهْلَهَا
وهي الْمَسَاءُ إِذَا تَدَلَّى مِنْ نَوَافِذَ لَا تُطِلُّ عَلَى أَحَدٍ
وهي الْوَصُولُ إِلَى السَّوَاوِحِلِ فَوْقَ مَرْكَبَةٍ أَضَاعَتْ خَيْلَهَا
وهي الطَّيْبُورُ إِذَا تَمَادَتْ فِي مَدِيحِ غَنَائِهَا، وَهِيَ الْبَلَدُ
وَقَدْ انْتَمَى لِلْعَرْشِ.. وَاخْتَصَرَ الطَّبِيعَةَ فِي جَسَدِ
.. لَكُنْهُمْ عَادُوا مِنَ الْمَنَفَى، وَإِنْ تَرَكَوْا هُنَاكَ خَيْولَهُمْ
فَلَأَنَّهُمْ كَسَرُوا خِرَافَتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ لَكِي يَتَسَرَّبُوا مِنْهَا وَكِي
يَتَحَرَّرُوا
وَيَفْكُرُوا بِقُلُوبِهِمْ. عَادُوا مِنَ الْأَسْطُورَةِ الْكَبِيرَى لَكِي يَتَذَكَّرُوا
أَيَّامَهُمْ وَكَلَامَهُمْ. عَادُوا إِلَى الْمَأْلُوفِ فِيهِمْ وَهُوَ يَمْشِي
فَوْقَ الرِّصِيفِ وَيَمْضِغُ الْكَسَلَ اللَّذِيذَ وَوَقْتَهُ مِنْ غَيْرِ غَايَةٍ
وَيَرَى الزَّهْوَرَ كَمَا تَرَى النَّاسَ الزَّهْوَرَ.. بَلَا حِكَايَةٍ
مِنْ زَهْرَةِ الْيَمُونِ تُوَلِّدُ زَهْرَةَ الْيَمُونِ ثَانِيَةً وَتَفْتَحُ فِي الظَّلَامِ
نَوَافِذَ الدَّوْرِ الْقَدِيمَةِ لِلْمَدَى.. وَعَلَى سَلَامِ الْعَائِلَةِ
.. وَكَأَنَّهُمْ عَادُوا، لِأَنَّ الْوَقْتَ يَكْفِي كِي تَعُودَ الْقَافِلَةُ
مِنْ رَحْلَةِ الْهِنْدِ الْبَعِيدَةِ. أَصْلَحُوا عَرَبَاتَهُمْ وَتَقَدَّمُوا قَبْلَ الْكَلَامِ

وعلى نوافذ آسيا الوسطى أضاءوا نجمة الذكرى، وعادوا
وكأنهم عادوا. وعادوا من شمال الشام عادوا
وكأنهم عادوا من الجزر الصغيرة في المحيط الرحب، عادوا
من فتوحات بلا عَدَدٍ ومن سبي بلا عدد، وعادوا
وكأنهم عادوا كعودة ظلّ مئذنة إلى صوت المؤذن في المغيث
لم تسخر الطرقات منهم مثلما سخر الغريب من الغريب
النهر هاجسهم، تَلَعَّمْ أُم تَقَدَّمْ، غاضَ أُم فاض النهر
ولراية الصفصاف عَرَّافٌ يُعَلِّقُهَا عَلَى مَا سَالَ مِنْ ذَهَبِ الْقَمَرِ
.. ولهم حكايتُهُمْ. وآدَمُ - جَدُّ هَجَرْتَهُمْ بِكَي نَدَمًا.
وللصحراء هاجز
والأنبياء تشرّدوا في كل أرض، والحضارة هاجرت، والنخل
هاجز
لكنهم عادوا قوافل،
أَوْ رُؤَى،
أَوْ فِكْرَةً،
أَوْ ذَاكِرَةً

ورأوا من الصُّور القديمة فتنةً أو محنةً تكفي لوصف الآخرة
هل كانت الصحراء تكفي للضياع الآدمي؟ وَصَبَّ آدَمُ

في رَحِمِ زوجته، على مرأى من الثَّقَاح، شَهِدَ الشهوة الأولى.
وقاومَ

موتَهُ. يحيا ليعبد رَبَّهُ العالي، ويعبد رَبَّهُ العالي ليحيا

هل كان أَوَّلُ قاتِلٍ - قايِلُ - يعرف أن نومَ أخيه مَوْتُ؟

هل كان يعرف أنه لا يعرف الأسماء، بعدُ، ولا اللغة

هل كانت امرأةٌ يَغطِّيها قميصُ التوبِ أَوَّلَ خارطة؟

لا شمسَ تحت الشمس إلا نور هذا القلب يخرق الظلالَ

كم من زمانٍ مرَّ كي يجدوا الجوابَ عن السؤال. وما السؤالُ

إلا جوابٌ لا سؤالَ لَهُ. وكانت تلك أسئلةُ الرمالِ إلى الرمالِ

نُبوءةٌ في ما يُرى أو لا يُرى. جهلاً يقول نبوءة. والرملُ رملُ

ويغافل الصوفيُّ إمراةً ليغزل صوفَ عتمته بلحيته، ويعلو

جسداً من البلور. هل للروح أردافٌ وخاصرةٌ وظلٌّ؟

في الأسرِ مُتَّسعٍ لشمسِ الشكِّ مُذْ صاروا سكارى الباب -

لحرَّياتِهِمْ

هي ما تساقط من فضاء المُطلَقِ المكسور حول خيامهم:

خُوْدُ، صفيح، زُرْقَة، إبريق ماء، أسلحة

آثارُ إنسانٍ، غراب، ساعة رملية، عشبٌ يغطي مذبحة.

هل نستطيع بناء معبدنا على متر من الدنيا.. لنعبُدْ

خالقَ الحشرات والأسماء والأعداء والسرِ المُخَيَّبِ في ذبابة؟

هل نستطيع إعادة الماضي إلى أطراف حاضرننا، لنسجد
 فوق صخرتنا لمن كتب الزمان على الكتاب بلا كتابة؟
 هل نستطيع غناء أغنية على حجر سماوي لنصمد
 للأساطير التي لم نستطع تغييرها إلا بتأويل السحابة؟
 هل يستطيع بريدنا المائي أن يأتي على منقار هذمهذ
 ويعيد من سبيل رسالتنا، لنؤمن بالخرافة والغرابة؟
 .. في التيه متسع لأحصنة تشب من السفوح إلى الأعالي
 ومن السفوح تخر صوب القاع؛ متسع لفرسان يحثون الليالي
 إن الليالي كلها ليل. وإن الموت قتل في الليالي.
 ... يا نشيد! خذ العناصر كلها
 واصعد بنا دهرأ فدهراً
 كي نرى من سيرة الإنسان ما سيعيدنا
 من رحلة العبث الطويل إلى المكان - مكاننا،
 واصعد بنا قمم الحراب لكي نطل على المدينة -
 أنت أدري بالمكان، وقوة الأشياء فينا
 أنت أدري بالزمان..
 خذني إلى حَجَرٍ -
 لأجلس قرب جيتار البعيد

خذني إلى قَمَرٍ -

لأعرف ما تبقى من شرودي

خذني إلى وَتَرٍ -

يَشُدُّ البحرَ للبرِّ الشريد

خذني إلى سَفَرٍ -

قليل الموت في شريانٍ عودٍ

خذني إلى مَطِيرٍ -

على قرميد منزلنا الوحيد

خذني إلَيَّ لأنتمي لجنازتي في يوم عيدي

خذني إلى عيدي شهيداً في بنفسجة الشهيد

عادوا، ولكن لم أَعُدْ ...

خذني هناك إلى هناك من الوريد إلى الوريد.

.. عادوا إلى ما كان فيهم من منازل، واستعادوا

قَدَمَ الحرير على البحيرات المضيفة، واستعادوا

ما ضاع من قاموسهم: زيتونٌ رُومًا في مخيَّلة الجنود

توراة كنعان الدفينة تحت أنقاض الهياكل بين صُورَ وأورشليم

وطريق رائحة البخور إلى قُرَيْشٍ تهب من شام الوريد

وغزالة الأبد التي زُفَّت إلى النيل الشمالي الصعود
وإلى فحولة دجلة الوحشي وهو يزُفُّ سומר للخلود.

كانوا معاً

كانوا معاً يتحاربون، ويُغلبون

كانوا معاً

يتزوَّجون وينجبون سلالة الأضداد أو نسل الجنون

كانوا معاً

يتحالفون على الشمال، ويرفعون على الجحيم
جسر العبور من الجحيم إلى انتصار الروح فيهم كُلِّهم.
ويعاودون الحرب حول العقل. مَنْ لا عقل في إيمانه

لا روح فيه ..

هل نستطيع تناسخ الإبداع من جلعامش المحروم من
عُشبِ الخلود

ومن أثينا بعد ذلك؟ أين نحن الآن! للرومان أن يجدوا
وجودي

في الرخام، وأن يعيدوا نقطة الدنيا إلى روما، وأن يلدوا
مجدودي

من تفوق سيفهم.

لكنَّ فينا من أثينا

ما يجعل البحر القديم نشيدنا
 ونشيدنا حَجَرٌ يَحْكُ الشمسَ فينا
 حَجَرٌ يَشْعُ غَمُوضًا. أَقْصَى الْوُضُوحِ هُوَ الْغَمُوضُ،
 فكيف ندرك ما نسينا؟
 عاد المسيحُ إِلَى الْعِشَاءِ، كما نشاء، ومريمٌ عادتْ إِلَيْهِ
 على جديلتها الطويلة كي تُغَطِّيَ مسرحَ الرومان فينا.
 هل كان في الزيتون ما يكفي من المعنى.. لنملاً راحتيه
 سكينته، وجروحَهُ حَبَقًا، وندلق روحنا أَلَقًا عليه؟
 .. ويا نشيدُ، خذِ المعاني كُلَّهَا
 واصعدْ بنا جرحاً فجرحاً
 ضَمِّدِ النسيانَ
 واصعدْ ما استطعتْ بنا إِلَى الْإِنْسَانِ
 حَوْلَ خِيَامِهِ الْأُولَى
 يُلَمِّعُ قُبَّةَ الْأُفُقِ الْمُغَطَّى بِالنَّحَاسِ
 لكي يَرَى
 ما لا يَرَى
 من قلبه.
 واصعدْ بنا، واهبطْ بنا نحو المكان

فَأَنْتَ أَدْرَى بِالْمَكَانِ،

وَأَنْتَ أَدْرَى بِالزَّمَانِ

.. وفي الممرات استعدُّوا للحصار. نياقُهم عطشَتْ وقد حلبوا
السرابَ

حلبوا السرابَ ليشربوا لَبَنَ النبوءةِ من مخيَّلة الجنوب
في كل منفى قلعةً مكسورةً أبوابُها لحصارهم، ولكُلِّ باب
صحراءٍ تكملُ سيرةَ السفر الطويل من الحروب إلى الحروب
ولكل عَوْسَجَةٍ على الصحراءِ هاجِرٌ هاجِرَتْ نحو الجنوب
مروا على أسمائهم منقوشةً فوق المعادن والحصى
لم يعرفوها.. فالضحايا لا تصدِّق حَدْسَهَا..

لم يعرفوها..

مَمْحُوءَةٌ بالرمْلِ أحياناً، وأحياناً تغطيها نباتاتُ الغروب
تاريخُنا تاريخُهم، لولا اختلافُ الطير في الرايات وتحدتِ
الشعوبُ -

دروبَ فكرتها. نهايتُنا بدايتنا ...

وإنَّ الأَرْضَ

تُورَثُ

كاللغة ..

لو كان ذو القرنين ذا قرن، وكان الكونُ أكبرَ

لتشرقَ الشرقي في ألواحِهِ.. وتغربَ الغربي أكثرَ
لو كان قيصرُ فيلسوفاً كانت الأرضُ الصغيرةُ دارَ قيصر.
تاريخُنا تاريخُنا..

ولتخله البدويُّ أن تمتدَّ نحو الأطلسيِّ
على طريق دمشق كي نشفى من الظمأ المميتِ إلى غمامة.
تاريخُنا تاريخُهم
تاريخُهم تاريخُنا

لولا الخلافُ على مواعيدِ القيامة!
من وخذ الأرضَ العنيدةَ خارجَ السيفِ المُرصَّعِ بالحماسة؟
لا أأخذُ ...

من عاد من سفرٍ إلى حَبَقِ الطفولة؟
لا أأخذُ ...

من صاغَ سيرته بمنأى عن هُبوبِ نقيضها وعن البطولة؟
لا أأخذُ ..

لا بُدَّ من منفى يبيضُ لآلئِ الذكرى ويختزلُ الأبدَ
في لحظة تسعُ الزمانَ،

.. لعلَّهم كتبوا على أسمائهم أسماءهم،
وتذكروا في فضاء الزيتون أوَّلَ شاعرٍ سجى هناك سماءهم.

يا بحر إيجة، عُذِّ بنا يا بحر... قد نبحت كلابُ العائلات

لتبعدنا من حيث هَبَّت ريحنا.. فالتَّصُرَ مَوْتٌ

والموتُ نصرٌ في هِرْقَلٍ.. وخطوةُ الشهداء يَتُّ.

نحن الذين أتوا لكي يأتوا وينتصروا.. رمتنا الكاهناتُ

بشمال غربتنا ولم يَسْأَلَنَّ عن زوجاتنا. من ماتَ ماتَ،

ومن تذكَّر بيته قتلَ المزيد من العجائز والبناتُ

ألقي بأطفال المدينة من أسْرَتِهِم إلى الوادي السحيق

ليعود قبل الوقتِ من طروادة الشيطان؛

هل خُفْنَا نظامَ ضميرنا

لتخوننا زوجاتنا؟

كان الضميرُ الصَّلْبُ جسرَ عبورنا،

وسفينةٌ حملت إلهيَّ البخورَ وعطرَ هيلينَ الجميلة.

النصر موت كالهزيمة، والجريمة قد تقود إلى الفضيلة.

يا بحر! أنتَ تُزَيِّنُ القتلى بقاتلهم، أعذنا أيها البحر القديمُ

إلى نُباح كلابنا في أرضنا الأولى. وتابع أيها البحر القديمُ

مغامرات البحث عمَّا ضاعَ من أسطولنا... وزوارق الصيد

القديمة،

عن رجال أصبحوا شجراً من المرجان في القيعانِ،

أما نحن، فاحملنا لنرجعَ

من حروب الدود عن عرش السرير إلى فراش نسائنا
 وإلى قماش الحور أخضر في الرماد وفي رؤى شعرائنا.
 لا بد من برّ لرسو فوق خطوتنا وبثدق دارنا
 فالضوء - هذا الضوء، لا يكفي لنقطف فيه توت ديارنا.

... كانوا هناك يحاورون الموج كي يتشبّهوا بالعائدين من
 المعارك تحت قوس النصر. لم تذهب منافينا سدى أبداً، ولم
 نذهب إلى المنفى سدى. سيموت موتاهم بلا ندم على شيء.
 وللأحياء أن يرثوا هُدوءَ الريح، أن يتعلموا فتح النوافذ، أن
 يروا ما يصنع الماضي بحاضرهم، وأن يبكو على مهلٍ لئلا
 يسمع الأعداء ما فيهم من الخزف المكسّر. أيها الشهداء قد
 كنتم على حق، لأن البيت أجمل من طريق البيت، رغم
 خيانة الأزهار، لكنّ النوافذ لا تطلّ على سماء القلب..
 والمنفى هو المنفى هنا وهناك. لم نذهب إلى المنفى سدى
 أبداً، ولم تذهب منافينا سدى.

والأرض

تورث

كاللغة!

.. لم يُشبّهوا الأسرى، ولم يتقمّصوا حرية الشهداء. لم

يَنْخَلُّصُوا مِنْ صَيْفٍ وَحَشْتِهِمْ. لِمَاذَا أَشْلَعُوا الْجِبَلَ الْبَعِيدَ بِنَارٍ
وَحَشْتِهِمْ، وَغَابُوا حِينَ لَمْ يَجِدُوا لِمُنْحَدَرَاتِهِمْ طُرُقًا تُوزِّعُهُمْ
عَلَى الْوُدَيَانَ؟ قَدْ يَأْتِي الرِّعَاةُ الْأَوَّلُونَ إِلَى الصَّدَى. قَدْ يَعْتَرُونَ
عَلَى بَقَايَا صَوْتِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، وَعَلَى زَمَانٍ سِلَاحِهِمْ، وَعَلَى تَعْرِجِ
نَابِيهِمْ. مِنْ كُلِّ شَعْبٍ أَلْفُوا أُسْطُورَةً كَيْ يَشْبِهُوا أَبْطَالَهَا، فِي
كُلِّ حَرْبٍ مَاتَ مِنْهُمْ فَارِسٌ، لَكِنَّ لِلْأَنْهَارِ وَجْهَتَهَا. وَلَيْسَ
الْأَمْسُ أَمْسٌ لَيْسَكُنَا أَعْلَى قَلِيلًا مِنْ مَصَبِّ النِّهْرِ..

جِيتَارَاتُهُمْ فَرَسٌ وَأَنْدُلُسٌ عَلَى قَدَمَي
فَتَاةِ الرِّيحِ دُقِينَا عَلَى إِبْرِ
الصَّنُوبَرِ كَيْ نُحِبَّ حَيَاتَنَا دُقِي الْهَوَاءَ
بَصْنَدَلِ الْغَابَاتِ دُقِينَا تَرِقُّ الرُّوحُ
فِينَا نَتْرِكِ الْمِيَاءَ لِلْمِيَاءِ دُقِينَا
بِإِقْقَاعِ النَّبِذِ عَلَى سَوَادِ السَّرَّيْنِ الْأَبْيَضَيْنِ
وَحُلَّصِينَا الْآنَ مِنْ مُرْجَانٍ وَادِيكِ
الْكَبِيرِ وَعَلَّمِينَا مَهْنَةَ الْفَرْجِ الْمُسَلَّحِ
بِالْدَمِ الْغَجْرِيِّ دُقِينَا وَدُقِي مَا يُطْلُ
مِنَ الْقُلُوبِ بِكَعْبِكَ الْعَالِي لَتَلْتَفَتِ
الشُّعُوبُ إِلَى بَدَايَةِ حَرْبِهَا: رَجُلٌ

يفتش في البراري عن سكنته
ويسكن امرأة

.. وعلى أعالي الموج، موج البحر والصحراء كانوا يرفعون
جزيرة
لوجودهم.

إني وقد دافعتُ عن سَفري إلى قَدري أدافع عن نشيدي
بين النخيل وظلُّه المثقوب، من عذمي سأمشي من جديد
نحو الوجود - يقول شاعرهم وقد عادوا - سأترك للبعيد
ولزهرة الليمون جِسْرَ الأزرق المكسور بالأمطار. مُرُوا
يا منشدون، إذا استطعتم أن تُعيدوا
للخيول سهيلها؛ مُرُوا إذاً يا منشدون
الحيلُ تلهتُ خلف قلبي وهو يقفز من يديّ إلى السدود
ها نحن نحن، فمن يغيّرنا؟ نعود ولا نعود
ونسير فينا ...

عندما يأتي نهاژ واحد لا موت فيه
وليلة لا حلم فيها، نبلغ الميناء محترقين بالورد الأخير.
وكانهم عادوا،
لأن البحر يهبط عن أصابعهم وعن طرف السرير

كانوا يرون بيوتهم خلف السحابِ
ويسمعون ثغاء ماعزهم، وكانوا
يتحسسون قُرُون غزلانِ الحكاية..
يضرمون النارَ فوق التُّلِّ. كانوا
يتبادلون الهالَ. كانوا يعجنونَ فطائرَ العيد السعيدِ
أتذكرون؟

أيامَ غربتنا هناك؟ ويرقصون على الحقائقِ ساخرين
من سيرة المنفى البعيد ومن بلادٍ سوف يهجرها الحنينُ
هل تذكرون حصارَ قرطاجِ الأخير؟
هل تذكرون سقوطَ صوزِ
وممالكِ الإفرنجِ فوق الساحلِ السوريِّ، والموتَ الكبيرِ
في نهر دجلةَ عندما فاضَ الرمادُ على المدينةِ والعصور؟
«ها نحن عدنا يا صلاح الدين»..
فابحث عن يَينٍ.

كانوا يعيدون الحكاية من نهايتها إلى زمن الفكاهة
قد تدخل المأساة في الملهاة يوماً
قد تدخل الملهاة في المأساة يوماً...
في نَزجِ المأساة كانوا يسخرون

من فِضَّة الملهاة، كانوا يسألون ويسألون:
 ماذا سنحلم حين نعلم أن مريم امرأة؟
 كانوا يشتمون الحشائش وهي تفتح في الجدار ربيعها
 وجروحهم
 وتعيدهم من كل منفى. لَسَعَةُ الْقُرَاصِ تشبه لَسَعَةَ الْأَفْعَى
 ورائحة الْحَبَقِ
 هي قهوة المنفى.. ممشى للعواطف حين تمشي في منازلها...
 وصلنا!
 صَفَّقُوا لِكَلابِهِمْ، لبيوت عودتهم، لأجداد الحكاية، للمحارث
 القديمة،
 لاحتكاك البحر بالبصل المُعَلَّق فوق أسلحة قديمة.
 ما كان كان. ومازح الأزواج زوجات الجنازات:
 انتهينا من دموع النادبات، الراقصات، الباقيات
 نروي، إذا، رَكُضَ الْقُلُوبِ مع الخيول إلى هبوب الذكريات
 نروي صُؤودَ هِرْقُل في دمه الأخير وفي جنون الأمهات
 ونَكُونُهُ،
 ونكون أوليس النقيض إذا أراد البحر ذلك يا بنات
 نروي ونروي، حينما نروي، نداء القائد الكردي
 للمتردد العربي: هات

سيفاً

وَأُخِذَ مِنِّي الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وَنَسَائِهِ

وَأُخِذَ الزَّكَاةَ.

.. ضحكوا كثيراً: قد يكون السجن أجمل من بساتين المنافي

ورأوا نوافذهم تطلّ على فُكاهتهم وتُوقد وزدّها حول الضفافِ

ما كان كان، سيففزون على السلاالم؛

يفتحون خزائن الذكرى

وصندوق الثيابِ

يُلَمُّعُونَ مَقَابِضَ الْأَبْوَابِ أحياناً،

وأحياناً يَعْقِدُونَ الخواتمَ

كَبُرَتْ أَصَابُهُمْ مَعَ الْأَيَّامِ وانتفخت محاجرهم

ولم يجدوا على صَدَأِ المَرايا والزجاج وجوههم.

حسناً،

ستتسع الحديقةُ عندما يصلون بعد هنيهة قبل النشيدِ

وسينظرون وراءهم:

ها نحن نحن، فمن سِيرَجُنَا إِلَى الصَّحْرَاءِ؟

سوف تُلْقَنُ الْأَعْدَاءُ درساً في الزراعة وانبثاق الماء من

حجرٍ.. سنزرع فلفلاً في خوزة الجندي.. نزرعُ حنطة في

كل منحدرٍ لَأَنَّ القمحَ أكبر من حدود الإمبراطورية الحمقاءِ

في كل العصور. سنقتفي عادات موتانا ونغسل فضة الأشجار
من صدأ السنين...

بلادنا هي أن تكون بلادنا

وبلادنا هي أن نكون بلادها

هي أن نكون نباتها وطيرها وجمادها

وبلادنا ميلادنا

أجدادنا

أحفادنا

أكبادنا تمشي على القندول أو زغب القطا،

وبلادنا هي أن تُسجج بالبنفسج نارها ورمادها

هي أن تكون بلادنا

هي أن نكون بلادها

هي جنة

أو محنة

سيان -

سوف نُعلّم الأعداء تربية الحمام إذا استطعنا أن نُعلّمهم.
وسوف ننام بعد الظهر تحت عريشة العنب الظليلة، حولنا
قطط ننام على رذاذ الضوء. أحصنة تنام على انحناء شرودها.
بقر ينام ويمضغ الأعشاب. ديك لا ينام لأن في الدنيا

دجاجات. وسوف ننامُ بعد الظهرِ تحتَ عريشةِ العنبِ
الظليلة. كمَ تعبنا.. كمَ تعبنا من هواء البحر والصحراء -
.. كانوا يرجعونَ

ويحلمون بأنهم وصلوا
لأن البحر ينزل عن أصابعهم وعن أكفاف موتاهم
وكانوا يشهدون، فجأةً: ريحانة البطل المسجى فوق خطوته
الأخيرة:

أهنا يموت على مسدسه وسنديه وعُتْبَتِهِ الأخيرة؟

أهنا يموت هنا؟ هنا والآن في شمس الظهيرة

والآن، هَزَّتْ إصبعاه بشارة النصر الأخيرة

بؤابة البيت القديم، وهزَّ أسوار الجزيرة.

الآن سدَّدَ آخرَ الخطوات نحو الباب.. واختتم المسيرة

برجوع موتانا. ونامَ البحرُ تحت نوافذ الدور الصغيرة

.. يا بحرًا لم نخطئ كثيرًا.. أيها البحر القديم

لا تُعطِنا، يا بحر، أكثر من ميوانا.. نحن نَدري

أن الضحايا فيك أكثر. والمياه هي الغيوم

.. كانوا كما كانوا. وكانوا يرجعون ويسألون كآبة الأقدار:

هل لا بُدَّ من بطلٍ يموت لتكبر الرؤيا وتزداد النجوم

نجماً على راياتنا؟

لم يستطيعوا أن يضيفوا للنهاية وردة،
 ويغيروا مجرى الأساطير القديمة:
 فالنشيء هو النشيء:

لا بُدَّ من بطلٍ يخزُّ على سياجِ النصرِ
 في أوجِ النشيءِ

.. يا أيها البطل الذي فينا.. تَمَهَّلْ!
 عِشْ ليلةً أُخرى لنبلغ آخر العمل المُكَلَّلِ
 ببداية لم تكتمل؛
 عِشْ ليلةً أُخرى لنكملَ رحلةَ الحُلُمِ المُضَرَّجِ
 يا تاجَ شوكتنا؛ ويا شَفَقَ الأساطيرِ المُتَوَجِّجِ
 ببداية لا تنتهي. يا أيها البطل الذي فينا.. تَمَهَّلْ!
 عِشْ ساعةً أُخرى لنبداَ رقصةَ النصرِ المُنَزَّلِ
 لم تنتصروا، بعدُ، انتظروا يا أيها البطلُ انتظروا
 فعلامَ ترحلُ

قبل الوصولِ بساعةٍ؟

يا أيها البطلُ

الذي

فينا

تمهّل!

.. ما زالَ فيهم من منافيهم خريفُ الاعترافِ

ما زالَ فيهم شارِعُ يفضي إلى المنفى..

وأنهارُ تسير بلا ضفافِ

ما زالَ فيهم نرجش رخوٌ يخاف من الجفافِ

ما زالَ فيهم ما يغيّرهم إذا عادوا ولم يجدوا:

الشقائق ذاتها

وبَرَ السفرجلة العنيدة ذاتها

والأقحوانة ذاتها

والأكيدنيا ذاتها

وسنابل القمح الطويلة ذاتها

والبيلسانة ذاتها

وجدائل الثوم المجفّف ذاتها

والسندبانة ذاتها

والأبجدية ذاتها

.. كانوا على وشك الهبوط إلى هواء بيوتهم..

من أيّ حلم يحلمون؟

بأيّ شيء يدخلون حدائق الأبوابِ

والمنفى هو المنفى

.. وكانوا يعرفون طريقهم حتى نهايته وكانوا يحلمون

جاءوا من الغد نحو حاضريهم.. وكانوا يعرفون

ما سوف يحدث للأغاني في حناجرهم.. وكانوا يحلمون

بقرنفل المنفى الجديد على سياج البيت، كانوا يعرفون

ما سوف يحدث للصقور إذا استقرت في القصور، ويحلمون

بصراع نرجسهم مع الفردوس حين يصير منقاهم، وكانوا
يعرفون

ما سوف يحدث للسنونو حين يخرقه الريح، ويحلمون

بربيع هاجسهم يجيء ولا يجيء، ويعرفون

ما سوف يحدث حين يأتي الحلم من حلم

ويعرف أنه قد كان يحلم؛

يعرفون، ويحلمون، ويرجعون، ويحلمون، ويعرفون،

ويرجعون، ويرجعون، ويحلمون، ويحلمون، ويرجعون.

الهدد

لم نَقْتَرِبْ من أرض نجمتنا البعيدة بَعْدُ. تأخذنا القصيدة
 من خُرْمِ إِبْرَتِنَا لِنَغْزِلَ للفضاء عباءة الأفق الجديدة،
 أسرى، ولو قَفَزَتْ سنابلُنا عن الأسوار وانبثق السنونو
 من قَيْدِنَا المكسور، أسرى ما نحب وما نريد وما نكون...
 لكنَّ فينا هُذْهُدًا يُمْلِي على زيتونة المنفى بريده.
 عادت إلينا من رسائلنا رسائلنا، لنكتب من جديد
 ما تكتب الأمطار من زهر بدائي على صخر البعيد
 ويسافر السَّفَرُ - الصدى منّا إلينا. لم نكن حَبَقًا -
 لِنَرْجِعَ في الربيع إلى نوافذنا الصغيرة. لم نكن ورقًا -
 لتأخذنا الرياح إلى سواحلنا. هنا وهناك خط واضح
 للتيه. كم سنة سترفع للغموض العذب موتانا مرأيا؟
 كم مرّة سنحمل الجرحى جبال الملح كي نَجِدَ الوصايا؟

عادت إلينا من رسالتنا رسالتنا. هنا وهناك خط واضح
 للظل. كم بحرًا سنقطع داخل الصحراء؟ كم لوحًا سننسى؟
 كم نبياً سوف نقتل في ظهيرتنا؟ وكم شعباً سنشبه كي نكون .
 قبيلة؟ هذا الطريق - طريقنا قصَّب على الكلمات يرفو
 طرفَ العبادة بين وحشتنا وبين الأرض إذ تنأى، وتغفو
 في زعفران غروبنا. فلتنسِّط كَيْد لرفع وقتنا للآلهة..
 أنا هُدهُد - قال الدليل لسيد الأشياء - أبحث عن سماء نائية.
 لم يبق مَنَّا في البراري غير ما تجد البراري
 منا: بقايا الجلد فوق الشوك، أغنية المحارب للديار
 وفم الفضاء. أماننا آثارنا. ووراءنا صدَف العَبَث...
 أنا هُدهُد - قال الدليل لنا - وطار مع الأشعة والغبار
 من أين جئنا؟ يسأل الحكماء عن معنى الحكاية والرحيل
 وأماننا آثارنا، ووراءنا الصفصاف. من أسمائنا نأتي إلى
 أسمائنا ونخبئ النسيان عن أبنائنا. تثبِّ الوعول من الوعول -
 على المعابد. والطيور تبيض فوق فكاكة التمثال. لم نسأل لماذا
 لم يُولَد الإنسان من شَجَر ليرجع؟ أنبأنا الكاهنات
 أنَّ القلوب تُزَان بالميزان في مصر القديمة، أنبأنا الكاهنات
 أنَّ المسألة تُسْنَدُ الأفق المُهْدَد بالسقوط على الزمان. وأنا

سَنُعِيدُ رَحْلَتَنَا هُنَاكَ عَلَى الظَّلَامِ الْخَارِجِيِّ. وَأُنْبَأُتَا الْكَاهِنَاتُ
أَنَّ الْمُلُوكَ قَضَاتُنَا، وَشَهَوَدَنَا أَعْدَاؤُنَا. وَالرُّوحُ يَحْرُسُهَا الرِّعَاءُ
جَسْرٌ عَلَى نَهْرَيْنِ رَحْلَتُنَا. وَلَمْ نُولَدْ لَتَمَحُونَا وَتَمَحِيَ الْحَيَاةُ..

أَنَا هُذَهْدٌ - قَالَ الدَّلِيلُ - سَأَهْتَدِي لِلنَّبْعِ إِنْ جَفَّ النَّبَاتُ
قَلْنَا لَهُ: لَسْنَا طَيُورًا. قَالَ: لَنْ تَصْلُوا إِلَيْهِ، الْكُلُّ لَهْ

وَالْكُلُّ فِيهِ، وَهُوَ فِي الْكُلِّ، أَبْحَثُوا عَنْهُ لَكِي تَجِدُوهُ فِيهِ، فَهُوَ فِيهِ
قَلْنَا لَهُ: لَسْنَا طَيُورًا كِي نَطِيرَ. فَقَالَ: أَجْنَحْتِي زَمَانِي

وَالْعَشَقُ نَارُ الْعَشَقِ، فَاحْتَرِقُوا لِتَلْقُوا عَنْكُمْ جَسَدَ الْمَكَانِ
قَلْنَا لَهُ: هَلْ عُذْتُ مِنْ سَبِيلٍ لَتَأْخُذَنَا إِلَى سَبِيلٍ جَدِيدَةٍ؟

عَادَتْ إِلَيْنَا مِنْ رَسَائِلِنَا رَسَائِلُنَا وَلَمْ تَرْجِعْ.. وَلَمْ تَرْجِعْ
وَفِي الْيُونَانِ لَمْ تَفْهَمْ أَرِسْطُوفَانِ. لَمْ تَجِدِ الْمَدِينَةَ فِي الْمَدِينَةِ

لَمْ تَجِدِ يَثِثَ الْخَنَانِ لَكِي تُدَثِّرُنَا حَرِيرًا مِنْ سَكِينَةٍ
لَمْ تَدْرِكِ الْمَعْنَى فَمَسَّكَ هَاجِسُ الشُّعْرَاءِ: «طِيرِي

يَا بَنَتْ رِيثِي! يَا طَيُورَ السَّهْلِ وَالْوُدْيَانِ، طِيرِي

طِيرِي سَرِيعًا نَحْوَ أَجْنَحْتِي وَطِيرِي نَحْوَ صَوْتِي». إِنَّ فِينَا
شَبَقًا إِلَى الطَّيْرَانِ فِي أَشْوَاقِنَا. وَالنَّاسُ طَيْرٌ لَا تَطِيرُ...

يَا هُذَهْدَ الْكَلِمَاتِ حِينَ تَفْرُخُ الْمَعْنَى وَتَخْطِفُنَا مِنَ اللُّغَةِ الطَّيُورِ
يَا آبِنَ التَّوْتَرِ حِينَ تَنْفَصِلُ الْفَرَاشَةُ عَنْ عُنَاصِرِهَا وَيَسْكُنُهَا الشُّعُورُ

ذُوبْ هُنا صَلْصالْنا لِيشقُّ صُورَةَ هُذهِ الْأَشْيَاءِ نُورُ
 حَلْقُ لَتَضَحَّ الْمَسافَةُ بَيْنَ ما كُنَّا وما سَيَكُونُ حاضِرُنا الْأَخِيرُ
 نُنْأى، فَنَدْنُو مِنْ حَقِيقَتِنا وَمِنْ أَسْوارِ غَرِبتِنا. وَهاجِسْنا الْعَبُورُ
 نَحْنُ الثَّنائِيُّ السَّماءُ - الْأَرْضُ، وَالْأَرْضُ - السَّماءُ. وَحَوْلْنا
 سَوْرٌ وَسَوْرٌ

ماذا وِراءَ السَّوْرِ؟ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كِى يَتَفَتَّحَ السَّرُّ الْكَبِيرُ
 وَالسَّرُّ رَحَلْتِنا إِلى السَّرِيِّ. إِنَّ النَّاسَ طَيْرٌ لا تَطِيرُ
 أَنّا هُذْهَدْ - قالَ الدَّلِيلُ - وَتَحْتِنا طُوفانُ نُوحٍ. بابلُ.
 أَشْلاءُ يابِسةٍ. بُخارٌ مِنْ نَداءاتِ الشَّعوبِ عَلى الْمِياهِ. هِياكُلُ
 وَنِهايَةُ كِبْدايَةِ كِبْدايَةِ لِنِهايَةِ. حَلْقُ لِنِسى الْقاتِلُ
 قَتْلَهُ. حَلْقُ فَوْقْنا. حَلْقُ لِنِسى الْخالِقُ الْمَخْلُوقُ
 وَالْأَشْياءُ وَالْأَسْماءُ فِي أُسْطُورَةِ الْخَلْقِ الَّذِى نَتَبادَلُ
 - هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ؟ - كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ بُرْكاناً سَيَرْسُمُ صُورَةَ
 الْكَونِ الْجَدِيدَةِ. - لَمْ تَقُلْ شَيْعاً وَأَنْتَ بَرِيدُ هَذا الْأَرْضِ. -
 كُنْتُ أَحاوِلُ..

فِىهِ مِنَ الْأَشْباحِ ما يَكْفِى لِيبْحَثَ فِي الْمَقابِرِ عَنِ حَبِيبَةٍ
 .. كَانَتْ لَهْ أُمٌّ، وَكانَ لَهْ جَنْوبٌ يَسْتَقِرُّ عَلى هُجُوبَةٍ
 كَانَتْ لَهْ أُسْطُورَةُ الْحَدْسِ الْمُتَوَجِّعِ بِالْمِياهِ.. وَفِى دُرُوبَةٍ
 مَلِكٌ وإِمرَأَةٌ.. وَجِيشٌ يَحْرُسُ الصَّبْواتِ فِي الْجَسَدِينِ مِنْ أَحْلامِنا

ولنا من الصحراء ما يكفي لنعطيه زمام سرايبنا وغمامينا
ومن الهشاشة ما سيكفي كي نسلّمه منام مناينا
نُحَدِّثُ، لقد ههّ اللسان فكيف نمتدح الذي طلب المديح
ومديحُه فيه. وفيه الكلُّ للكلِّ. اعترفنا أننا بشرٌ، ودُّنَّا
في هذه الصحراء حُبّاً. أين نخلُتنا لنعرف في الثُّمُور قلوبنا؟
واللهُ أَجْمَلُ من طريق الله. لكن الذين يسافرون
لا يرجعون من الضياع لكي يضيعوا في الضياع. ويعرفون
أن الطريق هو الوصول إلى بدايات الطريق المستحيل
يا هُذَهْدَ الأسرار، جَاهِذْ كي نشاهد في الحبيب حبيبتنا
هي رحلةٌ أبدية للبحث عن صفة الذي ليست له
صِفَةٌ. هو الموصوفُ خارجَ وَصْفِنَا وَصِفَاتِهِ. حلَّق بنا
لم تَبْقَ مِنَّا غيرُ رحلتنا إليه. إليه نشكو ما نُكابد في الرحيل
دُمْنَا نبيذُ شعوبه فوق الرخام وفوق مائدة الأصيل
«لا أنتَ إلا أنتَ» فاحطِفْنَا إليك إذا أذِنْتَ، ودُّلْنَا
يوماً على الأرض السريعة قبل دَوْرَتِنَا مَعَ العَدَمِ العميق، ودُّلْنَا
يوماً على شَجَرٍ وُلِدْنَا تحته، سِرّاً، ليُخْفِي ظِلَّنَا
وعلى الطفولة دُلْنَا. وعلى يمام زافَ أوّل مرة ليُدِلَّنَا
يَفَعَ الصغارُ ولم يطيروا مثله. يا لَيْتَنَّا. ولعلَّنَا.

سنطير في يوم من الأيام.. إِنَّ النَّاسَ طَيْرٌ لَا تَطِيرُ
 وَالْأَرْضُ تَكْبُرُ حِينَ نَجْهَلُ، ثُمَّ تَصْغُرُ حِينَ نَعْرِفُ جَهْلَنَا
 لَكِنَّا أَحْفَاضُ هَذَا الطِّينِ، وَالشَّيْطَانُ مِنْ نَارٍ يَحَاوِلُ مِثْلَنَا
 أَنْ يُدْرِكَ الْأَسْرَارَ عَنْ كَثْبٍ لِيَحْرِقَنَا وَيَحْرِقَ عَقْلَنَا
 وَالْعَقْلَ لَيْسَ سِوَى دُخَانٍ، فَلْيَضَعْ! إِنَّ الْقُلُوبَ تَدُلُّنَا
 خُذْنَا إِذَا يَا هَذِهِ الْأَسْرَارَ نَحْوَ فَنَائِنَا يَفْنَائِهِ. حَلَّقْ بِنَا
 وَاهْبِطْ بِنَا، لِنُوَدِّعَ الْأُمَّ الَّتِي انتظرت دهوراً خيلنا
 لَنَمُوتَ غَبًّ النُّورِ أَوْ تَحِيَا لَنَيْسَابُورَ أَرْمَلَةٍ تُرَيْنَ لَيْلَنَا
 هِيَ «لَا تَرِيدُ مِنَ الْإِلَهِ - اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ».. خُذْنَا!
 وَالْحُبُّ أَنْ لَا يُدْرِكَ الْمَحْبُوبُ. أُرْسِلَ عَاشِقٌ لِفَتَاتِهِ
 فَرَسَ الْغِيَابِ عَلَى صَدَى النِّيَايَاتِ وَاخْتَصَرَ الطَّرِيقَ: «أَنَا هِيَ»
 وَهِيَ «الْأَنَا» تَنْسَلُّ مِنْ يَأْسٍ إِلَى أَمَلٍ يَعُودُ إِلَيَّ يَا سَا
 لَا تَنْتَهِي طُرُقِي إِلَى أَبْوَابِهَا.. طَارَتْ أَنَايَ «فَلَا أَنَا إِلَّا أَنَا»
 لَا تَنْتَهِي طُرُقِي إِلَى أَبْوَابِهَا، لَا تَنْتَهِي طُرُقُ الشُّعُوبِ -
 إِلَى الْبِنَايَعِ الْقَدِيمَةِ ذَاتِهَا. قُلْنَا: سَتَكْتَمِلُ الشَّرَائِعُ -
 عِنْدَمَا نَجْتَازُ هَذَا الْأَرْخَبِيلَ وَنَعْتَقُ الْأَسْرَى مِنَ الْأَلْوَاكِ -
 فَلْيَجْلِسْ عَلَى إِبْوَانِهِ هَذَا الْفَرَاغُ لِيَكْمَلَ الْبَشَرِيُّ فِينَا هَجْرَةً..
 عَمَّنْ تَفْتَشُّ هَذِهِ النِّيَايَاتُ فِي الْغَايَاتِ؟ وَالْغُرَبَاءُ نَحْنُ

ونحن أَهْلُ المعبد المهجور مهجورون فوق خيولنا البيضاء -
 ينبت فوقنا قَصَبٌ وتعبر فوقنا شُهْبٌ ونبحث عن محطتنا الأخيرة
 لم تبق أَرْضٌ لم نَعْمُرْ فوقها منفى لِحِمَتِنَا الصَّغِيرَةِ
 هل نحن جِلْدُ الأَرْضِ؟ عَمَّنْ تَبْحَثُ الكلماتُ فينا
 وهي التي عَقَدَتْ لَنَا فِي الْعَالَمِ السَّفَلِيِّ مُحْكَمَةَ البَصِيرَةِ
 وهي التي بَنَتْ المعابدَ كِي تُرَوِّضَ وحشَ عزلتها بمزمارٍ وصورةٍ
 وَأَمَامَنَا آثَارُنَا. ووراءَنَا آثَارُنَا. وهنا هناك. وَأَنْبَاتُنَا الكَاهِنَاتُ
 أَنَّ الْمَدِينَةَ تَعْبُدُ الْأَجْدَادَ فِي الصِّينِ الْقَدِيمَةِ. أَنْبَاتُنَا الكَاهِنَاتُ:
 الْجِلْدُ يَأْخُذُ عَرْشَهُ مَعَهُ إِلَى الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ، يَأْخُذُ -
 الْفَتَيَاتِ زَوَاجَاتٍ وَأَسْرَى الْحَرْبِ حُرَّاساً لَهُ. قَدْ أَنْبَاتُنَا الكَاهِنَاتُ
 أَنَّ الْأُلُوهَةَ تَوَأَّمُ الْإِنْسَانَ فِي الْهِنْدِ الْقَدِيمَةِ. أَنْبَاتُنَا الكَاهِنَاتُ
 مَا أَنْبَاتُنَا الْكَائِنَاتُ بِهِ.. «وَأَنْتَ تَكُونُ أَيْضاً مَنْ هُوَ»
 لَكِنَّا لَمْ نُغَلِّ تَيْنَتَنَا لِيَشْنَقْنَا عَلَيْهَا الْقَادِمُونَ مِنَ الْجَنُوبِ
 هل نحن جِلْدُ الأَرْضِ؟ كُنَّا إِذْ نَقْضُ الصَّخْرَ نَفْتَحُ -
 حَيِّراً لِلْقُلِّ. كُنَّا نَحْتَمِي بِاللَّهِ مِنْ حُرَّاسِهِ وَمِنْ الْحُرُوبِ
 كُنَّا نَصَدِّقُ مَا تَعَلَّمْنَا مِنَ الْكَلِمَاتِ. كَانَ الشَّعْرُ يَهْبِطُ -
 مِنْ فَوَاكِهِ لَيْلِنَا، وَيَقْوُدُ مَا عَزَّنَا إِلَى الْمَرْعَى عَلَى دَرَبِ الزَّيْتِ
 الْفَجْرُ أَزْرَقٌ، نَاعِمٌ، رَطْبٌ. وَكُنَّا حِينَ نَحْلُمُ نَكْتَفِي

بحدود منزلنا: نرى عَسَلًا على النخروب، نَجِيه. نرى
 في النوم أَنَّ مُرْبَعَاتِ السَّمْسِمِ أَكْتَزَتْ، فَتَخْلُهَا. نرى
 في النوم ما سَراه عند الفجر. كان الحُلُمُ منديلَ الحَيْثُ
 لكننا لم نُغَلِّ نَيْتَتَنَا لِيَشْنَقْنَا عَلَيْهَا الْقَادِمُونَ مِنَ الْجَنُوبِ
 أَنَا هُذْهَدْ - قال الدليل - وطَارَ مَنَّا. طَارَتِ الْكَلِمَاتُ -
 مِنَّا. قَبَلْنَا الطُوفَانَ. لَمْ نَخْلَعْ ثِيَابَ الْأَرْضِ عَنَّا -
 قَبَلْنَا الطُوفَانَ. لَمْ نَبْدَأْ حُرُوبَ النَّفْسِ بَعْدُ. وَقَبَلْنَا
 الطُوفَانَ. لَمْ نَحْصُدْ شَعِيرَ سَهْلِنَا الصَّفْرَاءِ بَعْدُ.
 وَقَبَلْنَا الطُوفَانَ. لَمْ نَضُقْ حِجَارَتَنَا بِقَرْنِ الْكَبِشِ بَعْدُ.
 وَقَبَلْنَا الطُوفَانَ. لَمْ نِيَأْسَ مِنَ التَّفَاحِ بَعْدُ. سَتَنْجِبُ
 الْأُمُّ الْحَزِينَةُ إِخْوَةَ مَنْ لَحَمْنَا لَا مِنْ جَذُوعِ الْكَسْتَاءِ وَلَا
 الْحَدِيدِ. سَتَنْجِبُ الْأُمُّ الْحَزِينَةُ إِخْوَةَ لِيَعْمُرُوا مَنْفَى
 النَشِيدِ. سَتَنْجِبُ الْأُمُّ الْحَزِينَةُ إِخْوَةَ كَيْ يَسْكُنُوا
 سَعْفَ النَخِيلِ إِذَا أَرَادُوا أَوْ سَطُوحَ خَيْلِنَا. وَسَتَنْجِبُ
 الْأُمُّ الْحَزِينَةُ إِخْوَةَ لِيَتَوَجَّعُوا هَايِلَهُمْ مُلْكًا عَلَى عَرْشِ التَّرَابِ
 لَكِنَّ رَحْلَتَنَا إِلَى النِّسْيَانِ طَالَتْ. وَالْحِجَابُ أَمَامَنَا غَطَى الْحِجَابِ
 وَلَعَلَّ مُتَنَصِّفَ الطَّرِيقِ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى طَرِيقِ مَنْ سَحَابُ
 وَلَعَلَّنَا، يَا هُذْهَدْ الْأَسْرَارَ، أَشْبَاحُ تَفْتَشُ عَنْ خَرَابِ

قال: اتركوا أجسادكم كي تتبعوني واتركوا الأرض - السراب
 كي تتبعوني. واتركوا أسماءكم. لا تسألوني عن جواب
 إن الجواب هو الطريق ولا طريق سوى التلاشي في الضباب
 هل مَسَّكَ «العَطَارُ» بالأشعار؟ قلنا. قال: خاطبتي وغاب
 في بطن وادي العشق. هل وقف «المعرِّي» عند وادي المعرفة؟
 قلنا. فقال: طريقه عَبَثٌ. سألنا: وابن سينا.. هل أجاب
 عن السؤال وهل رآكَ؟ - أنا أرى بالقلب لا بالفلسفة
 هل أنت صوفيٌّ إذًا؟ أنا هدهدٌ. أنا لا أريد. «أنا أريد
 أن لا أريد».. وغاب في أشواقه: عَذَّبْتَنَا
 يا حُبُّ. من سَفَرٍ إِلَى سَفَرٍ تُسَفِّرُنَا سدى. عَذَّبْتَنَا،
 غَرَبْتَنَا عن أهلنا، عن مائنا وهوائنا. خَرَبْتَنَا. أفرغت
 ساعات الغروب من الغروب. سلبتنا كلماتنا الأولى.
 نهبت شَجِيرَةَ الدَّرَّاقِ من أيامنا، وسلبتنا أيامنا. يا
 حُبُّ قد عَذَّبْتَنَا، ونهبتنا. غَرَبْتَنَا عن كُلِّ شيء، واحتجبت
 وراء أوراق الخريف. نهبتنا يا حب. لم تترك لنا شيئاً
 صغيراً كي نُفَتِّشَ عنكَ فيه وكي نقبل ظله، فترك
 لنا في الروح سنبلة تحبُّكَ أنت. لا تكسر زُجَاجَ
 الكون حول ندائنا. لا تضطرب. لا تصطخب. واهداً

قليلاً كي نرى فيك العناصر وهي ترفع عُرسها الكلبي
 نحرك. واقترُب منا لئندرك مرّة: هل نستحقُّ
 بأن نكون عبيدَ رَعَشَتِكَ الخفية؟ لا تبعر ما
 تبقى من حُطام سمائنا. يا حُبِّ قد عذبتنا، يا
 حُبِّ، يا هِبَةً تُبَدِّدُنا لترشد غيبتنا فيهب..
 هذا الغيب ليس لنا وليس لنا مَصَبُّ النهر،
 والدنيا تهبُّ أمامنا ورقاً من السُرور القديم ليُرشد
 الأشواقَ للأشواق. كم عذبتنا يا حُبِّ، كم غيبتنا
 عن ذاتنا، وسلبتنا أسماءنا يا حُبِّ..

قال الهدهدُ السكرانُ: طيروا كي تطيروا. نحن عُشاقٌ وحشِبُ
 قلنا: تَعَيَّنَّا من بياض العشق واشتقنا إلى أُمِّ ويابسةٍ وأبٍ
 هل نحن مَنْ كُنا وما سنكون؟ قال: توخّدوا في كل دربٍ
 وتبحّروا تصلّوا إلى مَنْ ليس تدركه الحواس. وكُلُّ قلبٍ
 كَوْنٌ من الأسرار. طيروا كي تطيروا. نحن عُشاقٌ وحشِبُ
 قلنا، وقد مِثنا مراراً وانتشيتنا: نحن عُشاقٌ وحشِبُ.
 منقَى هي الأشواقُ. منقَى حُبُّنا. ونبذنا منقَى. ومنقَى
 تاريخُ هذا القلب. كم قلنا لرائحة المكان: تحجّري لنام. كم
 قلنا لأشجار المكان تجرّدي من زينة الغزوات كي نجد المكان

واللامكان هو المكان وقد نأى في الروح عن تاريخه...
 منفى هي الروح التي تنأى بنا عن أرضنا نحو الحبيب
 منفى هي الأرض التي تنأى بنا عن روحنا نحو الغريب
 لم يَنْقَ سَيْفٌ لم يجد غِمداً له في لحمنا
 والإخوة - الأعداء منا أَسْرَجُوا خَيْلَ الْعَدُوِّ ليخرجوا من حُلْمِنَا
 منفى هو الماضي: قَطَعْنَا خَوْخَ بهجتنا من الصيف العقيم
 منفى هي الأفكار: شاهدنا غداً تحت النوافذ فاخترقنا
 أسوارَ حاضرنَا لنبلغه فأصبح ماضياً في دِرْعِ جُنْدِيٍّ قديمٍ
 والشعرُ منفى حين نَحْلُمُ ثم ننسى حين نصحو أين كنا
 هل نستحقُّ غزالة؟ خُذْنَا إِلَى غَدِنَا الذي لا ينتهي
 يا هُذْهَدَ الأسرارِ! علّقْ وقتنا فوق المدى. حلّقْ بنا
 إِنَّ الطَّيْبَةَ كُلُّهَا رُوحٌ، وَإِنَّ الْأَرْضَ تبدو من هنا
 ثدياً لتلك الرعشة الكبرى، وخيلُ الريح مركبةٌ لنا
 يا طيرٌ.. طيري كي تطيري فالطبيعةُ كُلُّهَا رُوحٌ. ودوري
 حول افتتاحك باليد الصفراء، شمسيك، كي تذوي واستديري
 بعد احتراقك نَحْوَ تلك الأرض، أرضك، كي تنيري
 نَفَقَ السؤال الصلب عن هذا الوجود وحائط الزَّمن الصغيرِ
 إِنَّ الطَّيْبَةَ كُلُّهَا رُوحٌ، وروحُ رقصةِ الجَسَدِ الأخيرِ

طيري إلى أعلى من الطيران.. أعلى من سمائك.. كي تطيري
 أعلى من الحب الكبير.. من القداسة.. والألوهة.. والشعور
 وتحزري من كل أجنحة السؤال عن البداية والمصير
 الكون أصغر من جناح فراشة في ساحة القلب الكبير
 في حبة القمح التقيت، وافترقنا في الرغيف وفي المسير
 من نحن في هذا النشيد لنشقف الصحراء بالمطر الغزير؟
 من نحن في هذا النشيد لنثقف الأحياء من أسر القبور؟
 طيري بأجنحة انخطافك، يا طيور، على عواصف من حرير
 لك أن تطيري مثل نشوتنا. يناديك الصدى الكوني: طيري
 لك ومضة الرؤيا: سنهبط فوق أنفسنا.. سترجع إن صحنونا
 سنزور وقتاً لم يكن يكفي مسرتنا ولا طقس الشور
 من نحن في هذا النشيد لنتقي بنقيضه باباً لسور
 ما نفع فكرتنا بلا بشر؟ ونحن الآن من نار ونور؟
 أنا هدهد - قال الدليل - ونحن قلنا: نحن سرت من طيور
 ضاقت بنا الكلمات أو ضقنا بها عطشاً وشردنا الصدى
 وإلى متى سنطير؟ قال الهدد السكران: غايثنا المدى
 قلنا: وماذا خلفه؟ قال المدى خلف المدى خلف المدى
 قلنا: تعبنا. قال: لن تجدوا صنوبراً لثرتأخوا. سدى

ما تطلبون من الهبوط، فحلّقوا لتحلّقوا. قلنا: غداً
 سنطيرُ ثانيةً.. فتلك الأرضُ نديّ ناضجٍ يمتصّه هذا الغمامُ
 ذهبتْ يحكُّ الرعشةُ الزرقاءَ حول بيوتنا. هل كان فيها -
 كلُّ ما فيها ولم نعرفْ؟ سنرجع حين نرجع كي نراها
 بغيونٍ هُذِّهْدُنَا وقد مَسَّت بصيرتنا. سلامٌ حولها ولها السلامُ
 ولها سريرُ الكون مفروشٌ بقطن الغنيم والرؤيا. تنامُ
 وتنامُ فوق ذراعها المائي سيدةٌ لصورتها وصورتنا. لها
 قَمَرٌ صغيرٌ مثل خادمها يمشط ظلّها. ويمرُّ بين قلوبنا
 خوفاً من المنفى ومن قَدَرِ الخرافة، ثم يُشعِلُ الظلامَ
 سَهراً لحال النفس قرب المعجزات. أمِنْ هنا وُلِدَ الكلامُ
 لبصير هذا الطينِ إنساناً؟ عرفناها لنسأها وننسى
 سَمَكَ الطفولة حول سُرَّتِها. أعنْ بُعْدَ نرى ما لا نرى
 كم كانتِ الأنهارُ نايابٍ ولم نَعْلَمْ. وكم سَجَنَ الرخامُ
 مِنّا ملائكةً ولم نعرفْ. وكم ضَلَّتْ هنا مصرٌ وشامُ
 للأرضِ أرضٌ كان هُذِّهْدُنَا سجيناً فوقها. في الأرضِ روحٌ -
 شَرَدَتْها الرياحُ خارجها. ولم يترك لنا نوحُ الرسائل كُلَّها
 ومشى المسيحُ إلى الجليل فصَفَّقَتْ فينا الجروحُ. هنا اليمامُ
 كلماتُ موتانا. هنا أطلالُ بابل شامةٌ في إبطِ سيرتنا. هنا

جَسَدٌ من التفاح يسبح في المجرة. والمياه له حِزَامٌ
يسري مع الأبد المجسد في مدائننا، ويرجع نحو ذاته
أَمَّا نَعَطِينَا بِفَرْوِ حنانها العاري، وتُخْفِي ما فَعَلْنَاهُ بِالرُّثَى
وبنار ورديتها، وتخفي حربَ سيرتنا، وما صَنَعَ الحسام
بخريطة الأعشاب حول شواطئ الزغب المقدس. أَمَّا هِيَ أَمَّا
أُمُّ الأثينيين والفُرس القدامى أُمُّ أَفلاطون زارادشت أَفلوطين أُمُّ
السهروردي

أُمُّ الجميع. وكُلُّ طفلٍ سيّد في أمه. ولها البداية والختام
وكأنها هِيَ ما هِيَ الميلاذُ إن شاءت، وإن شاءت هِيَ الموت
الحرام

أَطْعَمْتَنَا وَأَكَلْتَنَا يَا أَمَّا كَيْ تُطْعِمِي أَوْلَادَنَا يَا أَمَّا، فَمَتَى الْفِطَامُ؟
يَا عَنْكَوَتَ الْحُبِّ. إن الموتَ قَتَلَ. كم نَحْبُكُك كَمْ نَحْبُكُك
فارحينا

لا تقتلينا مرةً أخرى ولا تلدي الأفاعي قرب دجلة.. واتركينا
نسري على غزلان خضرك قرب خضرك، والهواء هو المقام
واستدرجينا مثلما يُسْتَدْرَجُ الْحَبَلُ الشَّقِيّ إِلَى الشِّبَاكِ، وعانقينا
هل كنتِ أَنْتِ قبيل هجرتنا ولم نعرف؟ يَغَيِّرُنَا الْهِيَامُ
فنصير مثل قصيدة فتحت نوافذها ليحملها ويكملها الحمام
معنى يُعيد النشغ للشجر الخفي على ضفاف الروح فينا..

طيري، إذًا، يا طَيْرُ في ساحات هذا القلب طيري
 ما نَفَعُ فِكْرَتَنَا بلا بَشَرٍ .. ونحن الآن من طين ونور؟
 - هل كنت تعرف أيّ تاج فوق رأسك؟ - قَبْرُ أُمِّي
 وأنا أَطِيرُ وَأَحْمِلُ الأسرار والأخبار أُمِّي فوق رأسي مهرجانُ..
 هُوَ هُذْهُدٌ، وهو الدليل وفيه ما فينا، يعلّقه الزمانُ
 جرساً على الوديانِ. لكنّ المكان يضيق في الرؤيا وينكسر
 الزمانُ

ماذا ترى.. ماذا ترى في صورة الظل البعيدة؟
 - ظِلُّ صورته علينا فلنحلّق كي نراه، فلا هو / إلّا هو..
 «يا قلب.. يا أُمِّي ويا أُختي» ويا امرأتي تدفّق كي تراه
 وله.. لهذْهُدِنَا غروشُ الماء تحت جفّافِهِ تَعْلُو ويعلو السنديانُ
 للماء لَوْنُ الحَقْل يرفّعه النسيمُ على ظهور الخيل فجراً
 للماء طَعْمُ هَدْيَةِ الإنشاد وهو يَهْبُ من بستان ذكرى
 للماء رائحةُ الحبيب على الرخام تزيّدا عَطَشاً وشكراً
 للماء شَكْلُ هُنَيْيَةِ الإشراف حين تَشُقُّنا نِصْفَيْنِ: إنساناً وطَيْراً
 وله.. لهذْهُدِنَا خيولُ الماء تحت جفّافه تعلو، ويعلو الصولجانُ
 وله.. لهذْهُدِنَا زمانٌ كان يحمله، وكان له لسانُ
 وله.. لهذْهُدِنَا بلاد كان يحملها رسائلُ للسموات البعيدة
 لم يَتَقَ دِينٌ لم يجربْهُ ليمتحن الخليفة بالرحيل إلى الإله

لم يَتَقَّ حُبٌّ لم يعذبه ليخترق الحبيب إلى سواه
 وهو المسافر دائماً. مَنْ أَنْتَ في هذا النشيد؟ أنا الدليل
 وهو المسافر دائماً. مَنْ أَنْتَ في هذا النشيد؟ أنا الرحيل
 «يا قلب.. يا أُمِّي ويا أُخْتِي» تدفَّق كي يراك المستحيل -
 وكى تراه وتأخذاني نحو مرآتي الأخيرة. قال هُدهُداً وطاز
 هل نحن ما كنا؟ على آثارنا شَجَرٌ وفي أسفارنا قَمَرٌ جميل
 ولنا حياة في حياة الآخرين هناك. لكننا أَتَيْنَا -
 مُكْرَهِينَ إلى سمرقندَ اليتيمة. ليس في أجدادنا مَلِكٌ نُعيِّده
 تركتُ لنا الأيامِ إِرْثَ الناي في الأيام.. أَقْرَبُهُ بَعِيدُهُ
 ولنا من الأمطار ما لَشَجِيرَةِ اللباب. نحن الآن ما كنا وعُدْنَا
 مُكْرَهِينَ إلى الأساطير التي لم تَتَّسِعْ لَوْضُولِنَا، لم نستطع
 أَنْ نَحْلِبَ الْأَغْنَامَ قرب بيوتنا، وَتُرْتَّبَ الْأَيَّامُ حول نشيدنا
 ولنا هناك معابدٌ، ولنا هنا رَبٌّ يمجده شهيدُهُ
 ولنا من الأزهار «مِسْكُ الليل» يُوصِدُهُ نَهَارٌ لا يريدهُ
 ولنا حياة في حياة الآخرين. لنا هنا قَمْعٌ وزيتٌ -
 نحن لم نقطع من الصفصاف خِيَمَتَنَا. ولم نصنع مِن -
 الكبريت آلهةً ليعبدها الجنود القادمون. لقد وجدنا -
 كُلَّ شَيْءٍ جاهزاً: أَسْمَاءُنا مكسورة في جَرَّةٍ -

الفُخَّار.. دَمَعَ نَسائنا بُقْعاً من التوت القديم على
 الثياب.. بنادق الصيد القديمة.. واحتفالاً سابقاً لا نستعيده
 القَفَر مكتظ بآثار الغياب الآدمي.. كَأَنَّنا كُنَّا هنا
 وهنا من الأدوات ما يكفي لتنصب خيمة فوق الرياح
 لا وَشَمَ للطفوفان فوق تَجَعَّدِ الجَبَل الذي اخضرت حدوده
 لكنَّ فينا أَلْفَ شعبٍ مرَّ ما بين الأغاني والرماح
 جئنا لنعلَمَ أَننا جئنا لنرجع من غياب لا نريده
 ولنا حياة لم نُجَرِّبْها، وملح لم يخلدنا خلوده
 ولنا خطي لم يَخْطُها مِن قبلنا أَحَدٌ.. فطيري
 طيري، إِذَا، يا طيرُ في ساحات هذا القلب طيري
 وتجمعي من حول هُذُودِنَا، وطيري.. كي.. تطيري!

أحد عشر
كوكباً
(١٩٩٢)

أحد عشر كوكباً على آخر المشهد الأندلسي

I

في المساء الأخير على هذه الأرض

في المساء الأخير على هذه الأرض نَقَطْعُ أَيَّامَنَا
عَنْ شَجِيرَاتِنَا، وَنَعُدُّ الضُّلُوعَ الَّتِي سَوْفَ نَحْمِلُهَا مَعَنَا
وَالضُّلُوعَ الَّتِي سَوْفَ نَتْرُكُهَا، هَهُنَا... فِي الْمَسَاءِ الْآخِرِ
لَا نُودِّعُ شَيْئاً، وَلَا نَجِدُ الْوَقْتَ كَيْ نَنْتَهِيَ...
كُلُّ شَيْءٍ يَظَلُّ عَلَى حَالِهِ، فَالْمَكَانُ يُبَدِّلُ أَحْلَامَنَا
وَيُبَدِّلُ رُؤَايَاهُ. فَجَاءَ لَمْ نَعُدْ قَادِرِينَ عَلَى الشَّخْرِيةِ
فَالْمَكَانُ مُعَدٌّ لِكَيْ يَسْتَضِيفَ الْهَبَاءَ... هُنَا فِي الْمَسَاءِ الْآخِرِ
نَمَلَى الْجِبَالَ الْمُحِيطَةَ بِالْعَيْنِمْ: فَتَحَّ.. وَفَتَحَ مُضَادَّ

وَزَمَانٌ قَدِيمٌ يُسَلِّمُ هَذَا الزَّمَانَ الْجَدِيدَ مَفَاتِيحَ أَنْوَابِنَا
فَاقْدَحُلُوا، أَيُّهَا الْفَاتِحُونَ، مَنَازِلَنَا وَأَشْرَبُوا خَعْرَنَا
مِنْ مُوشِحِنَا الشَّهْلِ. فَالْلَّيْلُ نَحْنُ إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، لَا
فَجَرَ يَحْمِلُهُ فَارِسٌ قَادِمٌ مِنْ نَوَاحِي الْأَذَانِ الْأَخِيرِ..
شَايِنَا أَخْضَرَ سَاخِرٌ فَاشْرَبُوهُ، وَفُشْتُقُنَا طَازِجٌ فَكُلُوهُ
وَالْأَسِيرَةُ خَضْرَاءُ مِنْ خَشَبِ الْأَرْزِ، فَاسْتَسْلِمُوا لِلنُّعَاسِ
بَعْدَ هَذَا الْحِصَارِ الطَّوِيلِ، وَنَامُوا عَلَى رِيشِ أَخْلَامِنَا
الْمُلَاءِثِ جَاهِزَةً، وَالْعُطُورُ عَلَى الْبَابِ جَاهِزَةً، وَالْمَرَايَا كَثِيرَةً
فَاقْدَحُلُوهَا لِتَخْرُجَ مِنْهَا تَمَامًا، وَعَمَّا قَلِيلٍ سَنَبَحْتُ عَمَّا
كَانَ تَارِيخُنَا حَوْلَ تَارِيخِكُمْ فِي الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ
وَسَنَسْأَلُ أَنْفُسَنَا فِي النَّهَايَةِ: هَلْ كَانَتْ الْأَنْدُلُسُ
هَهُنَا أَمْ هُنَاكَ؟ عَلَى الْأَرْضِ... أَمْ فِي الْقَصِيدَةِ؟

II

كَيْفَ أَكْتُبُ
فَوْقَ السَّحَابِ؟

كَيْفَ أَكْتُبُ فَوْقَ السَّحَابِ وَصِيَّةَ أَهْلِي؟ وَأَهْلِي
يَتْرُكُونَ الزَّمَانَ كَمَا يَتْرُكُونَ مَعَاظِفَهُمْ فِي الْبُيُوتِ، وَأَهْلِي
كُلَّمَا شَهِدُوا قَلْعَةً هَدَمُوهَا لِكَيْ يَرْفَعُوا فَوْقَهَا
خَيْمَةً لِلْحَنِينِ إِلَى أَوَّلِ النَّخْلِ. أَهْلِي يَخُونُونَ أَهْلِي
فِي حُرُوبِ الدَّفَاعِ عَنِ الْمِلْحِ. لَكِنَّ غَرْنَاطَةً مِنْ ذَهَبٍ
مِنْ حَرِيرِ الْكَلَامِ الْمُطَرَّزِ بِاللُّوزِ، مِنْ فِضَّةِ الدَّمْعِ فِي
وَتَرِ الْعُودِ. غَرْنَاطَةٌ لِلصُّعُودِ الْكَبِيرِ إِلَى ذَاتِهَا...
وَلَهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا تَبْتَغِي أَنْ تَكُونَ: الْحَنِينِ إِلَى
أَيِّ شَيْءٍ مَضَى أَوْ سَيَمْضِي: يَحُكُّ جَنَاحَ سُنُونُوءٍ

نَهْدَ أَمْرَاءَ فِي الشَّرِيرِ، فَتَضَرُّحُ: غَزَاظَةُ جَسَدِي
 وَيُضَيِّعُ شَخْصَ غَزَالَتِهِ فِي الْبَرَارِي، فَيَضَرُّحُ: غَزَاظَةُ بَلَدِي
 وَأَنَا مِنْ هُنَاكَ، فَغَنِّي لِتَبْنِي الْحَسَّاسِينَ مِنْ أَضْلَعِي
 دَرَجًا لِلسَّمَاءِ الْقَرِيبَةِ. غَنِّي فُرُوسِيَّةَ الصَّاعِدِينَ إِلَى حَتَفِهِمْ
 قَمَرًا قَمَرًا فِي زُقَاقِ الْعَشِيقَةِ. غَنِّي طُيُورَ الْحَدِيقَةِ
 حَجَرًا حَجَرًا. كَمْ أَجْبُكَ أَنْتِ الَّتِي قَطَّعْتَنِي
 وَتَرَأَ وَتَرَأَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى لَيْلِهَا الْحَارِّ، غَنِّي
 لَا صَبَاحَ لِرَائِحَةِ الْبُنِّ بَعْدَكَ، غَنِّي رَحِيلِي
 عَنْ هَدِيلِ الْيَمَامِ عَلَى رُكْبَتَيْكَ وَعَنْ عُشِّ رُوحِي
 فِي حُرُوفِ أَسْمِكَ السَّهْلِ، غَزَاظَةُ لِلْغِنَاءِ فَغَنِّي!

III

لِي خَلْفَ السَّمَاءِ
سَمَاء...

لِي خَلْفَ السَّمَاءِ سَمَاءٍ لِأَزْجَعٍ، لِكَيْتَنِي
لَا أَزَالُ أُلْمَعُ مَعْدَنَ هَذَا الْمَكَانِ، وَأُخَيَا
سَاعَةً تُبْصِرُ الْغَيْبَ. أَعْرِفُ أَنَّ الزَّمَانَ
لَا يُحَالِفُنِي مَرَّتَيْنِ، وَأَعْرِفُ أَنِّي سَأُخْرَجُ مِنْ
رَأْيِي طَائِرًا لَا يَحُطُّ عَلَى شَجَرٍ فِي الْحَدِيقَةِ
سَوْفَ أَخْرَجُ مِنْ كُلِّ جِلْدِي، وَمِنْ لُغْتِي
سَوْفَ يَنْهَيْطُ بَقْضُ الْكَلَامِ عَنِ الْحُبِّ فِي
شَجَرِ لوركا الَّذِي سَوْفَ يَسْكُنُ عُزْفَةً نَوْمِي .

وَيَرَى مَا رَأَيْتُ مِنَ الْقَمَرِ الْبَدَوِيِّ. سَأَخْرُجُ مِنْ شَجَرِ اللُّوزِ
قُطْنًا عَلَى زَبَدِ الْبَحْرِ. مَرَّ الْغَرِيبِ

حَامِلًا سَبْعِمِائَةَ عَامٍ مِنَ الْخَيْلِ. مَرَّ الْغَرِيبِ

ههنا، كَيْ يَمُرَّ الْغَرِيبُ هُنَاكَ. سَأَخْرُجُ بَعْدَ قَلِيلٍ

مِنْ تَجَاعِيدِ وَقْتِي غَرِيبًا عَنِ السَّمَاءِ وَالْأَنْدَلُسِ

هَذِهِ الْأَرْضُ لَيْسَتْ سَمَائِي، وَلَكِنَّ هَذَا الْمَسَاءَ مَسَائِي

وَالْمَفَاتِيحُ لِي، وَالْمَآذِنُ لِي، وَالْمَصَابِيحُ لِي، وَأَنَا

لِي أَيْضًا. أَنَا آدَمُ الْجَنَّتَيْنِ، فَقَدْ تُهِمَا مَرَّتَيْنِ.

فَاطْرُدُونِي عَلَى مَهْلٍ،

وَأَقْتُلُونِي عَلَى عَجَلٍ،

تَحْتَ زَيْتُونَتِي،

مَعَ لُورْكَا..

IV

أنا واحدٌ

من ملوكِ النهاية

... وأنا واحدٌ من ملوكِ النهاية... أَقْفِرُ عَنْ
 فَرَسِي فِي الشَّتَاءِ الْآخِرِ، أَنَا زَفَرَةُ الْعَرَبِيِّ الْآخِرَةِ
 لَا أُطِلُّ عَلَى آلَاسٍ فَوْقَ سُطُوحِ الْبُيُوتِ، وَلَا
 أَتَطْلُعُ حَوْلِي لِغَلَا يَرَانِي هُنَا أَحَدٌ كَانَ يَعْرِفُنِي
 كَانَ يَعْرِفُ أَنِّي صَقَلْتُ رُخَامَ الْكَلَامِ لِتَغْيِيرِ أَمْرَاتِي
 بَقَعَ الضُّوءُ حَافِيَةً، لَا أُطِلُّ عَلَى اللَّيْلِ كَنِي
 لَا أَرَى قَمَرًا كَانَ يُشْعِلُ أَسْرَارَ غَرْنَاطَةِ كُلِّهَا
 جَسَدًا جَسَدًا. لَا أُطِلُّ عَلَى الظِّلِّ كَنِي لَا أَرَى
 أَحَدًا يَخْمِلُ أَسْمِي وَيَزْكُضُ خَلْفِي: خُذِ أَسْمَكَ عَنِّي

وَأَعْطِنِي فَضَّةَ الْحَوْرِ. لَا أَتْلَفْتُ خَلْفِي لِغَلَا
 أَتَذَكَّرُ أَنِّي مَرَزْتُ عَلَى الْأَرْضِ، لَا أَرْضَ فِي
 هَذِهِ الْأَرْضِ مُنْذُ تَكَثَّرَ حَوْلِي الزَّمَانُ شَطَايَا شَطَايَا
 لَمْ أَكُنْ عَاشِقًا كَيْ أَصْدُقَ أَنَّ الْحَيَاةَ مَرَايَا،
 مِثْلَمَا قُلْتُ لِلْأَصْدِقَاءِ الْقُدَامَى، وَلَا حُبَّ يَشْفَعُ لِي
 مُذْ قَبِلْتُ «مُعَاهِدَةَ النِّيه» لَمْ يَتَّقَ لِي حَاضِرٌ
 كَيْ أَمُرَّ غَدًا قُرْبَ أَمْسِي. سَتَرْفَعُ قَشْتَالَةُ
 تَاجِهَا فَوْقَ مِثْدَنَةِ اللَّهِ. أَسْمَعُ خَشْخَشَةَ لِلْمِفَاتِيحِ فِي
 بَابِ تَارِيخِنَا الذَّهَبِيِّ، وَدَاعَا لِتَارِيخِنَا، هَلْ أَنَا
 مَنْ سَيُغْلِقُ بَابَ السَّمَاءِ الْآخِرِ؟ أَنَا زَفَرَةُ الْعَرَبِيِّ الْآخِيرَةِ

V

ذات يوم، سأجلس
فوق الرصيف

ذات يوم سأجلس فوق الرصيف... رصيف الغريفة
لَمْ أَكُنْ نَزِجاً بِيَدِ أَنِّي أَدَافِعُ عَنْ صُورَتِي
فِي الْحَرَايَا. أَمَا كُنْتُ يَوْمًا، هُنَا، يَا غَرِيبُ؟
خَمْسُمِائَةِ عَامٍ مَضَتْ وَأَنْقَضَتْ، وَالْقَطِيعَةُ لَمْ تَكْتَمِلْ
يَتَنَّا، هَهُنَا، وَالرَّسَائِلُ لَمْ تَنْقَطِعْ يَتَنَّا، وَالْحُرُوبُ
لَمْ تُغَيِّرْ حَدَائِقَ غَرْنَاطَتِي. ذَاتَ يَوْمٍ أَمُرُّ بِأَقْمَارِهَا
وَأُحْكُ بِلَيْمُونَةٍ رَغْبَتِي... عَانِقِيْنِي لِأَوَّلَدِ ثَانِيَةٍ
مِنْ رَوَائِحِ شَمْسٍ وَنَهْرٍ عَلَى كَتِفَيْكَ، وَمِنْ قَدَمَيْنِ
تَحْمُشَانِ الْمَسَاءِ فَيُشْكِي خَلِيًّا لِلَّيْلِ الْقَصِيدَةَ...

لَمْ أَكُنْ عَابِراً فِي كَلَامِ الْمُغْتَنِينَ... كُنْتُ كَلَامَ
الْمُغْتَنِينَ، صَلَحَ أَثِينَا وَفَارِسَ، شَرْقاً يُعَانِقُ غَرْباً
فِي الرَّحِيلِ إِلَى جَوْهَرٍ وَاحِدٍ. عَانِقِيْنِي لِأَوَّلَدِ ثَانِيَةٍ
مِنْ سُيُوفِ دِمَشْقِيَّةٍ فِي الدَّكَاكِينِ. لَمْ يَبْقَ مِنِّي
غَيْرُ دِرْعِي الْقَدِيمَةِ، سَرَجِ حِصَانِي الْمُدْهَبِ. لَمْ يَبْقَ مِنِّي
غَيْرُ مَخْطُوطَةِ لِابْنِ رُشْدٍ، وَطُوقِ الْحَمَامَةِ، وَالتَّرْجُمَاتِ...
كُنْتُ أَجْلِسُ فَوْقَ الرَّصِيفِ عَلَى سَاحَةِ الْأَفْخَوَانَةِ
وَأَعُدُّ الْحَمَامَاتِ: وَاحِدَةً، اثْنَتَيْنِ، ثَلَاثِينَ... وَالْفَتَيَاتِ اللَّوَاتِي
يَنْخَاطِفْنَ ظِلَّ الشُّجَيْرَاتِ فَوْقَ الرُّخَامِ، وَيَبْزُكْنَ لِي
وَرَقَ الْعُغْرِ، أَضْفَر. مَرَّ الْخَرِيفُ عَلَيَّ وَلَمْ أَتَّبِعْهُ
مَرَّ كُلِّ الْخَرِيفِ، وَتَارِيخُنَا مَرَّ فَوْقَ الرَّصِيفِ...
وَلَمْ أَتَّبِعْهُ!

VI

لِلْحَقِيقَةِ وَجْهَانِ
وَالثَّلْجِ أَسْوَدُ

لِلْحَقِيقَةِ وَجْهَانِ، وَالثَّلْجِ أَسْوَدُ فَوْقَ مَدِينَتِنَا
لَمْ نَعُدْ قَادِرِينَ عَلَى الْيَأْسِ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ،
وَالنَّهَائِيَّةُ تَعْمَشِي إِلَى السُّورِ وَائِقَةً مِنْ خُطَاهَا
فَوْقَ هَذَا الْبَلَاطِ الْمُبَلَّلِ بِالدَّمْعِ، وَائِقَةً مِنْ خُطَاهَا
مَنْ سَيُنْزِلُ أَعْلَامَنَا: نَحْنُ، أَمْ هُمْ؟ وَمَنْ
سَوْفَ يَتْلُو عَلَيْنَا «مُعَاهَدَةَ الْيَأْسِ»، يَا مَلِكَ الْاِخْتِصَارِ؟
كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ لَنَا سَلَفًا، مَنْ سَيَنْزِعُ أَشْمَاءَنَا
عَنْ هُورِيَّتِنَا: أَنْتَ أَمْ هُمْ؟ وَمَنْ سَوْفَ يَزْرَعُ فِيْنَا
خُطْبَةَ الْتَّيْهِ: «لَمْ نَسْتَطِيعْ أَنْ نَفُكَّ الْحِصَارَ

فَلْنُسَلِّمْ مَفَاتِيحَ فِرْدَوْسِنَا لِرَسُولِ السَّلَامِ، وَنَنْجُو...
 لِلْحَقِيقَةِ وَجْهَانِ، كَانَ الشَّعَارُ الْمُقَدَّسُ سَيْفًا لَنَا
 وَعَلَيْنَا، فَمَاذَا فَعَلْتَ بَقَلْعَتِنَا قَبْلَ هَذَا النَّهَارِ؟
 لَمْ تُغَايِلْ لَأَنَّكَ تَخْشَى الشَّهَادَةَ، لَكِنَّ عَرْشَكَ نَعُشُّكَ
 فَاحْمِلِ النَّعْشَ كَيْ تَحْفَظَ الْعَرْشَ، يَا مَلِكَ الْإِنْتِظَارِ
 إِنَّ هَذَا الرَّحِيلَ سَيَبْثُرُكُنَا حُفْنَةً مِنْ غُبَارٍ...
 مَنْ سَيَذْفِرُ أَيْامَنَا بَعْدَنَا: أَنْتَ... أَمْ هُمْ؟ وَمَنْ
 سَوْفَ يَرْفَعُ رَايَاتِهِمْ فَوْقَ أَسْوَارِنَا: أَنْتَ... أَمْ
 فَارِسٌ يَائِسٌ؟ مَنْ يُعَلِّقُ أَجْرَاسَهُمْ فَوْقَ رِخْلَتِنَا
 أَنْتَ... أَمْ حَارِسٌ يَائِسٌ؟ كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ لَنَا
 فَلِمَاذَا تُطِيلُ النِّهَايَةَ، يَا مَلِكَ الْإِحْتِضَارِ؟

VII

مَنْ أَنَا...

بَعْدَ لَيْلِ الْغَرِيْبَةِ

مَنْ أَنَا بَعْدَ لَيْلِ الْغَرِيْبَةِ؟ أَنَهَضُ مِنْ حُلْمِي
 خَائِفاً مِنْ غَمُوضِ النَّهَارِ عَلَى مَزْمَرِ الدَّارِ، مِنْ
 عَثْمَةِ الشَّمْسِ فِي الْوَرْدِ، مِنْ مَاءِ نَافُورَتِي
 خَائِفاً مِنْ حَلِيبٍ عَلَى شَفَةِ التَّيْنِ، مِنْ لُغْتِي
 خَائِفاً، مِنْ هَوَاءٍ يُمَشِّطُ صَفْصَافَةً خَائِفاً، خَائِفاً
 مِنْ وُضُوحِ الزَّمَانِ الْكَثِيفِ، وَمِنْ حَاضِرٍ لَمْ يَعُدْ
 حَاضِراً، خَائِفاً مِنْ مُرُورِي عَلَى عَالَمٍ لَمْ يَعُدْ
 عَالَمِي. أَيُّهَا الْيَأْسُ كُنْ رَحْمَةً. أَيُّهَا الْمَوْتُ كُنْ
 نِعْمَةً لِلْغَرِيبِ الَّذِي يُنْصِرُ الْغَيْبَ أَوْضَحَ مِنْ

واقع لَمْ يَغْدُ واقِعاً. سَوْفَ أَشَقُطُ مِنْ نَجْمَةٍ
 فِي السَّمَاءِ إِلَى خَيْمَةٍ فِي الطَّرِيقِ إِلَى... أَتَيْنَ؟
 أَتَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ؟ أَرَى الْغَيْبَ أَوْضَحَ مِنْ
 شَارِعَ لَمْ يَغْدُ شَارِعِي. مَنْ أَنَا بَعْدَ لَيْلِ الْغَرِيبَةِ؟
 كُنْتُ أَمْشِي إِلَى الذَّاتِ فِي الْآخِرِينَ، وَهَا أَنَذَا
 أَحْسَرُ الذَّاتِ وَالْآخِرِينَ. حِصَانِي عَلَى سَاحِلِ الْأَطْلَسِيِّ أَخْتَفِي
 وَحِصَانِي عَلَى سَاحِلِ الْمُتَوَسِّطِ يُغَمِّدُ رُوحَ الصَّلَيبِيِّ فِي.
 مَنْ أَنَا بَعْدَ لَيْلِ الْغَرِيبَةِ؟ لَا أَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَى
 إِخْوَتِي قُرْبَ نَخْلَةِ بَيْتِي الْقَدِيمِ، وَلَا أَسْتَطِيعُ التَّرَوُّلَ إِلَى
 قَاعِ هَاوِيَتِي. أَيُّهَا الْغَيْبُ! لَا قَلْبَ لِلْحُبِّ... لَا
 قَلْبَ لِلْحُبِّ أَسْكُنُهُ بَعْدَ لَيْلِ الْغَرِيبَةِ...

VIII

كُنْ لِحِيتَارْتِي وَتَرَأْ أَيْهَا الْمَاء

كُنْ لِحِيتَارْتِي وَتَرَأْ أَيْهَا الْمَاء؛ قَدْ وَصَلَ الْفَاتِحُونَ
وَمَضَى الْفَاتِحُونَ الْقُدَامَى. مِنَ الصُّغْبِ أَنْ أَتَذَكَّرَ وَجْهِي
فِي الْمَرَايَا. فَكُنْ أَنْتَ ذَاكِرْتِي كَيْ أَرَى مَا فَقَدْتُ...
مَنْ أَنَا بَعْدَ هَذَا الرَّحِيلِ الْجَمَاعِيِّ؟ لِي صَخْرَةٌ
تَحْمِلُ أَسْمِي فَوْقَ هِضَابٍ تُطِلُّ عَلَى مَا مَضَى
وَأَنْقَضَى... سَبْعُمَائِقَةٍ عَامٍ تُشَيِّعُنِي خَلْفَ سُورِ الْمَدِينَةِ...
عَبَثًا يَسْتَنْدِرُ الزَّمَانُ لِأُنْقِذَ مَاضِيَّ مِنْ بُرْهَةٍ
تَلِدُ الْآنَ تَارِيخَ مَنْفَايَ فِي... وَفِي الْآخَرِينَ...
كُنْ لِحِيتَارْتِي وَتَرَأْ أَيْهَا الْمَاء، قَدْ وَصَلَ الْفَاتِحُونَ

وَمَضَى الْفَاتِحُونَ الْقُدَامَى جَنُوباً شُعُوباً تُرِّمُ أَيَّامَهَا
 فِي رُكَامِ التَّحْوِيلِ: أَغْرَفُ مَنْ كُنْتُ أَمْسِ، فَمَاذَا أَكُونُ
 فِي غَيْدِ نَحْتِ رَايَاتِ كُولُومْبُوسِ الْأَطْلَسِيَّةِ؟ كُنْ وَتَرَأْ
 كُنْ لِحَبِيتَارَتِي وَتَرَأْ أَيُّهَا الْمَاءُ. لَا مِضْرَ فِي مِضْرٍ، لَا فَاَسَ فِي
 فَاَسَ، وَالشَّامُ تَنَأَى. وَلَا صَفْرَ فِي
 رَايَةِ الْأَهْلِ، لَا نَهْرَ شَرْقِ التَّخِيلِ الْمُحَاصِرِ
 بِخِيُولِ الْمَغُولِ السَّرِيعَةِ. فِي أَيِّ أُنْدُلُسٍ أَنْتَهِي؟ هَهُنَا
 أَمْ هُنَاكَ؟ سَأَعْرِفُ أَنِّي هَلَكْتُ وَأَنِّي تَرَكْتُ هُنَا
 خَيْرَ مَا فِي: مَاضِيٍّ. لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ جِيتَارَتِي
 كُنْ لِحَبِيتَارَتِي وَتَرَأْ أَيُّهَا الْمَاءُ. قَدْ ذَهَبَ الْفَاتِحُونَ
 وَأَتَى الْفَاتِحُونَ...

IX

في الرَّحِيلِ الْكَبِيرِ
أُحِبُّكَ أَكْثَرَ...

في الرَّحِيلِ الْكَبِيرِ أُحِبُّكَ أَكْثَرَ، عَمَّا قَلِيلُ
تُفْقِلِينَ الْمَدِينَةَ. لَا قَلْبَ لِي فِي يَدَيْكَ، وَلَا
دَرْبَ يَحْمِلُنِي، فِي الرَّحِيلِ الْكَبِيرِ أُحِبُّكَ أَكْثَرَ
لَا حَلِيبَ لِرِّمَانٍ شُرَفَتِنَا بَعْدَ صَدْرِكَ. خَفَّ النَّخِيلُ
خَفَّ وَزْنُ الثَّلَالِ، وَخَفَّتْ شَوَارِعُنَا فِي الْأَصِيلِ
خَفَّتِ الْأَرْضُ إِذْ وَدَّعَتْ أَرْضَهَا. خَفَّتِ الْكَلِمَاتُ
وَالْحِكَايَاتُ خَفَّتْ عَلَى دَرَجِ اللَّيْلِ. لَكِنَّ قَلْبِي ثَقِيلُ
فَاتَّرَكِيهِ هُنَا حَوْلَ بَيْتِكَ يَغْوِي وَيَنكِ الرِّمَانَ الْجَمِيلَ،
لَيْسَ لِي وَطَنٌ غَيْرُهُ، فِي الرَّحِيلِ أُحِبُّكَ أَكْثَرَ

أُفْرِغُ الرُّوحَ مِنْ آخِرِ الْكَلِمَاتِ: أُحِبُّكَ أَكْثَرَ
 فِي الرَّحِيلِ تَقَوُّدُ الْفَرَاشَاتِ أَزْوَاجَنَا، فِي الرَّحِيلِ
 نَتَذَكَّرُ زِرَّ الْقَمِيصِ الَّذِي ضَاعَ مِنَّا، وَنَنْسَى
 تَاجَ أَيَّامِنَا، نَتَذَكَّرُ رَائِحَةَ الْعَرَقِ الْمَشْمِيشِيِّ، وَنَنْسَى
 رَفْصَةَ الْخَيْلِ فِي لَيْلِ أَغْرَاسِنَا، فِي الرَّحِيلِ
 نَتَسَاوَى مَعَ الطَّيْرِ، نَرْحَمُ أَيَّامَنَا، نَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ
 أَكْتَفِي مِنْكَ بِالْخَنْجَرِ الذَّهَبِيِّ يُرْقِصُ قَلْبِي الْقَتِيلِ
 فَاقْتُلْنِي، عَلَى مَهْلٍ، كُنِي أَقُولَ: أُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنَّا
 قُلْتُ قَبْلَ الرَّحِيلِ الْكَبِيرِ. أُحِبُّكَ. لَا شَيْءَ يُوْجِعُنِي
 لَا الْهَوَاءُ، وَلَا الْمَاءُ... لَا حَبَقٌ فِي صَبَاحِكَ، لَا
 زَنْبَقٌ فِي مَسَائِكَ يُوْجِعُنِي بَعْدَ هَذَا الرَّحِيلِ...

X

لا أريدُ مِنَ الْحُبِّ غَيْرَ الْبِدَايَةِ

لا أريدُ مِنَ الْحُبِّ غَيْرَ الْبِدَايَةِ، يَوْفُو الْحَمَامُ
فَوْقَ سَاحَاتِ غَرْنَاتِي ثَوْبَ هَذَا النَّهَارِ
فِي الْجِرَارِ كَثِيرٍ مِنَ الْخَمْرِ لِلْعِيدِ مِنْ بَعْدِنَا
فِي الْأَغَانِي نَوَافِذُ تَكْفِي لِتَنْفِجِ الْجُلُنَارِ

أَتْرُكُ الْفَلََّ فِي الْمَرْهَرِيَّةِ، أَتْرُكُ قَلْبِي الصَّغِيرِ
فِي خِزَانَةِ أُمِّي، أَتْرُكُ حُلُمِي فِي الْمَاءِ يَضْحَكُ
أَتْرُكُ الْفَجَرَ فِي عَسَلِ الْتَيْنِ، أَتْرُكُ يَوْمِي وَأَمْسِي
فِي الْمَمَرِّ إِلَى سَاحَةِ الْبُرْتُقَالَةِ حَيْثُ يَطِيرُ الْحَمَامُ

هَلْ أَنَا مَنْ نَزَلْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، لِيَغْلُوَ الْكَلَامُ
 قَمَرًا فِي حَلِيبِ لِيَالِيكَ أَثِيضَ ... دُقِّي الْهَوَاءَ
 كَيْ أَرَى شَارِعَ النَّايِ أَرْزُقَ ... دُقِّي الْمَسَاءَ
 كَيْ أَرَى كَيْفَ يَمْرُضُ بَيْتِي وَيَبْنِيكَ هَذَا الرَّخَامُ.

السَّبَابِيكَ خَالِيَّةٌ مِنْ بَسَاتِينِ شَالِكٍ. فِي زَمَنِ
 آخِرٍ كُنْتُ أَعْرِفُ عَنْكَ الْكَثِيرَ، وَأَقْطَفُ غَارِدِينَا
 مِنْ أَصَابِعِكَ الْعَشِيرِ. فِي زَمَنِ آخِرٍ كَانَ لِي لَوْلُو
 حَوْلَ جِيدِكَ، وَأَسْمَ عَلَى خَاتَمِ شَعِّ مِنْهُ الظَّلَامُ

لَا أُرِيدُ مِنَ الْحُبِّ غَيْرَ الْبِدَايَةِ، طَارَ الْحَمَامُ
 فَوْقَ سَقْفِ السَّمَاءِ الْآخِرَةِ، طَارَ الْحَمَامُ وَطَارَ
 سَوْفَ يَنْقُى كَثِيرٌ مِنَ الْخَمْرِ، مِنْ بَعْدِنَا، فِي الْجِرَارِ
 وَقَلِيلٌ مِنَ الْأَرْضِ يَكْفِي لِكَيْ نَلْتَقِيَ، وَيَحُلَّ السَّلَامُ.

XI

الْكَمَنَجَاتُ

الْكَمَنَجَاتُ تَبْكِي مَعَ الْعَجْرِ الذَّاهِبِينَ إِلَى الْأُنْدَلُسِ
الْكَمَنَجَاتُ تَبْكِي عَلَى الْعَرَبِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْأُنْدَلُسِ
الْكَمَنَجَاتُ تَبْكِي عَلَى زَمَنِ ضَائِعٍ لَا يَعُودُ
الْكَمَنَجَاتُ تَبْكِي عَلَى وَطَنِ ضَائِعٍ قَدْ يَعُودُ

الْكَمَنَجَاتُ تُحْرِقُ غَابَاتِ ذَاكَ الظَّلَامِ الْبَعِيدِ الْبَعِيدِ
الْكَمَنَجَاتُ تُدْمِي التُّمْدَى، وَتَشْمُ دَمِي فِي الْوَرِيدِ.

الْكَمَنَجَاتُ تَبْكِي مَعَ الْعَجْرِ الذَّاهِبِينَ إِلَى الْأُنْدَلُسِ
الْكَمَنَجَاتُ تَبْكِي عَلَى الْعَرَبِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْأُنْدَلُسِ

الْكَمَنجاتُ خَبِلٌ عَلَى وَتَرٍ مِنْ سَرَابٍ، وَماءٍ يَبْرُ
الْكَمَنجاتُ حَقْلٌ مِنَ اللَّيْلِ الْمُتَوَحِّشِ يَنْأَى وَيَذْنُو

الْكَمَنجاتُ وَخَشٍ يُعَذِّبُهُ أَظْفَرُ امْرَأَةٍ مَسَتْهُ، وَابْتَعَدَ
الْكَمَنجاتُ جَيْشٌ يُعَمِّرُ مَقْبَرَةً مِنْ رُحَامٍ وَمِنْ نَهْونَدَ

الْكَمَنجاتُ فَوْضَى قُلُوبٍ تُجَنِّتُهَا الرِّيحُ فِي قَدَمِ الرَّاقِصَةِ
الْكَمَنجاتُ أَشْرَابُ طَيْرٍ تَفِرُّ مِنَ الرَّايَةِ النَّاقِصَةِ

الْكَمَنجاتُ شَكْوَى الْحَرِيرِ الْمُجَعَّدِ فِي لَيْلَةِ الْعَاشِقَةِ
الْكَمَنجاتُ صَوْتُ التَّبِيدِ الْبَعِيدِ عَلَى رَغْبَةٍ سَابِقَةٍ

الْكَمَنجاتُ تَتَّبِعُنِي، هَهُنَا وَهَنَّاكَ، لِتَأَرَّ مَنِي
الْكَمَنجاتُ تَبْحَثُ عَنِّي لِتَقْتُلَنِي، أَيْنَمَا وَجَدْتَنِي

الْكَمَنجاتُ تَبْكِي عَلَى الْعَرَبِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ
الْكَمَنجاتُ تَبْكِي مَعَ الْعَجَرِ الذَّاهِبِينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ

**خطبة «الهندي الأحمر»
- ما قبل الأخيرة -
أمام الرجل الأبيض**

«هَلْ قُلْتُ مَوْتِي؟
لا مَوْتُ هُنَاكَ
هُنَاكَ فَقَطْ تَبْدِيلُ عَوَالِمٍ»

سياتل
زعيم دواميش

- ١ -

إِذَا، نَحْنُ مَنْ نَحْنُ فِي الْمَسِيحِيِّ. لَنَا مَا تَبَقَّى لَنَا مِنَ الْأَمْسِ /
 لَكِنْ لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ تَغَيَّرَ، وَالْبَحْرَ شَرْقاً
 تَغَيَّرَ، يَا سَيِّدَ الْبَيْضِ! يَا سَيِّدَ الْخَيْلِ، ماذا تُرِيدُ
 مِنَ الذَّاهِبِينَ إِلَى شَجَرِ اللَّيْلِ؟ /
 عَالِيَةً رَوْحُنَا، وَالْمَرَاعِي مُقَدَّسَةً، وَالتَّجْوُمُ
 كَلَامٌ يُضِيءُ... إِذَا أَنْتَ حَدَّثْتَ فِيهَا قَرَأْتَ حِكَايَتَنَا كُلَّهَا:
 وَلَدْنَا هُنَا بَيْنَ مَاءٍ وَنَارٍ... وَنَوْلَدُ ثَانِيَةً فِي الْغُيُومِ
 عَلَى حَافَةِ السَّاحِلِ اللَّارْزُودِيِّ بَعْدَ الْقِيَامَةِ... عَمَّا قَلِيلٍ
 فَلَا تَقْتُلِ الْعُشْبَ أَكْثَرَ، لِلْعُشْبِ رَوْحٌ يُدَافِعُ فِينَا
 عَنِ الرُّوحِ فِي الْأَرْضِ /
 يَا سَيِّدَ الْخَيْلِ! عَلَّمْ حِصَانَكَ أَنْ يَغْتَدِرَ

لِرُوحِ الطَّبِيعَةِ عَمَّا صَنَعْتَ بِأَشْجَارِنَا:
 آه! يَا أُخْتِي الشَّجَرَةُ
 لَقَدْ عَذَّبُوكِ كَمَا عَذَّبُونِي
 فَلَا تَطْلُبِي الْمَغْفِرَةَ
 لِحَطَّابِ أُمِّي وَأُمِّكَ /...

- ٢ -

... لَنْ يَفْهَمَ الشَّيْءُ الْأَبْيَضُ الْكَلِمَاتِ الْعَتِيقَةَ
 هُنَا، فِي النَّفُوسِ الطَّلِيقَةِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ الشَّجَرِ...
 فَمِنْ حَقِّ كُولُومْبُوسَ الْحُرِّ أَنْ يَجِدَ الْهِنْدَ فِي أَيِّ بَحْرٍ،
 وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُسَمِّيَ أَشْبَاحَنَا فَلَفْلاً أَوْ هُنُوداً،
 وَفِي وَسْعِهِ أَنْ يُكَسِّرَ بَوْصَلَةَ الْبَحْرِ كَيْ تَسْتَقِيمَ
 وَأَخْطَاءَ رِيحِ الشَّمَالِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُصَدِّقُ أَنَّ الْبَشَرَ
 سَوَاسِيَّةٌ كَالْهَوَاءِ وَكَالْمَاءِ خَارِجَ مَمْلَكَةِ الْخَارِطَةِ!
 وَأَنْتَهُمْ يُولَدُونَ كَمَا تُولَدُ النَّاسُ فِي بَزْشَلُونَةَ، لَكِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ
 إِلَهَ الطَّبِيعَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ... وَلَا يَعْبُدُونَ الذَّهَبَ...
 وَكُولُومْبُوسَ الْحُرِّ يَتَحْتُ عَنْ لُغَةٍ لَمْ يَجِدْهَا هُنَا،
 وَعَنْ ذَهَبٍ فِي جَمَاجِمِ أَجْدَادِنَا الطَّيِّبِينَ وَكَانَ لَهُ

مَا يُرِيدُ مِنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ فِينَا. إِذَا

لِمَاذَا يُوَاصِلُ حَزْبَ الْإِبَادَةِ، مِنْ قَبْرِهِ، لِلنَّهَائَةِ؟

وَلَمْ يَتَّقِ مِنَّا سِوَى زِينَةِ لِلْخَرَابِ، وَرِيشِ خَفِيفٍ عَلَى

ثِيَابِ الْبُحَيْرَاتِ. سَبْعُونَ مَلِئُونَ قَلْبٍ فَقَاتَ... سَيَكْفِي

وَيَكْفِي، لِتَرْجِعَ مِنْ مَوْتِنَا مَلِكاً فَوْقَ عَرْشِ الرِّمَانِ الْجَدِيدِ...

أَمَا أَنْ أَنْ نَلْتَقِيَ، يَا غَرِيبُ، غَرِيبَيْنِ فِي زَمَنِ وَاحِدٍ؟

وَفِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، مِثْلَمَا يَلْتَقِي الْغُرَبَاءُ عَلَى هَاوِيَةٍ؟

لَنَا مَا لَنَا... وَلَنَا مَا لَكُمْ مِنْ سَمَاءٍ

لَكُمْ مَا لَكُمْ... وَلَكُمْ مَا لَنَا مِنْ هَوَاءٍ وَمَاءٍ

لَنَا مَا لَنَا مِنْ حَصَى... وَلَكُمْ مَا لَكُمْ مِنْ حَدِيدٍ

تَعَالَ لِنُقْتَسِمَ الضُّوْءَ فِي قُوَّةِ الظِّلِّ، خُذْ مَا تُرِيدُ

مِنَ اللَّيْلِ، وَاتْرُكْ لَنَا نَجْمَتَيْنِ لِنَذْفِنَ أَثْوَاتِنَا فِي الْفَلَكَ

وَاخُذْ مَا تُرِيدُ مِنَ الْبَحْرِ، وَاتْرُكْ لَنَا مَوْجَتَيْنِ لِصَيْدِ السَّمَكِ

وَخُذْ ذَهَبَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ، وَاتْرُكْ لَنَا أَرْضَ أَشْمَائِنَا

وَعُذْ، يَا غَرِيبُ، إِلَى الْأَهْلِ... وَابْحَثْ عَنِ الْهِنْدِ/

- ٣

... أَسْمَاؤُنَا شَجَرٌ مِنْ كَلَامِ الْإِلَهِ، وَطَيْرٌ تُحَلَّقُ أَعْلَى
 مِنَ الْبُنْدُوقِيَّةِ. لَا تَقْطَعُوا شَجَرَ الْإِسْمِ يَا أَيُّهَا الْقَادِمُونَ
 مِنَ الْبَحْرِ حَرْبًا، وَلَا تَنْفُسُوا خَيْلَكُمْ لَهَبًا فِي الشُّهُولِ
 لَكُمْ رَبُّكُمْ وَلَنَا رَبُّنَا، وَلَكُمْ دِينُكُمْ وَلَنَا دِينُنَا.
 فَلَا تَذْفِنُوا اللَّهَ فِي كُتُبٍ وَعَدْتُكُمْ بِأَرْضٍ عَلَى أَرْضِنَا.
 كَمَا تَدْعُونَ، وَلَا تَجْعَلُوا رَبُّكُمْ حَاجِبًا فِي بِلَاطِ الْمَلِكِ!
 خُذُوا وَرَدَ أَخْلَامِنَا كَيْ تَرَوْا مَا نَرَى مِنْ فَرْخٍ!
 وَنَامُوا عَلَى ظِلِّ صَفْصَافِنَا كَيْ تَطِيرُوا يَمَامًا يَمَامًا...
 كَمَا طَارَ أَسْلَافُنَا الطَّيِّبُونَ وَعَادُوا سَلَامًا سَلَامًا.
 سَتَنْقُصُكُمْ، أَيُّهَا الْبَيْضُ، ذِكْرِي الرَّحِيلِ عَنِ الْأَبْيَضِ الْمُنَوَّسِطِ،
 وَتَنْقُصُكُمْ عُزْلَةُ الْأَبْدِيَّةِ فِي غَابَةِ لَا تُطِلُّ عَلَى الْهَوَايَةِ
 وَتَنْقُصُكُمْ حِكْمَةُ الْإِنْكَسَارَاتِ، تَنْقُصُكُمْ نَكْسَةُ فِي الْحُرُوبِ
 وَتَنْقُصُكُمْ صَخْرَةُ لَا تُطِيعُ تَدْفُقَ نَهْرِ الزَّمَانِ السَّرِيعِ
 سَتَنْقُصُكُمْ سَاعَةٌ لِلتَّائُلِ فِي أَيِّ شَيْءٍ، لِتُنْضِجَ فِيكُمْ
 سَمَاءَ ضَرُورِيَّةٍ لِلتَّرَابِ، سَتَنْقُصُكُمْ سَاعَةٌ لِلتَّرْدِدِ مَا يَبْنِي دَرْبَ
 وَدَرْبَ، سَتَنْقُصُكُمْ يورِيدوسُ يَوْمًا، وَأَشْعَارُ كَنْعَانَ وَالْبَابِلِيِّينَ،
 تَنْقُصُكُمْ

أَغَانِي سُلَيْمَانَ عَنْ شَوْلَمِيَّتَ، سَتَنْقُضُكُمْ سَوْسَنُ لِلْحَنِينِ
 سَتَنْقُضُكُمْ، أَيُّهَا الْبَيْضُ، ذِكْرِي تُرَوْضُ خَيْلَ الْجُنُونِ
 وَقَلْبُ يَحْكُ الصُّخُورَ لِتَضَقُّلُهُ فِي نِدَاءِ الْكَمُنْجَاتِ... يَنْقُضُكُمْ
 وَتَنْقُضُكُمْ حَيْرَةٌ لِلْمُسَدَّسِ: إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِنَا
 فَلَا تَقْتُلُوا الْكَائِنَاتِ الَّتِي صَادَقْتْنَا، وَلَا تَقْتُلُوا أَمْسَنَا
 سَتَنْقُضُكُمْ هُذَنَّةٌ مَعَ أَشْبَاحِنَا فِي لَيْالِي الشِّتَاءِ الْعَقِيمَةِ
 وَشَمْسُ أَقْلٍ اشْتَعَالًا، وَبَذَرُ أَقْلٍ أَكِيمَالًا، لِتَبْدُو الْجَرِيمَةَ
 أَقْلٌ اخْتِفَالًا عَلَى شَاشَةِ السِّينَمَا، فَخُذُوا وَقْتَكُمْ
 لِكَيْ تَقْتُلُوا اللَّهَ ... /

- ٤

... نَعْرِفُ مَاذَا يُخَيِّبِي هَذَا الْغَمُوضُ الْبَلِغُ لَنَا
 سَمَاءٌ تَدُلُّ عَلَى مِلْحِنَا تُسَلِّمُ الرُّوحَ. صَفْصَافَةٌ
 تُسِيرُ عَلَى قَدَمِ الرِّيحِ، وَخَشْ يُوَسِّسُ مَمْلَكَةً فِي
 نُقُوبِ الْقَضَاءِ الْحَرِيحِ... وَبَحْرٌ يُمَلِّحُ أَخْشَابَ أَبْوَابِنَا،
 وَلَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ أَثْقَلَ قَبْلَ الْخَلِيقَةِ، لَكِنَّ شَيْئًا
 كَهَذَا عَرَفْنَاهُ قَبْلَ الزَّمَانِ... سَتَزُوي الرِّيحُ لَنَا
 بِدَايَتِنَا وَالنَّهَآيَةَ، لَكِنَّا نَتَرَفُّ الْيَوْمَ حَاضِرِنَا

وَنَذِفُنْ أَيْمَانَنَا فِي رَمَادِ الْأَسَاطِيرِ، لَيْسَتْ أَثِينَا لَنَا،
وَنَعْرِفْ أَيْمَانَكُمْ مِنْ دُخَانِ الْمَكَانِ، وَلَيْسَتْ أَثِينَا لَكُمْ،
وَنَعْرِفْ مَا هَيَأَ الْمَعْدِنُ - السَّيِّدُ الْيَوْمَ مِنْ أَجْلِنَا
وَمِنْ أَجْلِ إِلَهَةٍ لَمْ تُدَافِعْ عَنِ الْمِلْحِ فِي حُبْرِنَا
وَنَعْرِفْ أَنَّ الْحَقِيقَةَ أَقْوَى مِنَ الْحَقِّ، نَعْرِفْ أَنَّ الزَّمَانَ
تَغَيَّرَ، مُنْذُ تَغَيَّرَ نَوْعُ السَّلَاحِ. فَمَنْ سَوْفَ يَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا
إِلَى مَطَرِ يَابِسٍ فِي الْغُيُومِ؟ وَمَنْ يَغْسِلُ الضَّوْءَ مِنْ بَغْدِنَا
وَمَنْ سَوْفَ يَسْكُنُ مَعْبَدَنَا بَعْدَنَا؟ مَنْ سَيَحْفَظُ عَادَاتِنَا
مِنَ الصَّحْبِ الْمَعْدِنِيِّ؟ «نُبَشِّرُكُمْ بِالْحَضَارَةِ» قَالَ الْغَرِيبُ،
وَقَالَ:

أَنَا سَيِّدُ الْوَقْتِ، جِئْتُ لِكَيْ أَرِثَ الْأَرْضَ مِنْكُمْ.
فَمَرُّوا أَمَامِي، لِأُخَصِّبَكُمْ جَنَّةَ جَنَّةٍ فَوْقَ سَطْحِ الْبُحَيْرَةِ
«أُبَشِّرُكُمْ بِالْحَضَارَةِ» قَالَ، لِتَحْيَا الْأَنَاجِلُ، قَالَ، فَمَرُّوا
لِيَبْقَى لِي الرِّبُّ وَخَدِي، فَإِنَّ هُنُوداً يَمُوتُونَ خَيْرَ
لِسَيِّدِنَا فِي الْعُلَى مِنْ هُنُودٍ يَعْيشُونَ، وَالرَّبُّ أَتَيْضُ
وَأَتَيْضُ هَذَا النَّهَارُ: لَكُمْ عَالَمٌ وَلَنَا عَالَمٌ...

يَقُولُ الْغَرِيبُ كَلَاماً غَرِيباً، وَيَخْفِرُ فِي الْأَرْضِ يَفْراً
لِيَذِفَ فِيهَا السَّمَاءَ. يَقُولُ الْغَرِيبُ كَلَاماً غَرِيباً
وَيَضْطَاطُ أَطْفَالَنَا وَالْفَرَاشَ. بِمَاذَا وَعَدْتَ حَدِيقَتَنَا يَا غَرِيبُ؟

يُورِدُ مِنَ الزُّنُكِ أَجْمَلَ مِنْ وَرْدِنَا؟ فَلْيَكُنْ مَا تَشَاءُ
وَلَكِنْ، أَتَعْلَمُ أَنَّ الْغَرَالَةَ لَا تَأْكُلُ الْعُشْبَ إِنْ مَسَّهُ دَمُنَا؟
أَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَوَامِيسَ إِخْوَتُنَا وَالنَّبَاتَاتِ إِخْوَتُنَا يَا غَرِيب؟
فَلَا تَخْفِرِ الْأَرْضَ أَكْثَرَ! لَا تَجْرَحِ السَّلْحَفَةَ الَّتِي
تَنَامُ عَلَى ظَهْرِهَا الْأَرْضُ، جَدَّتْنَا الْأَرْضُ، أَشْجَارُنَا شَعَرُهَا
وَزِينَتُنَا زَهْرُهَا. «هَذِهِ الْأَرْضُ لَا مَوْتَ فِيهَا»، فَلَا
تُغَيِّرْ هَشَاشَةَ تَكْوِينِهَا! لَا تُكْسِرْ مَرَايَا بَسَاتِينِهَا
وَلَا تُجْفِلِ الْأَرْضَ، لَا تُوجِعِ الْأَرْضَ. أَتَهَارُنَا خَصْرُهَا
وَأَحْفَادُهَا نَحْرُنْ، أَنْتُمْ وَنَحْنُ، فَلَا تَقْتُلُوهَا...
سَنَذْهَبُ، عَمَّا قَلِيلٍ، خُذُوا دَمَنَا وَاتْرُكُوها
كما هي،
أَجْمَلَ مَا كَتَبَ اللَّهُ فَوْقَ الْمِيَاهِ،

لَهُ... وَلَنَا

سَنَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَسْلَافِنَا فِي الرِّيحِ، وَنُضْغِي
إِلَى نَبْضِهِمْ فِي بَرَاعِمِ أَشْجَارِنَا. هَذِهِ الْأَرْضُ جَدَّتْنَا
مُقَدَّسَةٌ كُلُّهَا، حَجَرًا حَجَرًا، هَذِهِ الْأَرْضُ كُوْخُ
لَا إِلَهَةٍ سَكَنْتْ مَعَنَا، نَجْمَةٌ نَجْمَةٌ، وَأَضَاءَتْ لَنَا
لِيَالِي الصَّلَاةِ... مَشِينَا حُفَاةً لِنَلْمُسَ رُوحَ الْحَصَى

وَسِرْنَا غُرَّةً لِّثُلَيْسِنَا الرُّوحِ، رُوحَ الْهَوَاءِ، نِسَاءَ
يُعِدُّنَ إِلَيْنَا هِبَاتَ الطَّبِيعَةِ - تَارِيخُنَا كَانَ تَارِيخُهَا. كَانَ لِلْوَقْتِ
وَقْتُ لِنَوْلَدَ فِيهَا وَنَرْجِعَ مِنْهَا إِلَيْهَا: نُعِيدُ إِلَى الْأَرْضِ أَزْوَاجَهَا
رُؤَيْدًا رُؤَيْدًا. وَنَحْفَظُ ذِكْرَى أَحَبِّينَا فِي الْجِرَارِ
مَعَ الْمِلْحِ وَالزَّيْتِ، كُنَّا نَعْلُقُ أَسْمَاءَهُمْ بِطُيُورِ الْجَدَاوِلِ
وَكُنَّا الْأَوَائِلَ، لَا سَقْفَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَزُرْقَةِ أَبْوَابِنَا
وَلَا خَيْلَ نَأْكُلُ أَغْشَابَ غِزْلَانِنَا فِي الْحُقُولِ، وَلَا غُرَبَاءَ
يَمْرُؤُونَ فِي لَيْلٍ زَوْجَاتِنَا، فَاتَّزَكُوا النَّايَ لِلرَّيْحِ تَبْكِي
عَلَى شَعْبِ هَذَا الْمَكَانِ الْجَرِيحِ... وَتَبْكِي عَلَيْكُمْ غَدًا،
وَتَبْكِي عَلَيْكُمْ... غَدًا!

- ٥ -

وَنَحْنُ نُوَدِّعُ نِيرَانَنَا، لَا نَزُدُ التَّحِيَّةَ... لَا تَكْتُبُوا
عَلَيْنَا وَصَايَا الْإِلَهِ الْجَدِيدِ، إِلَهِ الْحَدِيدِ، وَلَا تَطْلُبُوا
مُعَاهَدَةَ السَّلَامِ مِنَ الْمَيْسِيِّينَ، فَلَمْ يَتَّقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ
يُبَشِّرُكُمْ بِالسَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ وَالْآخَرِينَ، وَكُنَّا هُنَا
نَعْمُرُ أَكْثَرَ، لَوْلَا بِنَادِقُ إِنْجِلْتِرَا وَالتَّبِيدُ الْفَرَنْسِيِّ وَالْانْفِلُونَزَا،

وَكُنَّا نَعِيشُ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ نَعِيشَ بِرُقُقَةٍ شَعْبِ الْغَزَالِ
وَنَحْفَظُ تَارِيخَنَا الشَّفَهِيَّ، وَكُنَّا نُبَشِّرُكُمْ بِالْبِرَاءَةِ وَالْأَفْحْوَانِ
لَكُمْ رَبُّكُمْ وَلَنَا رَبُّنَا، وَلَكُمْ أَمْسُكُمْ وَلَنَا أَمْسُنَا، وَالزَّمَانُ
هُوَ النَّهْرُ حِينَ نَحْدَقُ فِي النَّهْرِ يَغْرُورِقُ الْوَقْتُ فِينَا...
أَلَا تَحْفَظُونَ قَلِيلاً مِنَ الشَّعْرِ كَيْ تَوْفِقُوا الْمَذْبَحَةَ؟
أَلَمْ تَوْلِدُوا مِنْ نِسَاءٍ؟ أَلَمْ تَرْضَعُوا مِثْلَنَا
خَلِيبَ الْحَنِينِ إِلَى أَمْهَاتٍ؟ أَلَمْ تَزْتَدُوا مِثْلَنَا أَجْنَحَةً
لِتَلْتَحِقُوا بِالسَّنُونُو. وَكُنَّا نُبَشِّرُكُمْ بِالرَّبِيعِ، فَلَا تَشْهَرُوا
الْأَسْلِحَةَ!

وَفِي وَشَعْنَا أَنْ نَتَبَادَلَ بَعْضَ الْهَدَايَا وَبَعْضَ الْغِنَاءِ
هُنَا كَانَ شَعْبِي. هُنَا مَاتَ شَعْبِي. هُنَا شَجِرَ الْكَسْتَنَاءِ
يُحْبِيءُ أَزْوَاجَ شَعْبِي. سَيَزْجَعُ شَعْبِي هَوَاءَ وَضَوْءاً وَمَاءَ،

خُذُوا أَرْضَ أُمِّي بِالسَّيْفِ، لِكِنِّي لَنْ أَوْقَعَ بِأَسْمِي
مُعَاهَدَةَ الصُّلْحِ بَيْنَ الْقَتِيلِ وَقَاتِلِهِ، لَنْ أَوْقَعَ بِأَسْمِي
عَلَى بَيْعِ شَيْءٍ مِنَ الشُّؤْكِ حَوْلَ حُقُولِ الدُّرَّةِ
وَأَعْرِفُ أَنِّي أَوْدَعُ آخِرَ شَمْسٍ، وَأَلْتَفُّ بِأَسْمِي
وَأَسْقُطُ فِي النَّهْرِ، أَعْرِفُ أَنِّي أَعُودُ إِلَى قَلْبِ أُمِّي
لِتَدْخُلَ، يَا سَيِّدَ أَلْبَيْضِ، عَضْرَكَ... فَارْزُقْ عَلَى جُشْتِي

تَمَائِلَ حُرِّيَّةٍ لَا تَرُدُّ التَّحِيَّةَ، وَآحِفِرُ صَلِيبَ الْحَدِيدِ
 عَلَى ظِلِّي الْحَجَرِيِّ، سَأُضَعِدُ عَمَّا قَلِيلٍ أَعَالِي النَّشِيدِ،
 نَشِيدِ انْتِحَارِ الْجَمَاعَاتِ حِينَ تُشَيِّعُ تَارِيخَهَا لِلْبَعِيدِ،
 وَأُطْلِقُ فِيهَا عَصَافِيرَ أَصْوَاتِنَا: هَهُنَا انْتَصَرَ الْغُرَبَاءُ
 عَلَى الْمِلْحِ، وَاخْتَلَطَ الْبَحْرُ فِي الْغَيْمِ، وَانْتَصَرَ الْغُرَبَاءُ
 عَلَى قِشْرَةِ الْقَمْحِ فِينَا، وَمَدُّوا الْأَنَابِيبَ لِلْبَرَقِ وَالْكَهْرَبَاءِ
 هُنَا انْتَحَرَ الصَّقَرُ غَمًّا، هُنَا انْتَصَرَ الْغُرَبَاءُ
 عَلَيْنَا. وَلَمْ يَنْقُ شَيْءٌ لَنَا فِي الزَّمَانِ الْجَدِيدِ
 هُنَا تَبَخَّرَ أَجْسَادُنَا، غَيْمَةً غَيْمَةً، فِي الْفَضَاءِ
 هُنَا تَنَالُوا أَرْوَاحُنَا، نَجْمَةً نَجْمَةً، فِي فَضَاءِ النَّشِيدِ

- ٦ -

سَيَمْضِي زَمَانٌ طَوِيلٌ لِيُضْبِحَ حَاضِرُنَا مَاضِيًّا مِثْلَنَا
 سَنَمْضِي إِلَى حَتْفِنَا، أَوَّلًا، سَنُدَافِعُ عَنْ شَجَرِ زَنْتَدِيهِ
 وَعَنْ جَرَسِ اللَّيْلِ، عَنْ قَمَرٍ، فَوْقَ أَكْوَاحِنَا نَشْتَهِيهِ
 وَعَنْ طَيْشٍ غَزَلَانَا سَنُدَافِعُ، عَنْ طِبْنٍ فَخَّارِنَا سَنُدَافِعُ
 وَعَنْ رِيثِنَا فِي جَنَاحِ الْأَغَانِي الْأَخِيرَةِ. عَمَّا قَلِيلٍ
 نُقِيمُونَ عَالَمَكُمْ فَوْقَ عَالَمِنَا: مِنْ مَقَابِرِنَا تَفْتَحُونَ الطَّرِيقَ

إلى القَمَرِ الاصطناعي. هذا زَمَانُ الصُّناعات. هذا
زَمَانُ المَعَادِنِ، مِنْ قِطْعَةِ الفَحْمِ تَبْرُغُ سُنْبَانِيَا الأقوياء...

هُنَالِكَ مَوْتِي وَمُسْتَوَظَنَاتُ، وَمَوْتِي وبولدوزرات، وَمَوْتِي
وَمُسْتَشْفَيَاتُ، وَمَوْتِي وَشَاشَاتُ رادار تَرَضُّدُ مَوْتِي
يَمُوتُونَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي الْحَيَاةِ، وَتَرَضُّدُ مَوْتِي
يَعِيشُونَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَمَوْتِي يُرَبُّونَ وَخَشَّ الْحَضَارَاتِ مَوْتَا،
وَمَوْتِي يَمُوتُونَ كَيْ يَحْمِلُوا الْأَرْضَ فَوْقَ الرُّفَاتِ...

إِلَى أَيْنَ، يَا سَيِّدَ الْبَيْضِ، تَأْخُذُ شَعْبِي، ... وَشَعْبِكَ؟
إِلَى أَيِّ هَاوِيَةٍ تَأْخُذُ الْأَرْضَ هَذَا الرُّبُوتُ الْمُدَجَّجُ بِالطَّائِرَاتِ
وَحَامِلَةِ الطَّائِرَاتِ، إِلَى أَيِّ هَاوِيَةٍ رَحْبَةٍ تَضَعُدُونَ؟
لَكُمْ مَا تَشَاوُونَ: رُومَا الْجَدِيدَةُ، إِسْبَارُطَةُ التَّكْنُولُوجِيَا

و

أَيْدِيُولُوجِيَا الْجَنُونِ،

وَنَحْنُ، سَنَهْرُبُ مِنْ زَمَنِ لَمْ نُهَيِّ لَهُ، بَعْدُ، هَاجِسَنَا
سَنَمْضِي إِلَى وَطَنِ الطَّيْرِ سِرْباً مِنْ الْبَشَرِ السَّابِقِينَ
نُطِلُّ عَلَى أَرْضِنَا مِنْ حَصَى أَرْضِنَا، مِنْ ثُقُوبِ الْغُيُومِ

نُطِلُّ عَلَى أَرْضِنَا، مِنْ كَلَامِ النُّجُومِ نُطِلُّ عَلَى أَرْضِنَا
 مِنْ هَوَاءِ الْبَحِيرَاتِ، مِنْ زَعْبِ الذَّرَّةِ الْهَشِّ، مِنْ
 زَهْرَةِ الْقَبْرِ، مِنْ وَرَقِ الْحَوْرِ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 يُحَاصِرُكُمْ، أَيُّهَا الْبَيْضُ، مَوْتِي يَمُوتُونَ، مَوْتِي
 يَعْيشُونَ، مَوْتِي يَعُودُونَ، مَوْتِي يَبْهَتُونَ بِالسَّرِّ،
 فَلْتُمْهِلُوا الْأَرْضَ حَتَّى تَقُولَ الْحَقِيقَةَ، كُلُّ الْحَقِيقَةِ،
 عَنْكُمْ
 وَعَنَّا ...
 وَعَنَّا
 وَعَنْكُمْ!

- ٧ -

هُنَالِكَ مَوْتِي يَنَامُونَ فِي غُرَفِ سَوَفَ تَبْنُونَهَا
 هُنَالِكَ مَوْتِي يَزُورُونَ مَاضِيَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَهْدِمُونَ
 هُنَالِكَ مَوْتِي يَمْشُونَ فَوْقَ الْجُسُورِ الَّتِي سَوَفَ تَبْنُونَهَا
 هُنَالِكَ مَوْتِي يُضِيئُونَ لَيْلَ الْفَرَاشَاتِ، مَوْتِي
 يَجِئُونَ فَجْراً لِكِي يَشْرَبُوا شَائِهِمْ مَعَكُمْ، هَادِئِينَ
 كَمَا تَرَكْتُهُمْ بِنَادِقُكُمْ، فَاتْرَكُوا يَا ضُيُوفَ الْمَكَانِ

مَقَاعِدَ خَالِيَةٍ لِلْمُضِيفِينَ .. كَي يَفْرُؤُوا
عَلَيْكُمْ شُرُوطَ السَّلَامِ مَعَ... الْمَيْتِينَ!

حجرُ كنعانيّ في البحر الميت

لا باب يَفْتَحُهُ أَمَامِي الْبَحْرُ...
 قُلْتُ: فَصِيدَتِي
 حَجَرٌ يَطِيرُ إِلَى أَبِي حَجَلًا. أَتَعْلَمُ يَا أَبِي
 مَا حَلَّ بِي؟ لَا بَابٌ يُغْلِقُهُ عَلَيَّ الْبَحْرُ، لَا
 مِرَاةَ أَكْسِرُهَا لَيْتَشِيرَ الطَّرِيقَ حَصَى... أَمَامِي
 أَوْ زَبَدٌ...
 هَلْ مِنْ أَحَدٍ
 يَنْكِى عَلَى أَحَدٍ لِأَخِيْلَ نَائِيهِ
 عَنْهُ، وَأُظْهِرَ مَا تَبَطَّنَ مِنْ حُطَامِي؟
 أَنَا مِنْ رُعَاةِ الْمِلْحِ فِي الْأَغْوَارِ. يَنْقُرُ طَائِرٌ
 لُغْنِي، وَيَبْنِي عُشَّ رُزْقِيهِ الْمُبَعَّثَرِ فِي خِيَامِي...
 هَلْ مِنْ بَلَدٍ

يُسْئَلُ مِنِّي كَيْ أَرَاهُ، كَمَا أُرِيدُ. وَكَيْ يَرَانِي
فِي الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ مِنْ نَفْسِي عَلَى حَجَرٍ أَبَدٍ
هَذَا غِيَابُكَ كُلُّهُ شَجَرٌ، يُطْلُ عَلَيْكَ مِنْكَ وَمِنْ دُخَانِي

نَامَتْ أَرْبَحًا تَحْتَ نَخْلَتِهَا الْقَدِيمَةِ، لَمْ أَجِدْ
أَحَدًا يَهْزُ سَرِيرَهَا: هَذَا أَتُ قَوَافِلُهُمْ فَنَامِي...

وَبَحَثْتُ لِاسْمِي عَنْ أَبِي لِاسْمِي، فَشَقَّقْتُ عَصَا
سِخْرِيَّةً، قَتَلَايَ أُمَّ رُؤْيَايَ تَطْلُعُ مِنْ مَنَامِي؟

الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ أَهْلِي، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ بَعِيدَةً
عَنْ أَرْضِهَا، وَأَنَا بَعِيدٌ عَنْ كَلَامِي...

لَا رِيحَ تَرْفَعُنِي إِلَى أَعْلَى مِنَ الْمَاضِي هُنَا
لَا «رِيحَ تَرْفَعُ مَوْجَةً» عَنْ مِلْحِ هَذَا الْبَحْرِ، لَا
رَبَابٍ لِلْمَوْتَى لَكِي يَسْتَسْلِمُوا فِيهَا، وَلَا
أَصْوَاتٍ لِلْأَحْيَاءِ كَيْ يَبَادُلُوا خُطْبَ السَّلَامِ...

وَالْبَحْرُ يَحْمِلُ ظِلِّي الْفِضِّيَّ عِنْدَ الْفَجْرِ، يُرْشِدُنِي إِلَى
كَلِمَاتِي الْأُولَى لِئَذِي الْمَرْأَةِ الْأُولَى، وَيَحْيَا مَيِّتًا
فِي رَقْصَةِ الْوُثْنِيِّ حَوْلَ فَضَائِهِ،

وَيَمُوتُ حَيًّا فِي ثَنَائِي الْقَصِيدَةِ وَالْحُسَامِ،
 مَا يَبْنِي مَصْرَ وَيَسِّرَ آسِيَا وَالشَّمَالَ... يَا غَرِيبَ
 أَوْقِفْ حِصَانَكَ تَحْتَ نَخْلَتِنَا! عَلَى طُرُقِ الشَّامِ
 يَبْدُلُ الْغُرَبَاءُ فِي مَا يَبْتَهِمُ خُودًا سَيَبُتُ فَوْقَهَا
 حَبَقٌ يُوزَعُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَمَامٌ قَدْ يَهْبُ مِنْ الْبُيُوتِ
 وَالْبَحْرِ مَاتَ، مِنَ الرِّثَايَةِ، فِي وَصَايَا لَا تَمُوتُ
 وَأَنَا أَنَا، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُنَاكَ أَنْتَ، أَنَا الْغَرِيبُ
 عَنْ نَخْلَةِ الصُّخْرَاءِ مُنْذُ وُلِدْتُ فِي هَذَا الزَّحَامِ
 وَأَنَا أَنَا، حَزْبٌ عَلَيَّ وَفِي حَزْبٍ... يَا غَرِيبَ
 عَلَّقُ سِلَاحَكَ فَوْقَ نَخْلَتِنَا، لِأَزْرَعُ حِنْطَتِي
 فِي حَقْلِ كَنْعَانَ الْمُقَدَّسِ... خُذْ نَبِيذًا مِنْ جِرَارِي
 خُذْ صَفْحَةً مِنْ سِفْرِ آلِهَتِي... وَقِسْطًا مِنْ طَعَامِي
 وَخُذِ الْغَزَالَهَ مِنْ فِخَاخِ غِنَائِنَا الرَّعَوِيِّ، خُذْ
 صَلَوَاتِ كَنْعَانِيَّةٍ فِي عِيدِ كَرَمَتِهَا، وَخُذْ عَادَاتِنَا
 فِي الرَّيِّ. خُذْ مِنَّا دُرُوسَ الْبَيْتِ. ضَعْ
 حَجَرًا مِنَ الْآجُرِّ، وَارْفَعْ فَوْقَهُ بُرْجَ الْحَمَامِ
 لَتَكُونَ مِنَّا إِنْ أَرَدْتَ، وَجَارَ حِنْطَتِنَا. وَخُذْ
 مِنَّا نُجُومَ الْأَبْجَدِيَّةِ، يَا غَرِيبَ

وَأَكْتُبُ رِسَالَاتِ السَّمَاءِ مَعِيَ إِلَى
 خَوْفِ الشُّعُوبِ مِنَ الطَّبِيعَةِ وَالشُّعُوبِ،
 وَأَتْرُكُ أَرْيَاحًا تَحْتَ نَخْلَتِهَا، وَلَا تَسْرِقُ مَنَامِي
 وَحَلِيبَ إِمْرَأَتِي، وَقُوتَ النَّمْلِ فِي لُجْجِ الرُّحَامِ!
 أَتَيْتُ... ثُمَّ قَتَلْتُ... ثُمَّ وَرِثْتُ، كَيْ
 يَزْدَادَ هَذَا الْبَحْرُ مِلْحًا؟
 وَأَنَا أَنَا أَخْضَرُ عَامًا بَعْدَ عَامٍ فَوْقَ جِذْعِ السَّنْدِيَانِ
 هَذَا أَنَا، وَأَنَا أَنَا. وَهنا مَكَانِي فِي مَكَانِي
 وَالْآنَ فِي الْمَاضِي أَرَاكَ، كَمَا أَتَيْتُ، وَلَا تَرَانِي
 وَالْآنَ فِي الْمَاضِي أَضِيءُ لِحَاضِرِي
 غَدَهُ... فَيَتَأَيَّ بِي زَمَانِي عَنْ مَكَانِي
 حِينًا، وَيَتَأَيَّ بِي مَكَانِي عَنْ زَمَانِي
 وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ أَهْلِي، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ بَعِيدَةً
 عَنْ أَرْضِهَا، وَأَنَا بَعِيدٌ عَنْ كَلَامِي
 وَالْبَحْرُ يَنْزِلُ تَحْتَ سَطْحِ الْبَحْرِ كَيْ تَطْفُو عِظَامِي
 شَجَرًا. غِيَابِي كُلُّهُ شَجَرٌ. وَبَابِي ظِلُّهُ
 قَمَرٌ. وَكَتَعَانِيَّةٌ أُمِّي. وَهَذَا الْبَحْرُ جِسْرٌ ثَابِتٌ
 لِمَعْبُورِ أَيَّامِ الْقِيَامَةِ. يَا أُمِّي، كَمْ مَرَّةً

سَامُوثُ فَوْقَ فِرَاشِ امْرَأَةِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي
تَخْتَارُهَا «آنَاثُ» لِي، فَتَشُبُّ نَارًا فِي الْغَمَامِ
كَمْ مَرَّةً سَامُوثُ فِي نَغْنَاعِ أَخَوَاضِي الْقَدِيمَةِ كُلَّمَا
فَرَكَتُهُ رِيحُ شِمَالِكَ الْعَالِي رَسَائِلَ مِنْ يَمَامٍ؟
هَذَا غِيَابِي سَيِّدُ يَتْلُو شَرَائِعَهُ عَلَى
أَخْفَادِ لُوطَ، وَلَا يَرَى لِسَدُومَ مَغْفِرَةً سِوَايَ
هَذَا غِيَابِي سَيِّدُ يَتْلُو شَرَائِعَهُ وَيَسْحَرُ مِنْ رُؤَايَ
مَا قِيَمَةُ الْمِرْآةِ لِلْمِرْآةِ؟ لِي وَجْهَةٌ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ لَا
تَضْحَكُ مِنَ التَّارِيخِ، لَا تَمْحُو بُخَارَ الْبَحْرِ عَنْكَ
وَالْبَحْرُ، هَذَا الْبَحْرُ، أَصْغَرُ مِنْ خُرَافَتِهِ وَأَصْغَرُ مِنْ يَدَيْكَ
هُوَ بَزْرُخُ الْبُلُورِ، أَوَّلُهُ كَأَخِيرِهِ، وَلَا مَعْنَى هُنَا
لِدُخُولِكَ الْعَبَسِيِّ فِي أُسْطُورَةٍ تَرَكْتَ جُيُوشًا لِلرُّكَامِ
لِيَمُرَّ جَيْشُ آخَرِ يَزُوي رِوَايَتَهُ وَيَحْفِرُ لِاسْمِهِ
جَبَلًا، وَيَأْتِي ثَالِثٌ وَيَخْطُ سِيرَةَ زَوْجَةٍ خَائِتٍ، وَيَمْحُو رَابِعٌ
أَسْمَاءَ مَنْ سَبَقُوا. هُنَاكَ لِكُلِّ جَيْشٍ شَاعِرٌ
وَمُؤَرِّخٌ، وَرَبَابَةٌ لِلرَّاقِصَاتِ الشَّاخِرَاتِ مِنَ الْبِدَايَةِ وَالْخِتَامِ..
وَسُدَى أَفْتَشُ عَنْ غِيَابِي، فَهُوَ أَبْسَطُ مِنْ حَمِيرِ
الْأَنْبِيَاءِ تَمُرُّ فَوْقَ السَّفْحِ حَامِلَةً سَمَاءَ لِلْأَنَامِ...

وَالْبَحْرُ، هَذَا الْبَحْرُ، فِي مُتَنَاوِلِ الْأَيْدِي. سَأُنْشِي فَوْقَهُ
وَأُسْكُ فِضْتَهُ، وَأُطْلَحُنْ مِلْحَهُ بِيَدَيَّ. هَذَا الْبَحْرُ لَا
يَحْتَلُّهُ أَحَدٌ أَتَى كِشْرَى وَفِرْعَوْنُ وَقَيْصَرُ وَالنَّجَاشِي
وَالْآخَرُونَ، لِيَكْتُبُوا أَسْمَاءَهُمْ، بِيَدِي، عَلَى الْوَاحِي
فَكَتَبْتُ: لِاسْمِي الْأَرْضُ، وَأَسْمُ الْأَرْضِ إِلَهَةٌ تُشَارِكُنِي مُقَامِي
فِي الْمَقْعَدِ الْحَجَرِيِّ. لَمْ أَذْهَبْ وَلَمْ أَزْجِعْ مَعَ الزَّمَنِ الْهَلَامِي

وَأَنَا أَنَا، وَلَوْ أَنْكَسَرْتُ.. رَأَيْتُ أَيَّامِي أَمَامِي
ذَهَبًا عَلَى أَشْجَارِي الْأُولَى، رَأَيْتُ رَيْعَ أُمِّي، يَا أَبِي
وَرَأَيْتُ رِيشتَهَا تُطَرِّزُ طَائِرَيْنِ: لِشَالِهَا، وَلِشَالِ أُخْتِي
وَفَرَّاشَةً لَمْ تَحْرِقْ بِفَرَّاشَةٍ مِنْ أَجْلِنَا، وَرَأَيْتُ لِاسْمِي
جَسَدًا: أَنَا ذَكَرُ الْحَمَامِ يَتَرُّ فِي أَنْثَى الْحَمَامِ.
وَرَأَيْتُ مَنَزِلَنَا الْمُؤَثَّثَ بِالثَّبَاتِ، رَأَيْتُ بَابًا لِلدُّخُولِ
وَرَأَيْتُ بَابًا لِلْخُرُوجِ، رَأَيْتُ بَابًا لِلْخُرُوجِ وَلِلدُّخُولِ...
هَلْ مَرَّ نُوْحٌ مِنْ هُنَاكَ إِلَى هُنَاكَ لِكُنِّي يَقُولُ
مَا قَالَ فِي الدُّنْيَا: لَهَا بَابَانِ مُخْتَلِفَانِ، لَكِنَّ الْحِصَانَ يَطِيرُ بِي
وَيَطِيرُ بِي أَغْلَى وَأَسْقَطُ مَوْجَةً جَرَحَتْ سُفُوحًا، يَا أَبِي
وَأَنَا أَنَا وَلَوْ أَنْكَسَرْتُ، رَأَيْتُ أَيَّامِي أَمَامِي

وَرَأَيْتُ يَبْنَ وَثَائِفِي قَمَرًا يُطِلُّ عَلَى ظَلَامِي
وَرَأَيْتُ هَاوِيَّةً، رَأَيْتُ الْحَرْبَ بَعْدَ الْحَرْبِ، تِلْكَ قَبِيلَةٌ
دَالَتْ، وَتِلْكَ قَبِيلَةٌ قَالَتْ لِهَوْلَاكَو الْمُعَاصِرِ: هَيْتَ لَكَ
وَأَقُولُ: لَسْنَا أُمَّةٌ أَمَّةً، وَأَبْنَعْتُ لِابْنِ خَلْدُونَ أَخْتِرَامِي

وَأَنَا أَنَا، وَلَوْ أَنْكَسَرْتُ عَلَى الْهَوَاءِ الْمَعْدِنِيِّ ... وَأَسْلَمْتَنِي
حَرْبُ الصَّلِيبِيِّ الْجَدِيدِ إِلَى إِلِهِ الْإِنْتِقَامِ
وَالِى الْمَغُولِيِّ الْمُرَابِطِ خَلْفَ أَقْنَعَةِ الْإِمَامِ
وَالِى نِسَاءِ الْمَلِجِ فِي أَسْطُورَةٍ نَخَرْتُ عِظَامِي ...
وَأَنَا أَنَا، إِنْ كُنْتُ أَنْتَ أَبِي، وَلَكِنِّي غَرِيبٌ
عَنْ نَخْلَةِ الصَّخْرَاءِ مُنْذُ وُلِدْتُ فِي هَذَا الزُّحَامِ
وَأَنَا أَنَا، لَا بَابَ يَفْتَحُهُ أَمَامِي الْبَحْرُ
قُلْتُ: فَصِيدَتِي

حَجَرٌ يَطِيرُ إِلَى أَبِي حَجَلًا. أَتَعْلَمُ يَا أَبِي
مَا حَلَّ بِي؟ لَا بَابَ يُغْلِقُهُ عَلَيَّ الْبَحْرُ. لَا
مِرَاةَ أَكْسِرُهَا لِتَنْتَشِرَ الطَّرِيقُ رُؤَى ... أَمَامِي
وَالْأَنْبِيَاءَ جَمِيعُهُمْ أَهْلِي، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ بَعِيدَةً
عَنْ أَرْضِهَا، وَأَنَا بَعِيدٌ عَنْ كَلَامِي ...

سنختار سوفوكلیس

إِذَا كَانَ هَذَا الْخَرِيفُ الْخَرِيفَ النَّهَائِيَّ، فَلْنَعْتَزِلْ
 عَنِ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ فِي الْبَحْرِ وَالذُّكْرِيَّاتِ... وَعَمَّا صَنَعْنَا
 بِإِخْوَتِنَا قَبْلَ عَصْرِ النُّحَاسِ: جَرَحْنَا كَثِيرًا مِنَ الْكَائِنَاتِ
 بِأَسْلِحَةٍ صُنِعَتْ مِنْ هَيَاكِلِ إِخْوَتِنَا، كَيْ نَكُونَ
 سَلَائِلَهُمْ قُرْبَ مَاءِ الْبَنَائِعِ، وَلْنَعْتَزِلْ
 لِأَهْلِ الْغَزَالَةِ عَمَّا صَنَعْنَا بِهَا قُرْبَ مَاءِ الْبَنَائِعِ، حِينَ
 تَدْفُقُ خَيْطٌ مِنَ الْأَرْجَوَانِ عَلَى الْمَاءِ، لَمْ نَنْتَبِهْ أَنَّهُ دَمُنَا
 يُورِّخُ سِيرَتَنَا فِي شَقَائِقِ هَذَا الْمَكَانِ الْجَمِيلِ



وَإِنْ كَانَ هَذَا الْخَرِيفُ الْخَرِيفَ النَّهَائِيَّ، فَلْنَتَّحِذْ بِالشُّعْبِ
 لِنُعْطِرَ مِنْ أَجْلِ هَذَا النَّبَاتِ الْمُعْلَقِ فَوْقَ أَنْاسِيدِنَا

لِنُطِطِرَ فَوْقَ جُذُوعِ الْأَسَاطِيرِ... وَالْأُمُهَاتِ اللَّوَاتِي وَقَفْنَ
 عَلَى أَوَّلِ الْعُمُرِ كَيْ يَسْتَعِدْنَ حِكَايَتَنَا مِنْ رُوَاةٍ
 أَطَالُوا عَلَيْهَا فُصُولَ الرَّحِيلِ،
 أَمَا كَانَ فِي وُسْعِنَا أَنْ نُعَدِّلَ فَضْلَ الرَّحِيلِ قَلِيلاً
 لِيَهْدَأَ فِينَا صُرَاخُ التَّخِيلِ؟



وُلِدْنَا هُنَاكَ عَلَى خَيْلِنَا، وَآخَرَتْنَا بِشَمْسٍ أَرِيحَا الْقَدِيمَةِ
 رَفَعْنَا سُقُوفَ الْبُيُوتِ لِيَرْتَدِّي الظِّلُّ أَجْسَادَنَا، وَآخَتَقْنَا
 بَعِيدَ الْكُرُومِ وَعِيدَ الشَّعِيرِ، وَزَيَّنَتِ الْأَرْضُ أَسْمَاءَنَا
 بِسُوسِنِيهَا وَأَسْمِيهَا. وَصَقَلْنَا حِجَارَتَنَا كَيْ تَرِقَ... تَرِقُ
 عَلَى مَهَلٍ فِي بُيُوتٍ يُلَمِّعُهَا الضُّوْءُ وَالْبُرْتُقَالُ، وَكُنَّا
 نَعْلُقُ أَيَّامَنَا فِي مِفَاتِيحٍ مِنْ خَشَبِ السَّرُورِ. كُنَّا نَعِيشُ
 عَلَى مَهَلٍ، كَانَ لِلْعُمُرِ طَعْمُ الْفُرُوقِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَ الْفُصُولِ



وَأِنْ كَانَ هَذَا الْخَرِيفُ الْخَرِيفَ النَّهَائِيَّ، فَلْتَسْتَعِدَّ عَنْ
 سَمَاءِ الْمَنَافِي وَعَنْ شَجَرِ الْآخَرِينَ. كَبِرْنَا قَلِيلاً
 وَلَمْ نَنْتَبِهْ لِلتَّجَاعِيدِ فِي نَبْرَةِ النَّايِ... طَالَ الطَّرِيقُ

وَلَمْ نَعْرِفْ أَنَّا سَائِرُونَ عَلَى دَرْبٍ قَيْصَرَ. لَمْ نَنْتَبِهْ لِلْقَصِيدَةِ
 وَقَدْ أَفْرَعَتْ أَهْلَهَا مِنْ عَوَاطِفِهِمْ كَيْ تُوَسِّعَ شُطَّانَهَا
 وَتَنْصِبَ حَيْمَتَنَا حَيْثُ أَلَقَتْ بِنَا الْحَزْبُ بَيْنَ أَثِينَا وَفَارِسِ
 وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَمِصْرَ. وَنَحْنُ نُحِبُّ الْمَحَارِثَ أَكْثَرَ مِنَّا
 نُحِبُّ السُّيُوفَ، نُحِبُّ هَوَاءَ الْخَرِيفِ، نُحِبُّ الْمَطَرُ
 نُحِبُّ الطَّبِيعَةَ عَاشِقَةً فِي تَقَالِيدِ آلِهَةٍ وُلِدَتْ بَيْنَنَا
 لِتَحْمِيَتِنَا مِنْ رِيَّاحِ الْجَفَافِ وَخَيْلِ الْعَدُوِّ الَّذِي نَجْهَلُهُ،
 وَلَكِنْ أَبَوَانَا بَيْنَ مِصْرَ وَبَابِلَ مَفْتُوحَةٌ لِلْحُرُوبِ
 وَمَفْتُوحَةٌ لِلرَّحِيلِ.



... وَإِنْ كَانَ هَذَا الْخَرِيفُ الْخَرِيفَ النَّهَائِيَّ، فَلَنُخْتَصِرَ
 مَدَائِحَنَا لِلْأَوَانِي الْقَدِيمَةِ، حَيْثُ حَفَرْنَا عَلَيْهَا مَزَامِيرَنَا
 فَقَدْ حَفَرَ الْآخَرُونَ عَلَى مَا حَفَرْنَا مَزَامِيرَ أُخْرَى
 وَلَمْ تَنْكَسِرْ بَعْدُ. تَضَعْدُ فَوْقَ الدُّرُوعِ الْقَدِيمَةِ حُبِيرَةٌ
 لِشُخْفِي أَزْهَارُهَا الْحُمْرُ مَا صَنَعَ السَّيْفُ بِالْإِسْمِ. آثَارُنَا
 سَتَحْضُرُ مِنْهَا الظَّلَالُ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا الْوُصُولَ
 إِلَى أَمْنًا، فِي نِهَايَةِ هَذَا الْمَمَرِ الطَّوِيلِ.



لَنَا مَا لَنَا. كُلُّ شَيْءٍ لَنَا: مُفْرَدَاتُ الْوَدَاعِ
تُعِدُّ لَنَا طَفْسَ زَيْنَتِهَا... كُلُّ مُفْرَدَةٍ إِمْرَأَةٍ
عَلَى آثَابٍ تَحْرُسُ رَجَعَ الصَّدَى. كُلُّ مُفْرَدَةٍ شَجَرَةٍ
تَذُقُ مَعَ الرِّيحِ قُفْلَ الْمَدَى. كُلُّ مُفْرَدَةٍ شُرْفَةٍ
تُطْلُ عَلَى بُقْعِ الْغَيْمِ فِي السَّاحَةِ الْخَالِيَةِ
تُطِلُّ عَلَى ظِلِّهَا فَوْقَ رِيَشِ الْهَدِيلِ...



لَنَا مَا لَنَا. كُلُّ شَيْءٍ هُنَاكَ لَنَا... أَمْسِنَا
مُزْتَبِ أَخْلَامِنَا، صُورَةَ صُورَةٍ، وَيُهْدُبُ أَيَّامَنَا
وَأَيَّامَ إِخْوَتِنَا السَّابِقِينَ، وَأَيَّامَ أَعْدَائِنَا السَّابِقِينَ،
وَنَحْنُ الَّذِينَ آخَرَقْنَا بِشَمْسِ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ، نَحْنُ الَّذِينَ
نَجِيءُ إِلَى أَوَّلِ الْأَرْضِ كَيْ نَسْلُكَ الطَّرِيقَ السَّابِقَةَ
وَكَيْ نَمْلِكَ الْوَرْدَةَ السَّابِقَةَ
وَكَيْ نَنْطِقَ اللَّغَةَ السَّابِقَةَ
سَنَخْتَارُ «سُوفُوكَلَّ» قَبْلَ «أَمْرِئِ الْقَيْسِ»، مَهْمَا
تَعَبَّرَ بَيْنَ الرِّعَاةِ، وَصَلَّى لِقَيْصَرَ إِخْوَتِنَا السَّابِقِينَ
وَأَعْدَاؤِنَا السَّابِقِينَ مَعًا فِي آخِثَالِ الظَّلَامِ...

وَمَهْمَا تَغَيَّرَ دِينُ الرُّوَاةِ، فَلَا بُدَّ مِنْ شَاعِرٍ
يُقَتِّلُ عَنْ طَائِرٍ فِي الرُّحَامِ لِيُخْدِشَ وَجْهَ الرُّحَامِ
وَيَفْتَحَ فَوْقَ الشُّفُوحِ مَمَرَاتِ إِلَهَةٍ عَبَّرَتْ مِنْ هُنَا
لِتَنْشُرَ أَرْضَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ. لَا بُدَّ مِنْ ذَاكِرَةٍ
لِتَنْسَى وَتَغْفِرَ حِينَ يَحُلُّ السَّلَامُ النَّهَائِي مَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْغَزَالَةِ وَالذُّئْبِ، لَا بُدَّ مِنْ ذَاكِرَةٍ
لِتُخْتَارَ «سوفوكل»، فِي آخِرِ الْأَمْرِ، كَي يَكْسِرَ الدَّائِرَةَ
وَلَا بُدَّ مِنْ فَرَسٍ فَوْقَ سَاحَابِ هَذَا الصَّهِيلِ...



لَنَا الْخَرِيفُ قَصِيدَةُ حُبٍّ... قَصِيدَةُ حُبٍّ قَصِيرَةٍ
تَدُورُ بِنَا الرِّيحُ، يَا حُبُّ، نَسْقُطُ قُرْبَ الْبَحِيرَةِ أَسْرَى
نُداوِي الْهَوَاءِ التَّرِيضِ، نَهْزُ الْغُصُونِ لِنَسْمَعَ نَبْضَ الْهَوَاءِ
نُخَفِّفُ طَقْسَ الْعِبَادَةِ، نَتْرُكُ إِلَهَةَ الشُّعُوبِ عَلَى الشَّاطِئَيْنِ
وَنُخْمِلُ أَصْغَرَهَا مَعَ زَادِ الطَّرِيقِ، وَنُخْمِلُ هَذَا الطَّرِيقَ...
وَنَمْشِي

وَعِنْدَ الْبَنَائِعِ نَقْرَأُ آثَارَنَا: هَلْ مَرَزْنَا هُنَا؟
وَهَلْ نَحْنُ أَصْحَابُ هَذَا الرُّجَاجِ الْمُلَوَّنِ... هَلْ نَحْنُ نَحْنُ؟
سَتَعْرِفُ مَا صَنَعَ الشَّيْفُ بِالْإِسْمِ عَمَّا قَلِيلٍ

فَيَا حُبُّ أَتَيْ لَنَا مَا لَنَا... مِنْ هَوَاءِ الْحُقُولِ...



قَصِيدَةُ حُبِّ لَنَا فِي الْخَرِيفِ، قَصِيدَةُ حُبِّ آخِرَةِ
وَلَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نُقْصِرَ عُثْمَرَ الطَّرِيقِ، وَلَكِنْ أَعْمَارَنَا
نُطَارِدُنَا كَيْ نَحُتَّ حُطَانَا إِلَى أَوَّلِ الْحُبِّ، يَا حُبُّ كُنَّا
تُعَالِبُ ذَاكَ السِّيَاحِ وَبَابُوخَ السَّهْلِ: كُنَّا نَرَى مَا نُحِسُّ،
وَكُنَّا نَذُقُ عَلَى جَرَسِ الْوَقْتِ بُنْدُقَنَا. كَانَ فِينَا طَرِيقٌ
وَحِيدٌ إِلَى الشَّاحَةِ الْقَمَرِيَّةِ، وَاللَّيْلُ لَا لَيْلَ فِيهِ
سِوَى ثَمَرِ الثُّوبِ، كَانَ لَنَا قَمَرٌ وَاحِدٌ فِي الْكَلَامِ
وَكُنَّا رُوَاةَ الْحِكَايَةِ قَبْلَ وُصُولِ الْغُرَاةِ إِلَى غَدِنَا...
فَيَا لَيْتَنَا شَجَرٌ فِي الْأَعَايِي لِنُضْبَحَ بَاباً لِكُوخِ، وَسَقْفاً

لَيْسَتْ، وَطَاوِلَةٌ لِعِشَاءِ الْمُحِبِّينَ، أَوْ مَقْعَدًا
وَيَا حُبُّ، أَتَيْ عَلَيْنَا قَلِيلاً لِنَتَغَرَّلَ ثُوبَ الشَّرَابِ الْجَمِيلِ



يُسَامِرُنَا ظِلُّنَا فِي الْجَنُوبِ، وَتَعْوِي إِيَّانَا الْوُحُوشُ

على قمرٍ أحمَرٍ فَوْقَنَا. سَوْفَ نَلْمُسُ خُبْرَ الرِّعَاةِ
وَنَلْبِسُ كَثَّانَ أَثَوَابِهِمْ كَيْ نَفَاجِيءَ أَنْفُسَنَا...

تِلْكَ أَيَّامُنَا

تَمُرُّ، قُبَالَتَنَا، فِي أَنْظَامٍ بَطِيءٍ الْخُطَى...

تِلْكَ أَيَّامُنَا

تَمُرُّ عَلَى عَرَبَاتِ الْجُنُودِ وَتَزِيحِي تَحِيَّتَهَا لِلشَّفُوحِ الْخَفِيفَةِ
«سَلَاماً عَلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، أَرْضِ الْعَزَالَةِ، وَالْأَرْجَوَانِ»
وَأَيَّامُنَا تِلْكَ ...

تَنْسَلُ خَيْطاً وَخَيْطاً، وَنَحْنُ الَّذِينَ
نَسْجُنَا عِبَادَةَ أَيَّامِنَا. لَمْ يَكُنْ لِلْإِلَهَةِ دَوْرٌ
سِوَى أَنَّهَا سَامَرْتُنَا، وَصَبَّتْ لَنَا خَمْرَهَا...

تِلْكَ أَيَّامُنَا

تُطِلُّ عَلَيْنَا لِنَغْطِشَ أَكْثَرَ.. لَمْ نَتَعَرَّفْ عَلَى جُرْجِنَا فِي
رِحَامِ الْمَجْرُوحِ الْقَدِيمَةِ، لَكِنَّ هَذَا الْمَكَانَ - التَّرِيفَ
يُسَمَّى بِأَسْمَائِنَا. لَمْ نَكُنْ مُخْطِئِينَ لِأَنَّا وَلِدْنَا هُنَا
وَلَا مُخْطِئِينَ... لِأَنَّ غُرَاءَ كَثِيرِينَ هَبُّوا عَلَيْنَا
هُنَا، وَأَحْبَبُوا مَدَائِحَنَا لِلنَّبِيذِ، أَحَبُّوا أَسَاطِيرَنَا
وَفِضَّةَ زَيْتُونِنَا. لَمْ نَكُنْ مُخْطِئِينَ لِأَنَّ الْعَذَارَى

على أرضِ كنعانَ علَّقنَ فوقَ رؤوسِ ألوعول
سراويلهنَّ، لينَضَجَ نينُ البراري ويَكْبِرَ خوخُ الشُّهول،

ولا مُخْطِئِينَ.. لأنَّ رِوَاةَ كثيرينَ جاؤوا إلى أبجديتنا
لكي يَصِفُوا أرضنا، مثلنا مثلاً، تلكَ أضوائنا
وأضوائهم تتقاطعُ فوقَ التلالِ صدىً واحداً للصدى
ويختلطُ النَّاي في النَّاي، والريُّحُ تغوي وتغوي سدى
كانَ أناشيدنا في الخريفِ أناشيدهم في الخريف
كانَ البلادُ تُلَقُّنا ما نقول...

ولكنَّ عيدَ الشعيرِ لنا، وأريحا لنا، ولنا
تقاليدنا في مديحِ الثيوبِ وتزيئةِ القمحِ والأقحوان



سلاماً على أرضِ كنعانَ،

أرضِ الغزاةِ،

والأزجوان

شتاء ریتا

رَبِّنا تُرْتَّبُ لَيْلَ غُرْفَتِنَا: قَلِيلُ
هَذَا النَّيِّدُ،

وَهَذِهِ الْأَزْهَارُ أَكْبَرُ مِنْ سَرِيرِي
فَأَفْتَحْ لَهَا الشُّبَّاكَ كَيْ يَتَغَطَّرَ اللَّيْلُ الْجَمِيلُ
ضَعْ، هَهُنَا، قَمَرًا عَلَى الْكُرْسِيِّ. ضَعْ
فَوْقَ، الْبَحِيرَةَ حَوْلَ مِنْدِيلِي لِيَرْتَفِعَ التَّخِيلُ
أَعْلَى وَأَعْلَى،

هَلْ لَيْسَتْ سِوَايَ؟ هَلْ سَكَتَكَ امْرَأَةٌ
لِتُجْهِشَ كُلَّمَا أَلْتَفَّتْ عَلَى جِذْعِي فُرُوعَكَ؟
حُكَّ لِي قَدَمِي، وَحُكَّ دَمِي لِتَعْرِفَ مَا
تُخَلِّفُهُ الْعَوَاصِفُ وَالشُّيُولُ
مِنِّْي وَمِنْكَ ...

تَنَامُ رَيْتَا فِي حَدِيقَةِ جِسْمِهَا
تَوْتُ السِّيَاحِ عَلَى أَظَافِرِهَا يُضِيءُ الْمِلْحَ فِي
جَسَدِي. أَحِبُّكَ. نَامَ عُصْفُورَانِ تَحْتَ يَدَيَّ...
نَامَتْ مَوْجَةُ الْقَمَحِ النَّبِيلِ عَلَى تَنْفُسِهَا الْبَطِيءِ،
وَوَزْدَةُ حَمْرَاءِ نَامَتْ فِي الْحَمَرِ،
وَنَامَ لَيْلٌ لَا يَطُولُ

وَالْبَحْرُ نَامَ أَمَامَ نَافِذَتِي عَلَى إِيقَاعِ رَيْتَا
يَغْلُو وَيَهْطُ فِي أَشِعَّةِ صَدْرِهَا الْعَارِي، فَنَامِي
يَتَنِي وَيَتَنِّكَ، لَا تُغْطِي عَثَمَةَ الذَّهَبِ الْعَمِيقَةَ يَتَنَّا
نَامِي يَدَا حَوْلَ الصُّدَى،

وَيَدَا تُبَغِّيرُ غُرْلَةَ الْغَابَاتِ، نَامِي
بَيْنَ الْقَمِيصِ الْفُسْتُكِيِّ وَمَقْعَدِ اللَّيْمُونِ، نَامِي
فَرَسًا عَلَى رَايَاتِ لَيْلَةٍ غُرْسِهَا...
هَذَا الصَّهِيلُ

هَدَأَتْ خَلَايَا النَّحْلِ فِي دَمِنَا، فَهَلْ كَانَتْ هُنَا
رَيْتَا، وَهَلْ كُنَّا مَعًا؟

... رَيْتَا مَسْرُحَلُ بَعْدَ سَاعَاتٍ وَتَتْرُكُ ظِلَّهَا

زَنْزَانَةٌ يَبِضَاءُ. أَيْنَ سَتَلْتَنِي؟
سَأَلْتُ يَدَيْهَا، فَالْتَفَتُ إِلَى الْبَعِيدِ

الْبَحْرُ خَلَفَ الْبَابَ، وَالصُّعْرَاءُ خَلَفَ الْبَحْرَ، قَبْلَنِي عَلَى
شَفْتَيَّ - قَالَتْ. قُلْتُ: يَا رَيْتَا، أَلْزَحَلُ مِنْ جَدِيدٍ
مَا دَامَ لِي عِنَبٌ وَذَاكِرَةٌ، وَتَتْرُكْنِي الْفُصُولُ

بَيْنَ الْإِشَارَةِ وَالْعِبَارَةِ هَاجِسًا؟
مَاذَا تَقُولُ؟

لَا شَيْءَ يَا رَيْتَا، أَقْلُدُ فَارِسًا فِي أُغْنِيَةٍ
عَنْ لَعْنَةِ الْحُبِّ الْمُحَاصِرِ بِالْمَرَايَا...

عَنِّي؟

وَعَنْ حُلَمَيْنِ فَوْقَ وَسَادَةٍ يَتَقَاطِعَانِ وَيَهْرُبَانِ، فَوَاحِدٌ
يَسْتَسْلُ سِكِّينًا، وَأَخَرُ يُودِعُ الثَّانِي الْوَصَايَا
لَا أَذْرُكَ الْمَعْنَى، تَقُولُ
وَلَا أَنَا، لُغْتِي سَطَايَا

كغِيَابِ إِمْرَأَةٍ عَنِ الْمَعْنَى، وَتَتَجَرَّ الحُيُولُ
فِي آخِرِ الْمَيْدَانِ ...

رَبَّنَا تَحْتَسِي شَايَ الصُّبَاحِ
وَتَقْشُرُ الثُّفَاحَةَ الْأُولَى بَعْشَرَ زَنَابِقِي،
وَتَقُولُ لِي:
لَا تَقْرَأِ الْآنَ الْجَرِيدَةَ، فَالطُّبُولُ هِيَ الطُّبُولُ
وَالْحَزْبُ لَيْسَتْ مِهْنَتِي. وَأَنَا أَنَا. هَلْ أَنْتَ أَنْتَ؟
أَنَا هُوَ،

هُوَ مَنْ رَأَى غَزَالَةً تَرْمِي لِأَلْفِهَا عَلَيْهِ
هُوَ مَنْ رَأَى شَهَوَاتِهِ تَجْرِي وَرَاءَكَ كَالْغَدِيرِ
هُوَ مَنْ رَأَى تَائِهَاتِهِ تَوَحَّدَا فَوْقَ السَّرِيرِ
وَتَبَاعَدَا كَتَجِيئةِ الْغُرَبَاءِ فِي الْمِينَاءِ، يَأْخُذُنَا الرِّحِيلُ
فِي رِيحِهِ وَرَقًا وَيَزْمِينَا أَمَامَ فَنَادِي الْغُرَبَاءِ
مِثْلَ رَسَائِلٍ قُرِئَتْ عَلَى عَجَلٍ،
أَتَأْخُذُنِي مَعَكَ؟

فَأَكُونُ خَاتَمَ قَلْبِكَ الْخَافِي، أَتَأْخُذُنِي مَعَكَ
فَأَكُونُ ثَوْبَكَ فِي بِلَادِ أَجْنَبَتِكَ ... لِتَضْرَعَكَ

وَأَكُونَ تَابُوتًا مِنَ النَّفْعِ، يَحْمِلُ مَضْرَعَكَ
وَتَكُونَ لِي حَيًّا وَمَيِّتًا،

ضَاعَ يَا رَبَّنَا الدَّلِيلُ
وَالْحُبُّ مِثْلُ الصَّوْتِ وَغَدُ لَا يُرَدُّ ... وَلَا يَزُولُ

... رَبَّنَا تُعِدُّ لِي النَّهَارَ
حَجَلًا تَجْمَعُ حَوْلَ كَفِّ حِذَائِهَا الْعَالِي:
صَبَاحَ الْخَيْرِ يَا رَبَّنَا،
وَعَيْمًا أَزْرَقًا لِلْيَاسَمِينَةِ تَحْتَ إِبْطِئِهَا:
صَبَاحَ الْخَيْرِ يَا رَبَّنَا،

وَفَاكِهَةً لَصُوءِ الْفَجْرِ: يَا رَبَّنَا صَبَاحَ الْخَيْرِ، يَا
رَبَّنَا أَعِيدِنِي إِلَى جَسَدِي لِتَهْدَأَ لَحْظَةً
إِبْرَ الصَّنَوْبَرِ فِي دَمِي الْمَهْجُورِ بَعْدَكَ. كُلَّمَا
عَانَقْتُ بُرْجَ الْعَاجِ فَرَّثَ مِنْ يَدَيَّ يَمَامَتَانِ..
قَالَتْ: سَأَرْجِعُ عِنْدَمَا تَتَبَدَّلُ الْأَيَّامُ وَالْأَخْلَامُ، يَا رَبَّنَا... طَوِيلُ
هَذَا الشِّتَاءِ، وَنَحْنُ نَحْنُ، فَلَا تَقُولِي مَا أَقُولُ أَنَا هِيَ،
هِيَ مَنْ رَأَيْتُكَ مُعَلَّقًا فَوْقَ السِّيَاحِ، فَأَنْزَلْتُكَ وَصَمَدْتُكَ

وَبَدَمَعِهَا غَسَلَتْكَ، وَأَنْتَشَرْتُ بِسَوْسِنِهَا عَلَيْكَ
وَمَرَزْتُ بَيْنَ سُيُوفِ إِخْوَتِهَا وَلَغْنَةِ أُمِّهَا. وَأَنَا هِيَ
هَلْ أَنْتَ أَنْتَ؟

... تَقُومُ رَيْتَا

عَنْ رُكْبَتِي، تَزُورُ زِينَتَهَا، وَتَرْبُطُ شَعْرَهَا بِفَرَّاشَةٍ
فَضِيَّةٍ. ذَيْلُ الْحِصَانِ يُدَاعِبُ النَّمَشَ الْمُبْعَثَرُ
كَرْدَاذِ ضَوْءٍ دَاكِئٍ فَوْقَ الرُّخَامِ الْأُنْثَوِيِّ. تُعِيدُ رَيْتَا
زِرَّ الْقَمِيصِ إِلَى الْقَمِيصِ الْخَزْدَلِيِّ ... أَأَنْتَ لِي؟
لَكَ، لَوْ تَرَكْتَ الْبَابَ مَفْتُوحاً عَلَى ماضِيٍّ، لِي
مَاضٍ أَرَاهُ الْآنَ يُؤَلِّدُ مِنْ غِيَابِكَ،

مَنْ صَرِيرِ الْوَقْتِ فِي مِفْتَاحِ هَذَا الْبَابِ، لِي
مَاضٍ أَرَاهُ الْآنَ يَجْلِسُ قُرْبَنَا كَالطَّائِلَةِ،
لِي رَغْوَةُ الصَّابُونِ،

وَالْعَسَلُ الْمُمَلَّحُ،

وَالنُّدَى،

وَالزَّنَجِيلُ

وَلَكَ الْأَيَّامُ، إِنَّ أَرَذْتَ، لَكَ الْأَيَّامُ وَالسُّهُولُ

وَلَكَ الْأَغَانِي، إِنْ أَرَدْتَ، لَكَ الْأَغَانِي وَالذُّهُولُ
 إِنِّي وَلِدْتُ لَكَ أُحِبُّكَ
 فَرَسًا تُرْقِصُ غَابَةً، وَتَشُقُّ فِي الْمَرْجَانِ غَيْثَكَ
 وَوَلِدْتُ سَيِّدَةً لِسَيِّدِهَا، فَخُذْنِي كَمَا أُصَبُّكَ
 خَمْرًا نِهَائِيًّا لِأَسْفَى مِنْكَ فَيْكُ، وَهَاتِ قَلْبَكَ
 إِنِّي وَلِدْتُ لَكَ أُحِبُّكَ
 وَتَرَكْتُ أُمِّي فِي الْمَزَامِيرِ الْقَدِيمَةِ تَلْعُنُ الدُّنْيَا وَشَعْبَكَ
 وَوَجَدْتُ حُرَّاسَ الْمَدِينَةِ يُطْعِمُونَ النَّارَ حُبُّكَ
 وَأَنَا وَلِدْتُ، لَكَ أُحِبُّكَ

... ريتا نُكْسِرُ جُوزَ أَيَّامِي، فَتَسْبِغُ الْحَقُولُ
 لِي هَذِهِ الْأَرْضُ الصَّغِيرَةُ غُرْفَةً فِي شَارِعِ
 فِي الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ مِنْ مَبْنَى عَلَى جَبَلٍ
 يُطِلُّ عَلَى هَوَاءِ الْبَحْرِ. لِي قَمَرٌ نَبِيدِي، وَلِي حَجَرٌ صَقِيلُ
 لِي حِصَّةٌ مِنْ مَشْهَدِ الْمَوْجِ الْمُسَافِرِ فِي الْغُيُومِ، وَحِصَّةٌ
 مِنْ سِفْرِ تَكْوِينِ الْبِدَايَةِ، حِصَّةٌ مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ، وَمِنْ
 عِيدِ الْحَصَادِ، وَحِصَّةٌ مِمَّا مَلَكَتْ، وَحِصَّةٌ مِنْ خُبْرِ أُمِّي
 لِي حِصَّةٌ مِنْ سَوَسَنِ الْوِذْيَانِ فِي أَشْعَارِ عُشَّاقِ قُدَامِي

لي حصّة من حِكْمَةِ العُشَّاقِ: يَعْشَقُ وَجْهَ قَاتِلِهِ الْقَتِيلُ،

لَوْ تَغْبِرِينَ النَّهْرَ، يَا رَيْتَا.

وَأَيْنَ النَّهْرُ؟ قَالَتْ ...

قُلْتُ: فِيكَ وَفِي نَهْرٍ وَاحِدٍ،

وَأَنَا أَسِيلُ دِمَاءٍ، وَذَاكِرَةُ أَسِيلٍ

لَمْ يَتْرِكِ الْحُرَّاسُ لِي بَاباً لَأَدْخُلَ، فَاتَّكَأْتُ عَلَى الْأُفُقِ

وَنَظَرْتُ تَحْتَ،

نَظَرْتُ فَوْقَ،

نَظَرْتُ حَوْلَ،

فَلَمْ أَجِدْ

أُفُقاً لَأَنْظُرَ، لَمْ أَجِدْ فِي الصُّوْرِ إِلَّا نَظَرَنِي

تَرْتَدُّ نَحْوِي. قُلْتُ: عُودِي مَرَّةً أُخْرَى إِلَيَّ، فَقَدْ أَرَى

أَحَدًا يُحَاوِلُ أَنْ يَرَى أُفُقاً يُرْمِيهِ رَسُولُ

بِرِسَالَةٍ مِنْ لَفْظَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ: أَنَا، وَأَنْتِ

فَرَحٌ صَغِيرٌ فِي سَرِيرِ صَبِيٍّ... فَرَحٌ ضَّئِيلٌ

لَمْ يَقْتُلُونَا، بَعْدُ، يَا رَيْتَا، وَيَا رَيْتَا.. ثَقِيلٌ

هذا الشتاء وبارد

... ريتا تُغني وخذها

ليريد غُرْبَتِهَا الشَّمَالِيَّ البعيد: تَرَكْتُ أُمِّي وَحْدَهَا
قُرْبَ الْبَحِيرَةِ وَحْدَهَا، تَبْكِي طُفُولَتِي الْبَعِيدَةَ بَعْدَهَا
فِي كُلِّ أُنْسِيَّةٍ تَنَامُ عَلَى صَفِيرَتِي الصَّغِيرَةِ عِنْدَهَا
أُمِّي، كَسَرْتُ طُفُولَتِي وَخَرَجْتُ إِمْرَأَةً تُرَبِّي نَهْدَهَا
بِقَمِ الْحَبِيبِ. تَدُورُ ريتا حَوْلَ ريتا وَحْدَهَا:

لَا أَرْضَ لِلْجَسَدَيْنِ فِي جَسَدٍ وَلَا مَنَقَى لِمَنَقَى
فِي هَذِهِ الْغُرْفِ الصَّغِيرَةِ، وَالْخُرُوجُ هُوَ الدُّخُولُ
عَبَثًا تُغْنِي بَيْنَ هَاوِيَتَيْنِ، فَلْتَرْحَلْ... لِيَتَّضِعَ السَّبِيلُ
لَا أَسْتَطِيعُ، وَلَا أَنَا، كَأَنْتَ تَقُولُ وَلَا تَقُولُ
وَتَهْدِي الْأَفْرَاسَ فِي دَمِهَا: أَمِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ

تَأْتِي الشُّنُونُو، يَا غَرِيبُ وَيَا حَبِيبُ، إِلَى حَدِيقَتِكَ الْوَحِيدَةِ؟
خُذْنِي إِلَى أَرْضٍ بَعِيدَةٍ

خُذْنِي إِلَى الْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ، أَجْهَشْتُ ريتا: طَوِيلُ
هَذَا الشِّتَاءِ،

وَكَسَّرْتُ خَزَفَ النَّهَارِ عَلَى حَدِيدِ النَّافِذَةِ

وَضَعْتُ مُسَدَّسَهَا الصَّغِيرَ عَلَى مُسَوِّدَةِ الْقَصِيدَةِ
 وَرَمْتُ جَوَارِبَهَا عَلَى الْكُرْسِيِّ، فَأَتَكَسَّرَ الْهَدِيلُ
 وَمَضَتْ إِلَى الْمَجْهُولِ حَافِيَةً، وَأَذَرَ كَنِي الرَّحِيلُ

فرس للغريب

(إلى شاعرٍ عراقي)

أَعِدُّ، لِأَرْثِيكَ، عِشْرِينَ عَاماً مِنَ الْحُبِّ. كُنْتُ
وَحِيداً هُنَاكَ تُؤْتِي مَنْفَى لِسَيِّدَةِ الرِّزْقُونِ، وَبَيْنَا
لِسَيِّدِنَا فِي أَعَالِي الْكَلَامِ. تَكَلَّمْ لِنُصْعَدَ أَعْلَى
وَأَعْلَى ... عَلَى سُلَّمِ الْبُفْرِ، يَا صَاحِبِي، أَيْنَ أَنْتَ؟
تَقْدَمُ، لِأُحْمِلَ عَنْكَ الْكَلَامَ ... وَأَرْثِيكَ/

... لَوْ كَانَ جِسْراً عَبْرَنَا. لَكِنَّهُ الدَّارُ وَالْهَوَايَةِ
وَلِلْقَمَرِ الْبَابِلِيِّ عَلَى شَجَرِ اللَّيْلِ مَمْلَكَةٌ لَمْ تَعُدْ
لَنَا، مُنْذُ عَادَ النَّسَارُ عَلَى خَيْلِنَا. وَالنَّسَارُ الْجُدُ
يَجْزُونَ أَسْمَاءَنَا خَلْفَهُمْ فِي شِعَابِ الْجِيَالِ، وَيَنْسُونَنَا
وَيَنْسُونَ فِينَا نَحِيلاً وَنَهْرَيْنِ: يَنْسُونَ فِينَا الْعِرَاقَ
أَمَا قُلْتُ لِي فِي الطَّرِيقِ إِلَى الرِّيحِ: عَمَّا قَلِيلَ

سَنَشْحُنْ تَارِيخَنَا بِالْمَعَانِي، وَتَنْطَفِئُ الْحَرْبُ عَمَّا قَلِيل
 وَعَمَّا قَلِيلٍ نُشَيِّدُ سُومَرَ، ثَانِيَةً، فِي الْأَغَانِي
 وَنَفْتَحُ بَابَ الْمَسَارِحِ لِلنَّاسِ وَالطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ؟
 وَنَزْجِعُ مِنْ حَيْثُ جَاءَتْ بِنَا الرِّيحُ ... /

... لَمْ يَتَّقَ فِي الْأَرْضِ مُتَسَعِّ لِلْقَصِيدَةِ، يَا صَاحِبِي
 فَهَلْ فِي الْقَصِيدَةِ مُتَسَعِّ، بَعْدُ، لِلأَرْضِ بَعْدَ الْعِرَاقِ؟
 وَرُومًا تُحَاصِرُ أَمْطَارَ عَالَمِنَا، وَالزُّنُوجُ يَدُقُّونَ أَقْمَارَهَا
 نُحَاسَأُ عَلَى آلِجَازٍ. رُومًا تُعِيدُ الزَّمَانَ إِلَى الْكَهْفِ. رُومًا
 تَهْبُ عَلَى الْأَرْضِ، فَاتَّقِ لِمَنْفَاكَ مَنْفَى...

لَنَا غُرَفٌ فِي حَدَائِقِ آبَ، هُنَا فِي الْبِلَادِ الَّتِي
 تُحِبُّ الْكِلَابَ وَتُكْرَهُ شَعْبَكَ وَأَسْمَ الْجَنُوبِ. لَنَا
 بَقَايَا نِسَاءٍ طُرِدْنَ مِنَ الْأَقْحَوَانِ. لَنَا أَصْدِقَاءُ
 مِنَ الْعَجَرِ الطَّيِّبِينَ. لَنَا دَرَجُ الْبَارِ. رَامِبُوا لَنَا. وَلَنَا
 رَصِيفٌ مِنَ الْكَسْتَنَاءِ. لَنَا تَكْنُولُوجِيَا لِقَتْلِ الْعِرَاقِ

تَهْبُ جَنُوبِيَّةٌ رِيحُ مَوْتَاكَ. نَسْأَلُنِي: هَلْ أَرَاكَ؟

أقول: تراني مساءً قليلاً على نَشْرَةِ الشَّاشَةِ الْخَامِسَةِ
فَمَا نَفْعُ حَرِّيَّتِي يَا تَمَائِيلَ رُودَانَ؟ لَا تَتَسَاءَلْ، وَلَا تُعَلِّقْ عَلَى
بَلَحِ التَّحْلِ ذَاكَرَتِي جَرَساً. قَدْ خَمِرْنَا
مَنَافِينَا مُنْذُ هَبَّتْ جَنُوبِيَّةُ رِيحِ مَوْتَكَ /...

... لَا بُدَّ مِنْ فَرَسٍ لِلْغَرِيبِ لِتَتَبَعَ قَيْصَرَ، أَوْ
لِيَزْجَعَ مِنْ لَشَعَةِ النَّايِ. لَا بُدَّ مِنْ فَرَسٍ لِلْغَرِيبِ
أَمَا كَانَ فِي وَشْعِنَا أَنْ نَرَى قَمَرًا وَاحِدًا لَا يَدُلُّ
عَلَى أَمْرَاءٍ مَا؟ أَمَا كَانَ فِي وَشْعِنَا أَنْ
نُعَيِّرَ بَيْنَ الْبَصِيرَةِ يَا صَاحِبِي، وَالْبَصَرِ؟

لَنَا مَا عَلَيْنَا مِنَ التَّحْلِ وَالْمُفْرَدَاتِ. خُلِقْنَا لِتَكْتُوبَ عَمَّا
يُهْدَدُنَا مِنْ نِسَاءٍ وَقَيْصَرَ... وَالْأَرْضِ حِينَ تَصِيرُ لُغَةً،
وَعَنْ سِرِّ جُلْجَامَشِ الْمُسْتَحِيلِ، لِنَهْرُبَ مِنْ عَضْرِنَا
إِلَى أُمْسٍ خَمِرَتْنَا الذَّهَبِيَّ ذَهَبْنَا، وَسِرْنَا إِلَى عُمَرِ حِكْمَتِنَا
وَكَانَتْ أَغَانِي الْحَنِينِ عِرَاقِيَّةً، وَالْعِرَاقُ نَحِيلٌ وَنَهْرَانِ /...

... لِي قَمَرٌ فِي الرِّصَافَةِ. لِي سَمَكٌ فِي الْفُرَاتِ، وَدِجْلَةٌ
وَلِي قَارِيٌّ فِي الْجَنُوبِ. وَلِي حَجَرُ الشَّمْسِ فِي نَيْتَوَى

وَنَبْرُوزُ لِي فِي ضَفَائِرِ كُرْدِيَّةٍ فِي شَمَالِ الشَّجَرِ
وَلِي وَرْدَةٌ فِي حَدَائِقِ بَابِلَ. لِي شَاعِرٌ فِي بُؤَيْبِ
وَلِي جُثَّتِي تَحْتَ شَمْسِ الْعِرَاقِ

عَلَى صَوْرَتِي خَنْجَرِي. وَعَلَى خَنْجَرِي صَوْرَتِي. كُلَّمَا
بُعَدْنَا عَنِ النَّهْرِ مَرَّ الْمَغُولِي، يَا صَاحِبِي، يَبْنُو
كَأَنَّ الْقَصَائِدَ غَيْمِ الْأَسَاطِيرِ. لَا الشَّرْقُ شَرْقُ
وَلَا الْغَرْبُ غَرْبُ. تَوَحَّدَ إِخْوَتُنَا فِي غَرِيْزَةٍ قَائِلَ. لَا
تُعَاتِبْ أَحَاكَ، فَإِنَّ الْبَتَفْسَحَ شَاهِدَةُ الْقَبْرِ ... /

... قَبْرُ لِيَارِسَ، لُنْدَنَ، رُومًا، نِيُورِكَ، مُوسِكُو، وَقَبْرِ
لِيُعْدَادَ، هَلْ كَانَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُصَدَّقَ مَاضِيهَا الْمُرْتَقَبُ؟
وَقَبْرُ لِيَتَاكَ الدَّرْبِ وَالْهَدَفِ الصَّغْبِ، قَبْرُ لِيَا فَا...
وَقَبْرُ لِيُومِرَ أَيْضًا وَلِلْبُحْثَرِيِّ، وَقَبْرُ هُوَ الشَّعْرُ، قَبْرُ
مِنَ الرِّيحِ... يَا حَجَرَ الرُّوحِ، يَا صَمْتَنَا!

نُصَدِّقُ، كَيْ نُكْمِلَ الْتَبَةَ، أَنَّ الْخَرِيفَ تَعَيَّرَ فِينَا

نَعَمْ، نَحْنُ أَوْرَاقُ هَذَا الصَّنَوْبِرِ، نَحْنُ التَّعَبُ
 وَقَدْ خَفَّ، خَارِجَ أَجْسَادِنَا، كَالثُّدَى... وَأَتَسَكَّبُ
 نَوَارِسَ بِيضَاءَ تَبَحُّثٍ عَنْ شُعْرَاءِ الْهَوَاجِسِ فِينَا
 وَعَنْ دَمْعَةِ الْعَرَبِيِّ الْأَخِيرَةِ، صَحْرَاءَ... صَحْرَاءَ/

... لَمْ يَبْقَ فِي صَوْتِنَا طَائِرٌ وَاحِدٌ لِلرَّحِيلِ إِلَى
 سَمَرْقَنْدٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَالزَّيْمَانُ تَكَسَّرَ وَاللُّغَةُ انْكَسَرَتْ
 وَهَذَا الْهَوَاءُ الَّذِي قَدْ حَمَلْنَاهُ يَوْمًا عَلَى كَتِفَيْنَا
 عَنَاقِيدَ مِنْ عِنَبٍ مُوَصِّلِيٍّ، يُطَلُّ صَلِيبًا عَلَيْنَا
 فَمَنْ يَحْمِلُ الْآنَ عِبَاءَ الْقَصِيدَةِ عَنَّا؟

وَلَا صَوْتٌ يَصْعَدُ، لَا صَوْتٌ يَهْبِطُ، بَعْدَ قَلِيلٍ
 سَتَفْرِغُ آخِرُ الْأَفَاطِنَا فِي مَدِيحِ الْمَكَانِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ
 سَتَزْنُو إِلَى غَدِنَا، خَلْفَنَا، فِي حَرِيرِ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ
 وَسَوْفَ نُشَاهِدُ أَغْلَامَنَا فِي الْمَمَرَاتِ تَبَحُّثُ عَنَّا
 وَعَنْ نَشْرِ أَغْلَامِنَا الشُّوَدَ.../

صَحْرَاءَ لِلصُّوْتِ، صَحْرَاءَ لِلصَّنْفِ، صَحْرَاءَ لِلتَّبَحُّثِ الْأَبَدِيِّ

لِللُّوحِ الشَّرَائِعِ صَخْرَاءُ، لِلْكِتَابِ الْمَدْرِسِيِّ، لِلْأَنْبِيَاءِ وَلِلْعُلَمَاءِ
 لَشَيْكْسِيرِ صَخْرَاءُ، لِلْبَاحِثِينَ عَنِ اللَّهِ فِي الْكَائِنِ الْآدَمِيِّ
 هُنَا يَكْتُبُ الْعَرَبِيُّ الْأَخِيرُ: أَنَا الْعَرَبِيُّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ
 أَنَا الْعَرَبِيُّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ

قُلِ الْآنَ إِنَّكَ أَخْطَأْتَ، أَوْ لَا تَقُلْ
 فَلَنْ يَسْمَعَ الْمُصِوْنَ اعْتِذَارَكَ مِنْهُمْ، وَلَنْ يَقْرَؤُوا
 مَجَلَّاتٍ قَاتِلِهِمْ كَيْ يَرَوْا مَا يَرَوْنَ، وَلَنْ يَزْجِعُوا
 إِلَى الْبَصْرَةِ الْأَبَدِيَّةِ كَيْ يَعْرِفُوا مَا صَنَعْتَ
 بِأَمْلِكَ، حِينَ انْتَبَهْتَ إِلَى زُرْقَةِ الْبَحْرِ ... /

... قُلْ إِنَّا لَمْ نُسَافِرْ لِنَرْجِعَ ... أَوْ لَا تَقُلْ
 فَإِنَّ الْكَلَامَ النَّهَائِيَّ قِيلَ لِأَمْلِكَ، بِأَسْمِكَ:
 أَعِنْدَكَ مَا يُثَبِّتُ الْآنَ أَنَّكَ أُمِّي الْوَحِيدَةُ؟
 وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَضْرِنَا، فَلْيَكُنْ مَقْبَرَةً
 كَمَا هُوَ، لَا مِثْلًا تَتَجَلَّى سُدُومُ الْجَدِيدَةِ

وَلَنْ يَغْفِرَ الْمُصِوْنَ لِمَنْ وَقَفُوا، مِثْلَنَا، حَائِرِينَ

على حافة البئر: هل يوسف الشومري أخونا
أخونا الجميل، لنخطف منه كواكب هذا المساء الجميل؟
وإن كان لا بُدَّ من قتله، فليكن قيصراً
هو الشمس فوق العراق القتل!

سأولّد منك وتولّد مني. رويداً رويداً سأخلع عنك
أصابع مَوْناي، أزرار قمصانهم، وبطاقات ميلادهم
وتخلع عني رسائل مَوْناك للقدس، ثمّ ننظف نظارتينا
من الدّم، يا صاحبي، كي نُعيد قراءة كافكا
ونفتح نافذتين على شارع الظلّ .../

... في داخلي خارجي. لا تُصدّق دُخان الشتاء كثيراً
فعمّا قليل سيخرج إبريل من نوّينا. خارجي داخلي
فلا تكثرِث بالتمائيل... سوف تُطرزُ بنت عراقية ثوبها
بأول زهرة لوز، وتكتب أول حرف من اسمك
على طرف السهم فوق اسمها...

في مهبّ العراق

صدر للشاعر

- أوراق الزيتون
- عاشق من فلسطين
- آخر الليل
- حبيتي تنهض من نومها
- العصافير تموت في الجليل
- أحبك، أو لا أحبك
- محاولة رقم ٧
- تلك صورتها، وهذا انتحار العاشق
- أعراس
- مديح الظل العالي
- حصار لدائع البحر
- هي أغنية، هي أغنية
- ورد أقل
- مأساة النرجس، ملهاة الفضة
- أرى ما أريد
- أحد عشر كوكباً
- ديوان محمود درويش (جزآن)

وعن «رياض الرئيس للكتب والنشر»

الأعمال الجديدة

الطبعة الأولى كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤

لا تعتذر عما فعلت

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤

الطبعة الثانية: شباط/فبراير ٢٠٠٤

لماذا تركت الحصان وحيداً

الطبعة الأولى كانون الثاني/يناير ١٩٩٥

الطبعة الثانية أيلول/سبتمبر ١٩٩٥

الطبعة الثالثة شباط/فبراير ٢٠٠١

سرير الغريبة

الطبعة الأولى كانون الثاني/يناير ١٩٩٥

الطبعة الثانية شباط/فبراير ٢٠٠٠

جدارية

الطبعة الأولى حزيران/يونيو ٢٠٠٠

الطبعة الثانية شباط/فبراير ٢٠٠١

حالة حصار

الطبعة الأولى نيسان/أبريل ٢٠٠٢

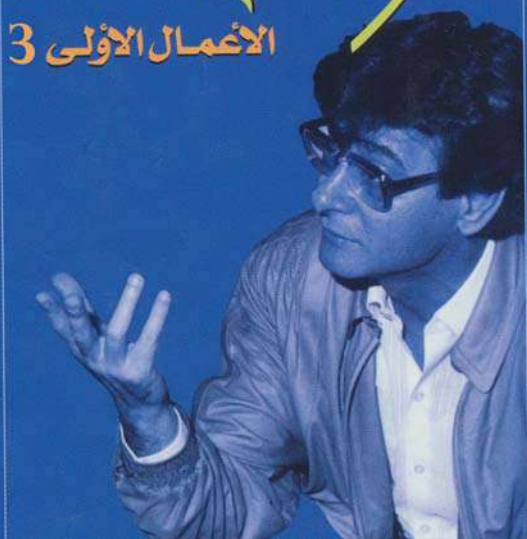
الطبعة الثانية حزيران/يونيو ٢٠٠٢



محمود درويش

ديوانه

الأعمال الأولى 3



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

ISBN 9953-21-206-6



9 789953 212067